بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
معهد بيت الحكمة
قسم العلوم السياسيّة

مفهوم "العدالة" بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

The Concept of "Justice" Between The Islamic Political Thought and The Liberal Political Thought

إعداد
صقر حابس السردي
1320600040
إشراف
الدكتور صايل فلاح مقداد السرحان

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
العلوم السياسيّة
عمادة الدّراسات العليا
جامعة آل البيت
٢٠١٧/٢٠١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

(سورة البقرة / اية:٢٥٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفويض

أنا الطالب **صقر حابس محمد السرديّة**، أفوّض جامعة آل البيت، بتزويد نسخٍ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:.....

التاريخ:...../...../٢٠١٦م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها:

(مفهوم "العدالة" بين الفكر السياسي الإسلامي والفكر السياسي الليبرالي)

وأجيزت بتاريخ: ٢٠١٦/١٢/٢٦.

إعداد

صقر حابس محمد السرديه

الرقم الجامعي: ١٣٢٠٦٠٠٤٠

إشراف

الدكتور صايل فلاح مقداد السرحان

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
الدكتور صايل فـــلاح مقداد السرحان	مشرفاً ورئيساً	.....
الاستاذ الدكتور محمد عوض الهزايمة	عضواً	.....
الدكتور عـــــادل تـــركي القاضي	عضواً	.....
الأستاذ الدكتور عمر حمدان الحضرمي	عضواً خارجياً	.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اهداء

إلى والدي أطال الله في عمرة

وإلى روح الغالية أمي رحمه الله وأسكنها الجنّة

وإلى أخواني وأخواتي

وإلى زوجَتَيَّ العزيزتين وأولادي:

سيف، وهداية، وعبد العزيز، ومحمد، ورحمة، وفايز، ونور

وإلى كلّ من علمني ودعمني وشجّعني ليخرج هذا العمل إلى النور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، خالق الأرض والسماء والبحر والجبال والإنسان والحيوان وكلّ شيء؛ ليسبح بحمده ويشكر نعمه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي العربي الأمي الأمين محمد بن عبد الله، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كلّ من أسهم في مساعدتي لإتمام هذه الدِّراسة وأخصّ بالشكر:

الدكتور: صايل فلاح مقداد السرحان

مشرفي ومعلمي وأستاذي ومؤدبي، صاحب القلب الكبير، الذي لم يبخل عليّ بشيء لا من وقته ولا من علمه، فقد علّمني ما هو العلم، وكيف يكون، ومنحني والكثير الكثير مما لديه.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى **جامعتي "جامعة آل البيت" بعامّة**، ومعهد بيت الحكمة بخاصّة، وإلى كلّ كوادرها الأكاديميّة والإدارية، وأخصّ بالشكر كلّ من الأستاذ **الدكتور محمد المقداد، والدكتور علي الشرعة، والدكتور هاني أخو أرشيدة، والدكتور عاهد المشاقبة، والأستاذ الدكتور محمد الهزايمة، والدكتور أمين العزام، والدكتور عبد السلام الخوالدة، والدكتور عادل القاضي، والأخ مروِّح العظامات، والأخ نبيل عليمات، والأختين ساجدة صالح، وأم أحمد الفضلاء جميعهم.**

كما أود أن أتقدم بالشكر إلى **المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ**، متمثلا بـ المدير الإقليمي للمعهد **الدكتور فتحي حسن ملكاوي**، لما قدَّمه من كتب ومراجع وتسهيلات لإنجاح هذه الدِّراسة المتواضعة.

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المحتويات

Contents

الملخّص ..... ط

Abstract ..... ك

المقدمة: ١

الفصل الأول : الفكر السياسيّ الإسلاميّ والليبراليّ..... ١٣

المبحث الأول : الفكر السياسيّ الإسلاميّ مصادره وركائزه وتطوّره..... ١٤

المطلب الأول: مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ وركائزه..... ١٥

المطلب الثاني: تطوّر الفكر السياسيّ الإسلاميّ ٣٢

المبحث الثاني : الفكر السياسيّ الليبراليّ بين التنظير والممارسة..... ٥٧

المطلب الاول: مصادر الفكر السياسيّ الليبراليّ..... ٥٨

المطلب الثاني: طبيعة الفكر السياسيّ الليبراليّ ومفهومة: ٧٧

الفصل الثاني : مفهوم العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ ٩١

المبحث الأول : نظريّاًت العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ ٩٢

المطلب الأول: نظريّة العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ (الماوردي)..... ٩٣

المطلب الثاني: نظريّاًت العدالة في الفكر السياسيّ الليبراليّ(جون رولز) ١٠٨

حياتة ١٠٨

المبحث الثاني : التلاقي والافتراق في مفهوم العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ ١٢٥

والفكر السياسيّ الليبراليّ ١٢٥

المطلب الأول: التلاقي والافتراق في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ... ١٢٦

المطلب الثاني: التلاقي والافتراق في نظريّة العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر
السياسيّ الليبراليّ(الماوردي وجون رولز) ١٣٨

الخاتمة ١٥٠

نتائج الدّراسة ١٥١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع ١٥٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفهوم "العدالة" بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

إعداد

صقر حابس محمد السرديّة

إشراف

الدكتور: صايل فلاح مقداد السرحان

الملخّص

هدفت الدِّراسة إلى توضيح مفهوم العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، وتأتي هذه الدِّراسة في ظل غياب العدالة التطبيقيّة، والكثرة من المناداة بها نظريّاً فقط، لتحقيق أغراض الدِّراسة ومقاصدها.

هدفت الدِّراسة إلى التعرف إلى مفهوم العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ بشكل عام، وأفكار (الماوردي) أنموذجاً بشكل خاص، والفكر السياسيّ الليبراليّ بعمومه، و(جون رولز) أنموذجاً، من خلال مصادر وتطوّر كلّ من الفِكرَينِ، والوقوف على نقاط الاقتراب والافتراق بينهما.

وللإجابة على السؤال المحوري لدراسة ما مفهوم العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، والأسئلة المتفرعة منة، خلصت الدِّراسة إلى أن الفكر السياسيّ له تأثير كبير على مفهوم العدالة وتطوّره، والانتقال به من حال إلى حال، بحسب الزمان والمكان، وأن هناك نقاطاً يقترب منها كلّ من الفِكرَينِ، ويفترقان في مكان آخر، كما أن هناك اقتراباً وافتراقاً في نفس النقطة في بعض الأحيان.

تمّ استخدام مجموعة من المناهج العلميّة، للتمكن -من خلالها- الوصول إلى المعرفة، وهذه المناهج هي: المنهج المقارن، والمنهج الاستنباطي التأمّلي، والتقارب الثقافة السياسيّة.

تأكيد صحة فرضيّة الدِّراسة، وهي: (أسهم الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ في تبلور ووضوح مفهوم العدالة بصورتها المجردة والتطبيقيّة) ، فبعد اختبار صحة هذه الفرضيّة؛ فقد تبيّن أن الفكر السياسيّ صاحب الدور الكبير في مفهوم العدالة وجعله مفهوماً أساسيّاً لكل نظامٍ سياسيٍ، وعليه يقاس مدى دوام النظام السياسيّ؛ لأن النظام العادل أطول عمراً من غيره، والفكر السياسيّ اهتمَّ بمفهوم العدالة، وإعلاء شأنها.

لقد تناولت الدِّراسة الفكر السياسيّ الإسلاميّ من خلال مصادره الرئيسة والفرعيّة، وركائزه وتطوّره عبر العصور، من خلال الفترات الزمنيّة المفصلية في تاريخ الإسلام: الدّولة الإسلاميّة والخلافة والمذاهب والمدارس الإسلاميّة ورأي المفكرين في مفهوم العدالة، كما أن الدِّراسة قد

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

تناولت الفكر السياسيّ الليبراليّ من خلال المفهوم العام له، وطبيعة الليبراليّة، فضلاً عن المصادر التي يستند إليها الفكر السياسيّ الليبراليّ.
الكلمات الدالّة: العدالة، الفكر السياسي، الفكر السياسي الإسلامي، الفكر السياسي الليبرالي، الماوردي، جون رولز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The concept of "justice" between the Islamic political ideology and political liberal ideology

Preparation by student: SAQR HABIS MOHAMMED AL-SSARDIA

Supervision

Dr :SAYEL MAKDAD FALAH AL-SARHAN

The study aimed to clarify the definition of justice between the Islamic political ideology and the Liberal political ideology. This study comes in within the absence of the practical justice, abundance, yet theoretical calling out of it to achieve the purposes and objectives of the study.

The study aimed to identify and understand the meaning of justice in the Islamic political ideology in general, in addition to the (Maordi) ideas as a model in particular, also generally the Liberal political ideology and (John Rolls) as a model, through both of the ideology's resources and evolution, and lastly is stating the similarities and differences between the two ideologies.

In order to answer the key question of the study –What's the meaning of justice in the Islamic political ideology and the Liberal political ideology? - And the other side questions, the study concluded that the political ideology has a major effect on the concept of justice and its evolution, and the transition of it from one situation to another according to time and place. Also, there are some points of similarity between the two ideologies at some spots and others or difference, sometimes the difference and similarity occur at the same point.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

A collection of scientific methods has been used to reach knowledge, which are: The comparative method, the deductive observation method, and the convergence of the political culture.

Confirming the validity of the study's hypothesis, which is: The Islamic political ideology and the Liberal political ideology contributed in clarifying the concept of justice in its practical form. After testing this hypothesis, it turned out that the political ideology has the major role in the concept of justice and has made it an essential concept for every political system. Also, the continuity of the political system is measured based on it, because the fair system lasts longer than any other type. Furthermore, the political ideology took interest in the concept of justice and refined it.

The study addressed the Islamic political ideology by its resources, the primary, the secondary, and its basics and evolution through the ages and critical time periods in the history of Islam: the Islamic state, the Islamic caliphate, doctrines, Islamic schools, and the thinkers' opinions on the concept of justice. The study also addressed the Liberal political ideology by its general meaning, its nature, and the resources which the Liberal political ideology is based on.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

إن الفكر هو وليد أزمة، وواقع مأزومة وهو: ذاتيّ، وموضوعيّ، وشخصيّ، ويزاوج بين المثاليّة والواقعيّة في تشخيصِ ما هو كائنٌ وقائمٌ. ومنذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا، والمفكرون من جميع التيارات يبحثون في مفهوم العدالة، وهذا دليل على أن مقدّرات هذا المفهوم ملازمة للبشريّة منذ القدم إلى وقتنا الراهن، ولكن كلاً يراها من منظور الوضع الاجتماعي، والسياسيّ، والثقافي، الذي يعيشه، وهي تعكس واقع المجتمع في عصر المفكّر، باعتبار الفكر نتاج البيئة، وهذا ما يميّز رجل التنظير عن رجل الحركة، حيث أن الأخير يركّز على ما هو غائم في دولته، أو مجتمعة.

يمكن أن يطبق المفكر نظريّته أو رؤيته، عندما يزاوج بين التنظير والممارسة، ولكن على الأغلب، يتمّ استلهام فكر معيّن من قبل الحركيين السياسيّين، فينزلونه إلى الواقع، عندها قد يعتريه بعض التحوير، تبعاً لطبيعة الممارسة، حيث هنا يمكن الحكم على القائمين عليه، (أي الفكر) أين أصابوا وأين أخطأوا، وما مدى مساهمة المفكرين في التأثير على مفهوم معين، أو رؤية محددة.

إن مفهوم العدالة، مرافق للبشريّة منذ أن وُجِدت على الأرض، ويعتبر من القيم الإنسانيّة التي لا تنازل عنها، وهو نقيض الظلم، وكلّ الدّيانات تحث على العدالة، وتعتبرها هي أساس الحياة والديمومة لكل مجتمع على الأرض، وكذلك المفكرون، وعلى مرّ التاريخ قد تطرّقوا إلى هذا المفهوم، على أساس أن العدل هو الركيزة الأساسيّة لحكم البشر.

لقد اجتهد المفكرون والفلاسفة، وعلى مرِّ العصور لإيجاد المعنى الحقيقي لمفهوم العدالة، وكلّ أبحرَ فيما أتيح إليهم من خبرات، وعصف فكري، ومصادر دينيّة، أو آيدولوجيّة، لإيضاح مفهوم العدالة، ولسبر غوره، والغوص في مكنوناته، والبحث في محتواه.

تحاول هذه الدِّراسة أن تأصّلَ مفهوم العدالة، نظريّاً، وتدرسه بممارسه عمليّة، بين فكرين بينهما نقاط تلاقي وافتراق، وهما الفكر السياسيّ الإسلاميّ، والفكر السياسيّ الليبراليّ، الذي يرى أصحابهما ودعاتهما، أنهما يهدفان إلى تحقيق السعادة للبشريّة.

لكلٍ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، الطريقة التي يستطيع الإنسان إن يلمس من خلالها تطبيق هذا المفهوم، في الحياة السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، من أجل تنمية البشريّة، وتحقيق السعادة، وإشاعة الاستقرار النفسيّ، والسياسيّ، والاجتماعي في المجتمع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذه الدِّراسة تحاول جاهدةً تبيان ما سبق، وفحوى سؤالها الرئيس، المتعلّق بمدى تأثر العدالة كمفهوم في الفكر السياسيّ؟ مستخدمة مبدأ التكامل المنهجي، حيث اعتمدت على استخدام المنهج المقارن، والمنهج الاستنباطيّ، ومقترب الثقافة السياسيّة.

وقد ارتأت الدِّراسة أن تبرز دراسة هذا المفهوم "العدالة"، بشكل خاص عند كلّ من" الماوردي" في الفكر السياسيّ الإسلاميّ، و"جون رولز "في الفكر السياسيّ الليبراليّ.

أولا": أهميّة الدِّراسة:

تبرز أهميّة الدِّراسة من ناحيتين:

١ـ الأهميّة العلميّة (النظريّة) :

تأتي الأهميّة العلميّة لهذه الدِّراسة من خلال:

أ. فهم التطوّرات الفكريّة في كلّ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ لمفهوم العدالة، وكيف استطاع المفكرون، أن يوضحوا هذا المفهوم من خلال كتاباتهم، التي وصلت إلينا.

ب. التأصيل النظريّ المعرفي لمفهوم العدالة في كلّ من الفِكرَينِ.

ج. بيان نقاط التلاقي والافتراق، بين الفِكرَينِ، على الصعيد العلميّ (البحثي) ،عند معالجتهما لمفهوم العدالة، وكذلك المساحة المشتركة بين كلّ من (الماوردي) و(جون رولز) ، كحالة دراسة.

د. سدُّ النقص الحاصل في مجال التناول الأكاديمي لهذا الموضوع نظراً لشحِّ الدّراسات المتعلّقة به.

٢ـ الأهميّة العمليّة (التطبيقيّة) :

تكمن الأهميّة العمليّة التطبيقيّة لهذه الدِّراسة في:

أ. البحث في الإجراءات العمليّة التي تقود إلى تحقيق مفهوم العدالة في المجتمع والدّولة، من خلال الاستراتيجيّات والسياسات الواجب اتباعها.

ب. الإسهام في استدعاء هذا المفهوم من التجريد، إلى ممارسه عمليّة على أرض الواقع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج. هذه الدِّراسة يمكن أن تكون جهدا متواضعا، لبيان حالة التجاذب والاستقطاب، بين الفِكرَينِ السياسيّين موضوع الدِّراسة، حيال مفهوم العدالة، والإجراءات التي تقود إليها، والبحث في كيفيّة المعالجة، لدى كلّ من (الماوردي) و(رولز) لهذا المفهوم (العدالة).

د. استناداً إلى ما سبق؛ يمكن أن تكون هذه الدِّراسة مرشداً وهادياً لصناع القرار، لإدراك أهميّة (العدالة) ، واعتبارها أساساً في تحقيق استقرار مجتمعهم ودولتهم، وبالتالي ديمومة حكمهم، وإكسابه الشرعيّة المطلوبة.

ثانياً: أهداف الدِّراسة:

تهدف الدِّراسة إلى تحقيق الغايات الآتية:

١- التعرف إلى مفهوم العدالة في كلّ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ، والفكر السياسيّ الليبراليّ.

٢- توضيح مراحل تطوّر هذا المفهوم، عبر المفاصل الحيويّة للدراسة، والموضّحة في حدودها.

٣- استجلاء أثر كلّ من الفِكرَينِ في ممارسة هذا المفهوم، وإنزالها على الواقع المعاش، وفي حالة الدِّراسة الموضّحة في محدداتها بشكل خاص.

٤- استجلاء نقاط التلاقي والافتراق في المفهوم بين الفِكرَينِ المشار إليهما.

ثالثاً: مشكلة الدِّراسة:

تكمن مشكلة الدِّراسة، في إدراك حقيقة هذا المفهوم (العدالة) ، ومدى قدرة الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ والليبراليّ، على استيعاب مؤشراته وتحقيقها وتمكينها على الواقع والوجود السياسيّ، باعتبارها أحد أهم أسس الفِكرَينِ مدار البحث، ويشكلان قضيّة جدليّة تنظيراً وممارسة، حول أي منهما يملك الأدوات والأساليب والشروط اللازمة لاعتباره ركيزة أساسيّة في الحكم، وإدارة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ولتدليل على ذلك، والتركيز عليه، تمّت دراستهما عبر مراحل الفِكرَينِ المختلفة، وفي أصالة الدِّراسة لدى كلّ من (الماوردي) و(رولز).

واستناداً إلى ما سبق؛ فقد أمكن صياغة السؤال المحوري "الرئيس" في المشكلة البحثيّة، وهو على النحو الآتي:

ما مفهوم العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ؟ ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعيّة الآتية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. ما أثر الفكر السياسيّ الإسلاميّ على مفهوم العدالة؟
٢. ما مدى إسهامه في تحقيق السياسات التي تقود إليها وتمكن من إشاعتها في المجتمع الإسلاميّ؟
٣. ما مدى قدرة القائمين على الفكر السياسيّ الإسلاميّ في تحويل الفكرة المجردة للعدالة كما وردت في القرآن الكريم والسنّة النبويّة إلى مؤشرات كميّة يمكن إنزالها إلى الواقع والوجود السياسيّ (الدّولة) ؟
٤. ما مدى تأثير الفكر السياسيّ الليبراليّ على مفهوم العدالة؟
٥. ما مدى إسهام الفكر السياسيّ الليبراليّ في إيجاد المؤشرات المجردة لهذا المفهوم تمكن من تطبيقها في مجتمع سياسي أو دولة؟
٦. ما هي نقاط التلاقي والافتراق بين الفِكرَينِ السياسيّ الإسلاميّ والسياسيّ الليبراليّ حيال هذا المفهوم (العدالة)، تنظير وممارسة عمليّة؟ وخاصة في حالتي الدِّراسة (الماوردي) و(رولز).

رابعاً: فروض الدِّراسة:

استناداً إلى طبيعة الموضوع ومشكلته البحثيّة، فقد أمكن صياغة الفرضيّة الرئيسة الآتية:

(هناك علاقة تكوينيّة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ، والفكر السياسيّ الليبراليّ، من جهة، وبين مفهوم العدالة، من جهة أخرى).

ويتفرع من هذه الفرضيّة الرئيسة، الفرضيّات الفرعيّة الآتية:

- توجد علاقة ارتباطيّة بين قدرة القائمين على الفكر السياسيّ الإسلاميّ و الفكر السياسيّ الليبراليّ، وبين تحقيق وإيجاد مؤشرات لهذا المفهوم.
- هناك ارتباط بين رشد الفكر السياسيّ وبين مفهوم العدالة، كونهما شاملان ومشمولان.
- يسهم استيعاب مفهوم العدالة وتقبله كقيمة وردت في مصادر كلا الفِكرَينِ السياسيّين للبحث في كيفيّة تطبيق المفهوم إجرائياً.
- كلما زادت دائرة الجمود الفكريّ والتهيّب العقائديّ؛ قلّت إمكانيّة إثراء هذا المفهوم (العدالة)، وتحقيق الفائدة المرجوّة من تطبيقه.
- يسهم النّجاح في دفع هذا المفهوم إلى تطبيق عمليّ في إكساب الأنظمة الحاكمة الشرعيّة والرضا من مواطنيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: حدود الدِّراسة:

لم يتمّ إقران عنوان الدِّراسة بفترة زمنيّة، نظرا إلى أن طبيعة الموضوع مدار البحث تحتم ذلك، وعليه؛ فإنه سيتم الانتقاء (قصداً) للفترات (المفاصل) الزمنيّة التي شهدت تركيزا وجهدا انصبَّ على دراسة هذه القضيّة في كلا الفِكرَينِ السياسيّين موضوع الدِّراسة، ومتابعة تطوّر هذه الجهود لغاية الفترة المعاصرة والتركيز على حالة الدِّراسة.

سادساً: محددات الدِّراسة:

لقد اقتصرت هذه الدِّراسة على بحث تأثير كلّ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ على مفهوم العدالة وإمكانيّة تطبيقها في المجتمع السياسيّ (الدّولة) على اعتبار أن الفكر السياسيّ الإسلاميّ يعنى بمجتمعاتنا وأصبح قضيّة جدليّة نقديّة بين من يرى إمكانيّة تطبيقها وبين من يقول بغياب مؤشراتها لقصور القائمين عليها دون توجيه النقد إلى النص.

أمّا الفكر السياسيّ الليبراليّ؛ فهو يشهد تطبيقا عمليا في معظم مجتمعات العالم؛ لأن دعاته يرون أنّه يشكل مرحلة متقدمة في تطوّر الدّول، والمجتمعات، ويذهب بعض دعاته إلى أبعد من ذلك، أي ضرورة أن تلحق بركبه كلّ البشريّة، باعتباره سبيل نجاتها وسقف تطوّرها. ولبلورة القضيّة بصورة أوضح؛ فإنّه تمّ اختيار (الماوردي) في الفكر السياسيّ الإسلاميّ، لبيان رؤيته حول مفهوم العدالة، التي كانت العدالة عنده ذات قيمه.

أمّا (جون رولز) في الفكر السياسيّ الليبراليّ؛ لأن نظريته في العدالة نظريّة إجرائيّة، أي البحث عن الإجراءات التي توصل إلى مفهوم العدالة، وللبحث في المساحة المشتركة بينهما، وإن اختلفت الفترة الزمنيّة التي ساد فيها فكر كلّ منهما.

سابعاً: متغيّرات الدِّراسة:

- المتغيّر المستقل: مفهوم العدالة
- المتغيّر التابع الأول: الفكر السياسيّ الإسلاميّ
- المتغيّر التابع الثاني: الفكر السياسيّ الليبراليّ.

وفيما يأتي تعريف اسمي (اصطلاحيً) وإجرائيّ لهذه المفاهيم.

١ـ الفكر السياسيّ الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. التعريف الاسمي: إن هذا النوع من المفاهيم يحتاج إلى تفكيك وتعريف كلّ مفهوم على حدا ومن ثمّ جمعها جمع الكل مع الجزء؛ لأن الفكر هو الكل، أمّا الآيدلوجيا والمذهب فهي الجزء، وعليه؛ فإنّه سيتم تعريف كلّ مفهوم على حدا، ومن ثمّ جمعها لنتمكن من كشف معانيه وحدوده.

الفكر لغة: يعرفه ابن منظور في لسان العرب هو: أعمال الخاطر في الشيء.

والفكر: هو نتاج عمليّة التفكير والتأمل العقلي التي يقوم بها الإنسان، بوصفة كائنا عاقلا مفكراً.

السياسة: هي كلّ نشاط نظري أو عملي يتعلّق بعمل الجماعة الإنسانيّة وإدارة شؤونها واتخاذ القرارات العامّة اللازمة لحماية وجودها وتلبية احتياجاتها، وإدامة قيمها، وضمان مصالحها، وتحقيق أهدافها، واستثمار قدراتها، وتنظيم علاقاتها وتفاعلاتها، وتوجيهها في الداخل والخارج.

الفكر السياسيّ: هو مجموعة الآراء والأفكار التي صاغها العقل البشري لتفسير الظاهرة السياسيّة، وعلاقاتها بالعلم والمجتمع، من حيث قوّتها، ووجودها وعدمها، ووظائفها، وخصائصها، والقائمين عليها.

هو: كلّ أشكال التفكير والتأمّل العقلي في الظاهرة السياسيّة المتجسدة عملياً في السلطة السياسيّة. طعان وآخرون، ٢٠١٥م،ص:

الفكر السياسيّ الإسلاميّ: هو انعكاس للسياسة الشرعيّة بمقاصدها الواسعة في أبواب المصالح المرسلة على كلّ المتغيّرات الواقعية بردها إلى أدلتها الشرعيّة العلميّة (العكش، ٢٠١٤).

ب. التعريف الإجرائي:

هو الفكر السياسيّ الذي مصدره المفكرين الإسلاميّين بغض النظر عن طائفيتهم التي توجد أفكارهم من خلال كتاباتهم على مرِّ العصور الإسلاميّة وأنواع الدّول الإسلاميّة منذ ظهور الديانة الإسلاميّة.

٢- الفكر السياسيّ الليبراليّ:

أ. التعريف الاصطلاحي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عرفة اندرية لالاند في موسوعة لالاند الفلسفية أنّه: " مذهب سياسي فلسفي يرى أن الإجماع الديني ليس شرطا ملزما لتنظيم اجتماعي جيد ويطالب بحريّة الفكر لكل المواطنين"، وعرفته الموسوعة الأمريكية الأكاديميّة أن الليبراليّة هي فلسفة سياسيّة تقوم على الحريّة الفرديّة.

ب. التعريف الإجرائي:

هو فكر سياسي تواجد في المجتمعات الغربيّة لتجديد العقل الغربي وترسيخ مفهوم المواطنة، بهدف احترام الحقوق والحريّة للبشر في اختيار ما يصلح لهم، ومصدره البشر، وغايته البشر في الدنيا، مع الفصل التام بين العقيدة وجعلها فرديّة حرّة والدّولة التي تحكمها القوانين الوضعيّة من خلال عدالة التوزيع.

١- مفهوم العدالة:

أ) التعريف الاصطلاحي:

هو التوازن في الحقوق والواجبات والحق في تولّي المناصب العامّة على أساس الكفاءة واحترام الحريّات الأساسيّة.

١- عرّفه محمود أيوب في كتاب الكيان الإسلاميّ والنضال من أجل العدالة أنّه (المنهج المتوازن في كلّ الأمور، والشامل للحياة، ولذلك تقرر اللغة أن في مفردتي عدل وعادل اشارة إلى شخص متوازن أخلاقيّاً، وسلوكيّاً وروحيّاً.

ب) التعريف الإجرائي:

ثامناً: منهجيّة الدِّراسة:

استناداً إلى طبيعة الموضوع ومشكلته البحثيّة؛ فقد رأت الدِّراسة أنّه من الأنسب استخدام مبدأ التكامل المنهجي، وعليه فقد استخدمت المناهج الآتية:

١- المنهج المقارن.
٢- المنهج الاستنباطي التأملي.
٣- مقترب الثقافة السياسيّة.

وفيما يأتي شرح موجز لهذه المناهج من خلال بيان:

أ- أصحاب المنهج (رواده)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- مفهوم المنهج (تعريفة)

ج- مقولات المنهج (مقوّماته وركائزه)

د- كيفيّة وتوظيف المنهج

١- المنهج المقارن:

أ. أصحاب المنهج (رواده): لقد أسهم كلّ من ماركس، ماكس فيبر، ميشلز، وبندكس. في إيجاد هذا المنهج واستخدامه.

ب. مفهوم المنهج: هو منهج لدراسة الظواهر السياسيّة في نظم سياسيّة ومجتمعات مختلفة، أو في أنماط محددة منها، أو مقارنة النظم السياسيّة الرئيسة، من حيث استمرارها وتطوّرها، والتغييرات التي تطرأ عليها في مراحل التطوّر المختلفة، ووجد تأسيسه لدى أرسطو قديماً حينما قارن الدساتير –آنذاك- واستخدمه وطوّره مجموعة من العلماء حديثاً.

ج- مقولات المنهج:(مقوماته وركائزه): هي اختيار المفاهيم بمعنى المفاهيم المراد دراستها ومقارنتها ومدلولها، بالإضافة إلى الوحدة الطبيعيّة للمقارنة التي هي أساس الموضوع المراد مقارنته، فقد كانت الوحدة السياسيّة –سابقاً- تعني الدّولة فقط، فتمَّ تطويّر هذا المنهج ليشمل وحدات النظام الدّولي الأخرى، وأيضاً ما الشيء الذي له الصفة التي تجريه المقارنة، أي الظاهرة السياسيّة التي تجري مقارنتها، وما الخصائص والسمات التي تجعلها ذات طابع سياسي؟

د- كيفيّة توظيف المنهج: إن هذا المنهج يفيد في أنّه يستخدم في نطاق واسع في الدّراسات السياسيّة، التي تتراوح بين السلوك السياسيّ الفرديّ، وأنماط الشخصيّة، والاتجاهات والدوافع، إلى الثقافة السياسيّة، ودراسات الطابع القوميّ، ودراسة المؤسسات السياسيّة، والنظم السياسيّة عامّة والنظريّة والفكر السياسيّ، سواء في مجتمع واحد عبر مراحل تطوّره المختلفة، أو في مجتمعات مختلفة. ويساعد في عمليّة الوصف والتحليل والتفسير، من هنا؛ فإنَّ مقولات المنهج هذا تتسم في الربط بين متغيّرات الدِّراسة.

٢- المنهج الاستنباطي التأملي:

أ. أصحاب المنهج (رواده): يعتبر فلاسفة اليونان هم أول من أسهم في إيجاد هذا المنهج من خلال تطوير أساليبهم للحصول على المعرفة، ويعتبر ارسطو وتلاميذه هم الذين شجعوا على اتباع هذا المنهج من خلال الجدل المنطقي بالتفكير من العام إلى الخاص. (الضامن،٢٠٠٧،ص:٢٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. مفهوم المنهج(تعريفة): هو "مجموعة الإجراءات الذهنيّة التي تبدأ من العام متجهه إلى الخاص، فهو مجموعة من عمليّات ذهنيّة تدور كلها في العقل بمنأى عن الواقع، فهي تبدأ من فكرة عامّة شائعة أو مبدأ عام، أنها عمليّات استنباط النتائج من مقدماتها المنطقيّة "وهو" ينطلق من التجريد ليصل إلى الواقع، فضلاً عن أنّه ينطلق من المستوى التجريدي إلى المستوى الإجرائي باشتقاق القضايا الإجرائيّة التي تمهّد للفروض وقابلة للاختبار (شلبي،١٩٩٦،ص:٢٤،٢٥)

جـ- مقولات المنهج وركائزه:

هناك مجموعة خصائص وركائز للمنهج الاستنباطي، هي:

- أسلوب سردي تحليلي شرحي استدلالي.
- يستند إلى العقل والتأمّل والتفكير والقياس المنطقي في الاستدلال لاستنباط النتائج والحقائق العلميّة.
- ينطلق من مفاهيم ومبادئ ثابتة ليخرج منها بنتائج.
- منهج يفكك القضيّة إلى أجزائها.
- هدفه إثبات نظريّة قائمة لتأكيد صحتها من خلال تطبقها.
- يربط بين المقدمات والنتائج.
- يبدأ بالكليات ومن ثمّ النتائج. (عناية،٢٠٠٨م،ص ص:٤٢،٤٣)

د- كيفيّة توظيف المنهج: تأتي أهميّة هذا المنهج من خلال أنّه متعلّق في العلوم النظريّة والأدبيّة والإنسانيّة والإداريّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، سيظهر -من خلال تطبيق المنهج- تفكيك الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، للوصول إلى الجزئيّات في هذه الأفكار من خلال العموميّات، وخصوصاً في مفهوم العدالة.

٢- مقتراب الثقافة السياسيّ:

أ. أصحاب (رواده): لقد أسهم كلّ من ادورد شلز، وتلكوت برسونز، وجابريل الموند، ولوشيان باي، وسيدني فيربا، في إيجاد هذا المقترب واستخدامه.

ب. مفهومه (تعريفة): يقوم على دراسة الثقافة للأفراد أو الجماعات، ودراسة الشخصيّة والعوامل النفسيّة والسيكولوجيّة والانثربولوجيّة وتحديد الأنماط التي تدرس الشخصيّة في إطارها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج. مقولاته (مقوّماته وركائزه): التركيز على العادات والتقاليد والرموز والهويّة ونماذج السلوك والتنشئة والمشاعر ولاء، انتماء، اغتراب، والاتصال، ونسق القيم، والادراكات، والتكيّف في مواجهة السلطة، وغيرها، فضلاً عن طرق الحياة.

د. كيفيّة توظيف المقترب: يفيد في دراسة الثقافة كعلاقة تبادليّة بين النظم والنماذج السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والأشخاص؛ لأن الثقافة علم شخصيّ منظّم للسياسة على مستوى الفرد، لضبط السلوك والجماعة، ولبناء نظام القيم، وكذلك الاتصال الجماهيري للتعبير والمشاركة والتأثير، وهو اقتراب عام لعلم السياسة؛ لأن النظام السياسيّ له من العلاقات المتشابكة، وهذا المنهج هو القاسم المشترك للتأثير في مكوّنات النظام، وكذلك تأثير الأفراد من خلال الخبرة على السلطة، من خلال التفاعلات والحركات السياسيّة وإلى أيّ مدى يستمر النظام؟

تاسعا" الدّراسات السابقة:

١) **دراسة القرش ٢٠١٢م بعنوان "العدالة والحريّة بين المفهوم الإسلاميّ والمفهوم الغربي المعاصر".**

ويحاول فيها الباحث تتبع العدالة والحريّة في تلك الحضارات، وكذلك في الفكر اليوناني فالتناول الموضوعي والتأصيل للمفهوم الغربي المعاصر والمفهوم الإسلاميّ، العودة إلى المفهوم الغربي في الحضارة الرومانيّة وفكر العصور الوسطى الأوروبيّة، بل والفكر الغربي الحديث، لإيضاح الأحداث والأسباب التي أدَّت إلى نشأة ذلك المفهوم الغربي المعاصر، وكذلك تناولت الفكر السياسيّ الإسلاميّ، بما فيه من أفكار واجتهادات تعدُّ تعبيراً عن توجيهات القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، فمن خلال تلك التوجيهات اجتهد المفكرون في حل المشكلات والقضايا والتحديات في عصورهم، وهذه الاجتهادات السابقة يمكن الاستفادة بها في إطار الاجتهادات الفكريّة والفلسفيّة المعاصرة، فالاجتهاد والتجديد وتنمية الإبداع يقتضيه التطوّر التاريخي، واختلاف مشكلات وقضايا وتحديّات المرحلة التاريخيّة عن القضايا والتحديّات السابقة، حيث يتمّ تحديد أهم نقاط التقارب والاختلاف بين المفهوم الغربي المعاصر والمفهوم الإسلاميّ عن العدالة والحريّة.

٢) **دراسة د: زكريا بشير أمام ٢٠٠٣م. مفهوم العدالة بين الفكر الإسلاميّ والفكر الغربي**

هدفت الدِّراسة إلى أن العدل مفهوم جذاب، إذ أنّه مطلب الناس جميعاً، وأساس كلّ حكم صالح، ومنذ قديم الزمان والبشريّة جمعاء تتطلع إليه وتجاهد من أجله، ومن أجل ذلك؛ تتأكد أوليّة العدل وأسبقيّته على كلّ القيم والمثل، خاصّة فيما يتعلّق بالدّولة والنظم الاجتماعيّة، ولا غرو أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اهتم قدامى الفلاسفة والمفكرون بمفهوم العدالة وسعوا حثيثاً للتعريف به وإعطائه المكانة التي تليق به في نظريّاتهم السياسيّة والأخلاقية، واحتلّت مسألة العدالة وفضيّتها مكانة مرموقة في الفكر الإغريقي القديم، وقبل ذلك في الفكر الشرقي القديم. وما اهتمام أهل بابل وما بين النهرين بالقانون وبالشرائع؛ إلا مؤشر مهمّ لاهتمامهم بموضوع العدالة، إذ أن الهدف من وضع الشرائع وسنِّ القوانين ليس سوى إقامة العدل بين الناس، وما شريعة حمو رابي إلا مثال بارز مشهور باهتمام ذلك الفيلسوف بموضوع العدالة.

٣) **دراسة عزمي بشارة (٢٠١٣م) بعنوان مداخلة بشأن العدالة: سؤال في السياق العربي المعاصر".**

هدفت الدِّراسة إلى تاريخ مصطلح العدالة عبر الحضارات المتعاقبة، إلى أن وصل إلى مفهومه المعاصر الذي ارتبط بالمواطنة من خلال الحقوق، وكيفيّة ارتبط مفهوم الحقوق بمفهوم العدالة، وكيف أن العدالة أصبحت اجتماعيّة، بعد أن كانت طبيعيّة فقط، وأن الاحتجاجات العربيّة حاليّاً هي بيئة جيدة لطرح التصوّرات النظريّة والعمليّة لمفهوم العدالة، وكيف لمفهوم الهويّة أن يسير مع مفهوم الحريّة والمساواة كقاعدة، وفقا لمفهوم العدالة.

٤) **دراسة فهمي جدعان (٢٠١٣) بعنوان العدل في حدود ديونطولوجيا عربيّة.**

وقد هدفت هذه الدّراسة إلى الإجابة عن سؤال: ما الذي ينبغي أن تكون عليه نظريّة عربيّة للعدالة؟ من خلال البحث في نظريّاًت العدالة في الفكر الغربي المعاصر؛ النظريّة النفعية والمساواة الليبراليّ والليبرتاريّة والماركسيّة والجماعتيّة والنسويّة، وكذلك معنى العدالة في الموروث العربي الإسلاميّ، كالعدل الكلامي، والفلسفي، الأخلاقي، والشرعي، والسياسيّ، والاجتماعي. ويصل إلى أن نظريّة المصلحة والتي مبدأها الخير العام تدخل في صنف العدالة السياسيّة الاجتماعيّة.

وتميّزت هذه الدِّراسة عن غيرها بأنها:

١- توسعت في مفهوم العدالة في كلّ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ من خلال تطوّر كلّ منهما.

٢- إن هذه الدِّراسة مقارنة بين مفهوم العدالة عقائديّاً، عند (الماوردي)، وأيدلوجيّاً عند (جون رولز)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- نظرة الدِّراسة إلى العدالة كقيمة عليا في الفكر السياسيّ الإسلاميّ، وإجرائية في الفكر السياسيّ الليبراليّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول : الفكر السياسيّ الإسلاميّ والليبراليّ

(دراسة نظريّة)

إن الفكر على الإطلاق يكون بثلاث صور، هي: الفكر السطحي، والفكر العميق، والفكر المستنير. ولكل منها خصوصيّة القدرة على التفكير من خلال مدركات عقليّة، أو وسائل متاحة، والفكر السياسيّ له محددات من حيث الدّين والمذهب والعقائدية والآيدلوجيا، ومن حيث المكان والزمان.

وتنطلق هذه الدِّراسة من مبدأ أن الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ لهما تأثير بشكل مباشر على الحياة العامّة، وسوف يتمّ دراسة الفكران من خلال مبحثين، هما:

المبحث الأول: الفكر السياسيّ الإسلاميّ مصادره وركائزه وتطوّره.

المبحث الثاني: الفكر السياسيّ الليبراليّ بين التنظير والممارسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : الفكر السياسيّ الإسلاميّ مصادره وركائزه وتطوّره

لقد ظهر الفكر السياسيّ الإسلاميّ في مجتمع عربي، قبلي، وله طابع خاص، يختلف عن باقي الأمم من قبله، لكونه مجتمع لا تحكمه سلطة، ولا يعرف نظام الدّولة، وخصوصاً منطقة الجزيرة العربيّة، التي كانت عبارة عن قبائل متناحرة، متحاربة، لا يؤمن الجار جاره إلى إذا حل اتفاق بينهم، وهذا الاتفاق ملزم بينهم، لسبب؛ أن القيم العربيّة تحثُّ على هذا المبادئ، ولا يمكن أن يتنازل عن شيء منه.(قطب، سيد، ص:١١)

جاء الإسلام، كدين وعقيدة وشريعة، تحكم تصرّفات الناس من جميع النواحي، ولم يترك شيئاً عبثاً، ليحقق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة من خلال التمسك بما أنزل، وتطبيقه واقعاً ملموساً من خلال مصادر عديدة، منها الأصيل ومنها ما جاء ليشرح ما نقله الأصيل، وذلك لتشعُّب أركان الدّولة، ودخول ثقافات وإرثٍ، لمجتمعات أخرى جديدة على الإسلام.

واعتماداً على ما سبق؛ سيتم دراسة هذا الموضوع من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ وركائزه.

المطلب الثاني: تطوّر الفكر السياسيّ الإسلاميّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ وركائزه

لقد جاء الإسلام إلى مجتمع عربي، كان يدين بديانات مختلفة في الجزيرة العربي ومجتمع قبلي، ولم تستطع أيّ من الحضارات المتقاربة منهم أن تؤثر بشكل فعلي بهم لعصبيتهم، ولم يتصوروا يوماً أن يقيموا دولة، ويحسب حسابهم فوق المعمورة، لأسباب تتعلّق في تكويناتهم النفسيّة، لعدم قبولهم بما يفرض عليهم بالقوة مهما كان حجمها. (الاصبحي،ص.٢٥)

وسيتم دراسة هذا المطلب من خلال:

أولا: مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ:

جاء الوحي منزلاً من عند الله، وهو أول مصدر من مصادر الفكر الإسلاميّ، ممثلاً بالقران الكريم والحديث الشريف، ونبيّن في هذه الدِّراسة، مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ، وإسهاماتها في الفكر السياسيّ، على مدار أربعة عشر قرناً مع الاختلافات بينها، لفهم أن الدّين والسياسة بينهم تقارب وتنافر، ولا يمكن أن يوجد كيان سياسي إسلاميّ من غيرِ دين، ولا دين من غيرِ سياسة؛ لأن الخطاب السياسيّ بحاجه إلى الدّين من أجل ترسيخ الولاء والوحدة، وكذلك الدّين يحتاج إلى السياسة ليكون هو المنطلق المؤثر في الوجود السياسيّ، مع أن الوضع الصحيح أن توظف السياسة في خدمة الدّين وليس العكس.

١- مصادر أصيلة:

هي العروق الراسية والثابتة، ولا يمكن أن يرتوي العقل إلا بها، وهي المصادر التي لا يمكن أن يدرس الفكر السياسيّ الإسلاميّ على وجه الخصوص إلاّ وتكون هي اللبنة الأولى، في تكوين هذا الفكر وفي عقله، وهي ما تميّز الفكر السياسيّ الإسلاميّ عن غيره من الأفكار، في كلّ زمان ومكان من بعد ظهورها، وهي:

أ. القرآن الكريم:

القرآن الكريم وهو: **كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصحف، المنقول إلينا بالتواتر المتعبّد بتلاوته، الذي يبدأ بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس**.(العكش،٢٠١٤م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـالقرآن الكـريم هـو المصـدر الأول، للفكـر الإسـلاميّ فـي كـلّ زمـان ومكـان مهمـا اختلفـت المـذاهب الإسـلاميّة، ولكـن بحسـب فهـم الـنصّ وتفسـيره وتأويلـه لكـل مفكـر، وهـذا سبب الاختلاف الفكري بين المفكرين الإسلاميّين.

نـزل القـرآن الكـريم علـى سـيدنا محمـدε، وهـو يتعبّـد ويتفكّـر، فـي خـالق ومـدبر ومسـيّر الكـون، لقناعتـه أن لكـل هـذا الـذي يـراه مـن خـالق يحركـه، ويـديره بنظـام، تعجـز البشـريّة عـن العمـل بمثلـه، وجـاء الفـرج ليحـل جميـع مـا كـان يشـغل بالـه، وتكتمـل الصـورة مـن خـلال القـرآن الكـريم، وعلـى مـدار ثلاثـة وعشـرين عامـاً، وعلـى مـرحلتين: مكيّـة، ومدنيّـة، ولكـل مرحلـه مـن الخصـائص ليتبـيّن للنـاس مـا هـو الـدّين الإسـلاميّ الـذي سـيقوّض العـروش والملـوك ويهـزّ ملكهـم، مـن خـلال عقيدتـه التـي كـان الكـل بحاجـه إليهـا، وليخرجـوا مـن الظلمـات إلـى النـور البـيّن الواضـح فـي أول كلمـه، وهـي: **(اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّـذِي خَلَـقَ خَلَقَ) (سورة العلق، الآية: ١)** (ابن كثير،٢٠١٠م، ص:١٨٨)

كانـت المرحلـة المكيّـة هـي مرحلـة التأسـيس والتأصـيل، وكانـت آياتـه تنقـل إلـى الرسـولε والصـحابة مـا كـان مـن أحـوال، وأهـوال، وقـيم، ومعتقـدات، ورسـالات، ومجتمعـات مختلفـة، مـنهم مـن آمـن بـالله وعدلـه، ومـنهم مـن كفـر واندثر، نقـل القـرآن الكـريم الأحـوال السياسـيّة فـي تلـك العصـور الماضـية، ومـا كـان سـائراً فـيهم مـن عـدل، وظلـم، وخير، وشر، وإيمان، وكفر.(الاصبحي، سابق،ص.٢٥٧)

لقـد ذكـر القـرآن الكـريم الأنبيـاء، وكيفيّـة شـريعتهم، ورسـالتهم الإسـلاميّة، منـذ آدم عليـه السـلام، إلـى محمـد ε وقـد حكـم بعضـهم بـالمفهوم السياسـيّ، مـن خـلال سـلطته الدينيّـة وجمـع بـين السـلطتين، مـن غيـر أن تطغـى أحـداها علـى الأخـرى، مثـل سـيدنا داوود عليـه السلام وسيدنا سليمان عليه السلام.

وقـد جـاءت الآيـات المكيّـة بالعقائـد، والأخـلاق، ودعـوة التوحيـد، ولـم تكـن فكـرة الدّولـة -فـي هـذه الفتـرة- مطروحـة؛ ولكـن جـاءت بعـد الهجـرة إلـى المدينـة المنـوّرة، وهـي فتـرة نـزول القـرآن الكـريم المـدني، وبـالرغم مـن الظـروف التـي عـانى منهـا المسـلمون فـي بدايـة الـدعوة الإسـلاميّة، إلاّ أن الرسـولε طلـب مـن بعضـهم الهجـرة إلـى الحبشـة(*) لوجـود

---

* في ألسنه الخامسة من بعثة الرسول وبعد أن تعرض المسلمون إلى العذاب والأذى من قريش أمرهم الرسول بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر منهم أحد عشر رجلاً، وأربع نساء (انظر الإسلام في الحبشة ليوسف أحمد ص:١٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملك لا يظلم عنده أحد، وهذا إن دلَّ على شيء؛ فإنَّما يدلُّ على علم الرسول ε من خلال الوحي باللجوء وحماية الحقوق العقائديّة والإنسانيّة. (احمد،٢٠١٢م، ص:١٥)

لقد هاجر الرسول ε إلى المدينة المنوّرة، وبدأ بإقامة دوله إسلاميّة على الأرض، فكان لا بدَّ من منهج معرفيّ، لإقامة دستور ينظم الحياة لدولة المدينة الفاضلة، التي عجز اليونان عن إقامتها، ولكن هذه الدّولة دستورها من السماء وينزل القرآن الكريم في المدينة، لينظم الحياة من خلال آيات تنظم المجتمع، وفق ما أراد الله والرسول ε. (أبو الفتوح وعبد المعطي، ص ٥٠).

إن المصدر الرئيس للفكر الإسلاميّ قد اهتمَّ في العقل والتفكير اهتماما لا يوجد له نظير على وجه الأرض؛ لأن الإنسان المكلّف هو من يملك العقل، ولقد أعطي الحريّة للتفكر، بحيث لا تتجاوز الغيبيات، أو إلى ما وراء الطبيعة، كما في اليونانيّة.(العرب،١٩٩٢م، ص:١١٣).

لقد اثبت القرآن الكريم للبشر من خلال العقل، أن هناك الموجود، على الرغم من عدم إدراكه في الحواس؛ ولكنه موجود، مما يدل البشر أن العقل يستطيع أن يدرك الموجودات، ولو لم يتعايش معها، من خلال الفكر والمدركات العقليّة، والذهنيّة وتطوّر المعرفة، بخاصّة المسلم من خلال النصوص القرآنيّة.(العقاد، ص ٤٨).

لقد ورد في القرآن الكريم الآيات التي تفرض على الإنسان المسلم التفكّر والتفكير في حوالي ثلاث مئة أية، هي الآيات التي تخبرنا عن فعل "**العقل**" وهي تسع وأربعون أية، وعن "**القلب**" كمفكر بمئة واثنين وثلاثين آية، وعن "**اللب**" بمعنى العقل ستة عشر آية، وآيتان عن "**النهي**" بمعنى العقل، وجاء ثمانية عشر موضوعاً عن "**التفكير**"، وعشرون موضوعاً عن "**الفقه**"، و"**التدبر**" في أربع آيات، وسبع آيات في "**الاعتبار**"، وتسع عشرة أية عن "**الحكمة**" وهذا الكمُّ من الآيات عن الفكر والعقل؛ يُعَدُّ دليلاً على أن الفكر في الإسلام مهم جداً، ولا يجوز تسليم العقل إلى الآخرين، لينوبَ بالتفكير عن الإنسان المكلّف (ربيع وآخرون،١٩٩٤م،ص:١١٤).

نزل في القرآن الكريم منهج علميّ كاملٌ متكاملٌ، من حيث أنه يحثُّ العقل البشريّ على النظر، والتدبّر، والتفكير، في الكون وإتباع الوسائل العلميّة الصحيحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للوصـول إلـى الهـدف الأسـمى، وتـرك مـا يفسـد الوصـول إلـى الهـدف، وإثباتـه بالبرهـان والأدلّة والاختبارات؛ للتأكد من الحقائق (الغرايبة، ٢٠٠٢م).

ولمفهـوم العدالـة فـي القـرآن الكـريم، نصـيب مـن الآيـات التـي تحـث الإنسـان علـى العـدل فـي جميـع نـواحي الحيـاة، بخاصّـة إذا صـدرت مـن السـلطة، فسـوف تكـون ملزمـة للجميـع مـن خـلال السياسـة **العادلـة**، قـال تعـالى: **(إِنَّ ٱللَّهَ يَـأْمُر بالعـدل وَٱلإِحْسَـانِ (...الآيـة.** **(٩٠) وقولـة تعـالى (إِنَّ اللّهَ يَـأْمُرُكُمْ أَن تُـؤدُّواْ الأمانَـاتِ إِلـى أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْـتُم بَـيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ) (سورة النساء الآية٥٨)**.(مهنا،١٩٩٩م، ص:١٥٧).

ب. السنّة النبويّة:

المصـدر الثـاني مـن مصـادر الفكـر السياسـيّ الإسـلاميّ، وهـي مصـدر لتطبيـق وشـرح لكتـاب الله مـن خـلال السـنّة النبويّـة الشـريفة، وأحـداث دارت علـى أرض الواقـع لترسـخ فـي عقـول النـاس، وتكـون المنظـور المعرفـي، لمـا غفلـوا عـن فهمـه مـن إدارة الحيـاة العامّـة والخاصّـة. ولكـون أن الفكـر السياسـيّ الإسـلاميّ كـان ظهـوره فـي مجتمـع بـدائي تحكمـه الأعـراف؛ فـإنَّ الرسـول كـان يأخـذ مـن الـوحي ومـن الـدنيا مـا يصـلح ولا يتنـافى مـع العقيـدة الإسـلاميّة مـن التـراث العربـي قبـل الإسـلام، كمـا أيَّـد حلـف الفضـول(†) الذي لو كان في عهده لانضمَّ إليه.(قطب، ص:١١)

لقـد كـان خُلُـقُ الرسـولِε القـرآن، وهـو مـتمّم لمكـارم الأخـلاق، ليـري النـاس القـيم الإسـلاميّة التـي طلبهـا الله مـنهم، ولُيـدير النـاس شـؤونهم مـن خـلال مـنهج دينـيّ ودنيـويّ عبـر حثّـه علـى العلـم والتفكيـر والمعرفـة، فيمـا يـنفعهم فـي ديـنهم ودنيـاهم مـن سياسـة واقتصـاد، وأحـوال اجتماعيّـة، بـالمفهوم الإسـلاميّ، وثبـات علـى الـرأي وحريّـة وعدالـة ومسـاواة، فقـد قالε: **"طلب العلم فريضة على كلّ مسلم"**(ابن كثير،٢٠١٠،ص:٥٢).

لقـد نـزل الـوحي علـى الرسـول ε وهـو فـي الأربعـين مـن عمـره. وكـلّ مـن عرفـه قبـل هـذا شـهد لـه بمكـارم الأخـلاق، إلـى أن نـزل الـوحي، فنُعـتَ بكثيـرٍ مـن الألقـاب؛ ليبعـدوا النـاس عـن سـماع مـا جـاء بـه، ولكـي لا تتـأثر مكـة اقتصـاديّا. وقـد عبّـر الرسـولε مـن خـلال مسـيرة حياتـه الكريمـة، علـى التمسـك بـالعلم والتفكيـر، وحـثَّ الصـحابة علـى ذلـك مـن خـلال

---

† هو حلف جاهلي باركة الإسلام وهو أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم.(انظر كتاب الحضارة العربيّة الإسلاميّة أمن وهويّة).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأحاديث النبويّة الشريفة، ودعا المسلمين إلى الاجتهاد في فهم القرآن وفي الحديث النبويّ **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدّين)** والأحداث الجارية على الأرض من صراعات سياسيّة وظلم وعبوديّة تتنافى مع الطبيعة البشريّة، والفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وبعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة، استطاع الرسولε أن يرسي قواعد الدّولة الإسلاميّة من خلال، وضع أول دستور إسلاميّ في عرف باسم**"صحيفة المدينة"**(‡) ، وإعطاء كلّ ذي حقٍ حقه، وعدم التطرّق إلى العنصريّة من خلال مفهوم الدّولة، المواطنة، والأمة، والعدل، والمساواة التي تندرج من بعدها جميع القيم الإنسانيّة، فلكل حقه بحسب ما شرَّع الله، وليس بحسب الأهواء.(الأصبحي، سابق:ص:٢٧٧)

أرست صحيفة المدينة القواعد الأساسيّة لإنشاء أول دستور إسلامي، يقوم على تنظيم لدوله حديثة النشأة، ويحدد أهم المبادئ التي ستسير عليها الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة، والاقتصاديّة، بين ثلاث فئات اجتماعيّة مختلفة، ومتفقة في آنٍ واحد، فقد اتفق على الإقليم أنّه لجميع أفراد المدينة، بغضّ النظر عن المرجعيّة الدينيّة من يهود المدينة المنوّرة ومسلمين، أو كأسبقيّة إلى الدّين من مهاجرين وأنصار، واتفقوا على المواطنة، وتعريف المواطن، وما له وما عليه واتفقوا على السيادة التي تمثلت في الرسولε كسلطة زمنيّة، واتفقوا على أن الاختلاف العقائدي لا يكون عائقاً في بناء الدّولة.

لقد أرسى الرسولε -من خلال الصحيفة- مفاهيم لم تكن من قبل عند العرب، وأكّدت الصحيفة أن هذه المفاهيم خاصّة في دولة الإسلام الجديدة، وان بدأت على رقعه جغرافيّة صغيرة لا تتجاوز المدينة المنوّرة؛ ولكن ستكون الأساس لأيٍّ توسع فيما بعد، على أساس العقيدة الإسلاميّة، فذكر في الصحيفة مفهوم الأمة والقبيلة والعشيرة؛ ولكن ليس بمفهوم العنصريّة، بل بمفهوم التكافل الاجتماعي، ومفهوم القيادة الدينيّة والزمنيّة المتأصّلة في شخص الرسولε، وتكون زمنيّة فقط في وجوده ε، ومن بعده تكون الشورى هي من تحدد السلطة والقيادة الزمنيّة، أمّا الدينيّة فلا يوجد رجال دين كما في الدّيانات الأخرى، والمواطنة التي شملت المسلمين واليهود وهذا بما يدل على أن الإسلام لا ينكر على غيره حق المواطنة وكذلك مفهوم السيادة، وحدود

---

‡ هي العقد الذي أبرمه الرسول بين أهل المدينة المنوّرة كدستور وقاعدة رئيسة، تسير عليها الدّولة الإسلاميّة (انظر ابن كثيرج٣ ص:٥٠٣-٥٠٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدّولة والأمن الداخلي والخارجي والحقوق والواجبات والمسؤوليّة الشخصيّة. (الحميدي،١٩٩٤م،ص:٧٤،٧٥).

وبعد ذلك توجّه إلى عالميّة الدعوة؛ لأن الإسلام عالمي، ولم يختصّ بفئة بعينها، بل هو دستور للناس كافّة، بغضّ النظر عن ألوانهم وألسنتهم. وقد أرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى كلمة التوحيد، فأرسل إلى هِرَقل عظيم الروم، وكسرى عظيم الفرس، والمقوقس ملك مصر، والحارث الغساني ملك الحيرة، والحارث الحميري ملك اليمن، والنجاشي ملك الحبشة. (الأصبحي، سابق، ص٢٧٩)

لقد حارب الرسولε **الظلم**؛ لأنه ليس من القيم الإسلاميّة، وهو نقيض **العدل** وحث على **العدل** من خلال الأحداث والوقائع في زمنه، وقد قال ε في ذلك من خلال الحديث القدسي: **(يا عبادي إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً)** (رواه مسلم).(مهنا،١٩٩٩م،ص:١٥٧).

وبناءً على ما تقدّم؛ فإنَّ القرآن والسنّة النبويّة هما المصدر الرئيس في الفكر السياسيّ الإسلاميّ وإرساء القيم الإسلاميّة، التي يدور في فلكها ويرتوي منهما ويرد كلّ استحداث فكريّ بعدهما إليهم، وإلا قد فرغ أيّ فكر إسلامي من المفهوم الإسلاميّ دونهما.

٢- مصادر مفسرة:

لقد تجاوز عمر الإسلام الأربعة عشر قرناً، وهو عالمي ولم يقتصر على أمّة بعينها، ولا إقليم بحدوده؛ ولكنه عالمي في رسالته إلى الأرض، ومن فيها من شعوب، وحضارات وثقافات، ومدركات عقليّة متفاوتة، وقوى إسلاميّة تفرض نفسها واقعيّاً على الأخر، وضعف وهوان وانصياع إلى الأخر؛ لأن المغلوب مولع بالغالب، فكان لا بُدَّ أن يوجد ما يفسّر الثوابت التي عنيت بلغة واحدة، ومصدر واحد، من خلال علماء الأمة.

يُعَدُّ الفقه الإسلاميّ بشكل عام، والفقه السياسيّ الإسلاميّ بشكل خاص، من أهم مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ الوضعي، بعد انقطاع الوحي، لتكتمل الحياة وفق ما جاء في المصدر الأول الوحيد، الذي يفسّر ويشرح إلى العالم المقاصد من الرسالة المحمديّة، في جميع الظروف وعلى مرّ الزمان، من خلال اجتهادات العلماء لإيصال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة ودحض ما أدخل عليه لتشويه الصورة الحقيقيّة للإسلام، سواء من الذين يعادونه، أو من أبناء جلدته الذي يحول **بعدله** عن تحقيق مصالحهم.

وعليه؛ فإنَّ **الفقه** الإسلاميّ الذي يفسّر ما صعب على المجتمع من خلال علماءِ ومفكري الإسلام، جاء على النحو الآتي:

١) الإجماع:

الاجماع في اللغة: هو العزم، يقال: أجمع فلان على كذا، أي عزم عليه، أو هو الاتفاق. ونقول: أجمع القوم على كذا، أي اتفقوا عليه (عبد الرازق،ص:٦).

والإجماع اصطلاحاً: هو اتفاق المجتهدين من أمة سيّدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- على أمر شرعي.(الشوكاني،ص:٧١).

وبناءً على ما سبق من التعريف؛ نجد أن الإجماع له مجموعة من الأركان، هي:

الاتفاق بين من يكون فيهم **القدرة** على الإفتاء، و**العلم بالشّريعة** بصريح القول ولو بعدت المسافات بينهم، ولا يكون إجماعاً إذا خالف بعضهم، وأن يكون المجمعون من الأمة الإسلاميّة، ويكون إجماعهم على أمور شرعيّة دينيّة (أمامة،٢٠١٠،ص١٨١).

أ. أنواع الإجماع:

إن الحق واحد في كلّ زمان، لا يتغير ولا يجوز نقضه بإجماع أخر، ولا يجوز مخالفته ظاهراً أو باطناً.

والإجماع نوعان:

- الإجماع الصريح: أن يُعلن المجتهدُ صراحةً رأية بفتوى أو قضاء.
- الإجماع السكوتي: وهو إذا أعلن صراحةً بعض المجتهدين وسكت الآخرون لموافقتهم الرأي؛ فإنهم في سكوتهم يؤيدون الآخرين، ولو كان هناك خطأ لم يسكتوا ويقدم الصريح على السكوتي؛ لأنه أقوى. (زيدان،٢٠٠٥،ص:١٧٨).

ب- حجيّة الإجماع:

لقد استدلَّ العلماء على حجيّة الإجماع من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة، ومن آيات القرآن التي استدلوا بها بقولة تعالى: ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً)) (سورة النساء الآية ١١٥) وقولهع **"إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"** وقال ابن تيمية في هذا الخصوص: **"من خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا"** وعلى الأمّة ألّا تنكر الإجماع، وعليها أن تلتزم بما صدر من إجماع، ومن ينكر الإجماع الصريح فقد كفر ومن أنكر الإجماع السكوتي؛ فإنه ضالٌ حسب رأي جمهور العلماء (أمامة، سابق، ص٢٨٢-٢٨٣).

٢) الاجتهاد:

أ- القياس:

القياس في اللغة: التسوية في المقدار(ابادي،١٩٩٧م.ص:٢٦٤)

القياس اصطلاحا: إلحاق واقعة لم يقع بها نصٌّ بواقعة ورد بها نصٌّ لعلة جامع بينهما(زيدان، سابق، ص:١٨٧).

(أ) حكم القياس:

هو المصدر الرابع من مصادر الشريعة، وحجّة على المسلمين، ولكون الشريعة الإسلاميّة دائمة إلى قيام الساعة، وعلى مرّ الزمان، تدخل الكثير من المستجدات فلزم القياس على ما حدث من أمر مشابه في التاريخ الإسلاميّ، ويقول المزني: **" الفقهاء من عصر الرسولع إلى يومنا هذا استعملوا المقاييس في جميع الأحكام في أمر دينهم واجمعوا على إن نضير الحق حق، ونضير الباطل باطل، فلا يجوز لأحد إنكار القياس؛ لأنه التشبيه بالأمور والقياس عليها"**(أمامة، سابق،ص٣١١).

(ب)**الاستحسان:**

الاستحسان في اللغة: اعتقاد الشيء حسنا.(أبادي، سابق، ص: ٣٦٣).

الاستحسان اصطلاحا: ترك قياس ظاهر، إلى قياس خفي لمصلحة أقوى، أو استثناء حكم من قاعدة عامّة. (زيدان، سابق،ص:١٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا كان الاستحسان يستند إلى الأدلّة الشرعيّة، فهو متفق عليه، ولكن إذا كان لا يتجاوز عقل المجتهد، بناءً على تصوّرات عقليّة، ولم يجد إسنادها في الأدلة الشرعيّة فهو باطل ومحرم(أمامة، سابق، ص٣٣١).

(ج)الاستصحاب:

الاستصحاب في اللغة هو: طلب المصاحبة، والملازمة، وعدم المفارقة.(ابادي، ص:٩١٥).

الاستصحاب اصطلاحاً هو: "ثبات أمر في الزمن الحاضر، بناءً على ثبوته فيما مضى"(زيدان،سابق،ص:٢٠١).

لقد اختلف العلماء على حجيّة الاستصحاب، وذلك على النحو الآتي:

١. أنّه ليس بحجة.
٢. إن الاستصحاب حجة للدفاع والنفي، وليس للإثبات والاستحقاق، أي لدفع ما هو ليس بثابت، وليس لإثباته.
٣. إن الاستصحاب حجة مطلقا لتقرير الحكم الثابت، حتى يقوم الدليل على تغييره، فيصلح للاستحقاق كما يصلح للدفاع، أي هو إثبات الحقين الإيجابي والسلبي ما لم يقم دليل مانع من الاستمرار.

وقد استنبط من الاستصحاب بعض المبادئ الفقهية، هي:

١. إن الأصل بقاء ما كان، حتى يثبت ما يغيّره.(٢) الأصل في الأشياء الإباحة.(٣) اليقين لا يزول بالشك.(٤) الأصل في الذمّة البراءة من التكاليف والحقوق. والاستصحاب هو أخر المصادر الفقهيّة التي يلجأ إليها الفقيه، بعد ألّا يجد حكما شرعيّاً في الإجماع، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان(زيدان،ص ص:٢٠١-٢٠٢).

(د) المصالح المرسلة:

التعريف اللغوي: هي جلب منفعة أو دفع مضرة، وهي عكس المفسدة (أبادي،١٩٩٧،ص:٩٣٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعريف الاصطلاحي: هي المصالح التي لم يشرّع الشارع حكماً لتحقيقها، ولم يدلُّ دليل شرعي على اعتبارها، أو إلغائها وسميّت مطلقة لأنها لم تقيّد بدليل اعتبار، أو دليل إلغاء(خلاف،ص٦٥).

لقد اختلف العلماء في حجيّة المصالح المرسلة، وقسموها إلى ثلاثة أنواع، هي :

١. **المصلحة المعتبرة شرعاً**: هي التي دلّ عليها من القرآن والسنّة والإجماع والقياس، ولم تناقض الشريعة فهي مقبولة.
٢. **المصلحة الملغاة شرعاً**: هي المصلحة التي تكون **بنضر** الناس مصلحة ؛ولكن تكون مفسدة من المنظور الشرعي، أو تفوت مصلحة أكبر منها.
٣. **المصلحة المسكوت عنها**: هي التي لم تثبت أو تبطل بدليل من القرآن والسنّة والاجماع والقياس(أمامة، سابق،ص٣١٣، ٣١٤).

شروط الأخذ بالمصالح المرسلة عند من أقرّوا حجيتها، وهي:

أ- ألّا تكون المصلحة مصادمة لنصٍ أو إجماع.
ب- إن تعود على مقاصد الشريعة بالحفظ والصيانة.
ج- أن تكون ملامة لمقود الشارع.
ح- أن تكون معقولة المعنى. (أمامة، ص٣١٨).

(٥) العُـــرف:

العُرف في اللغة: هو المعروف، وهو خلاف المنكر وما تعرّف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم.(ابادي،سابق،ص:١٠٧٧).

العُرف اصطلاحاً: هو ما ألفه المجتمع وسار عليه في حياته من قول أو عمل أو ترك ويسمى عادة.

والعرف نوعان:

- **عرف صحيح**: هو ما لا يخالف نصوص الشريعة، ولا يفوت مصلحة معتبرة ولا يجلب مفسدة راجحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **عرف فاسد**: هو ما خالف الشريعة أو جلب ضرر أو يدفع مصلحة.
- **العرف القولي**: هو ما تعارف الناس على لفضة بمعنى ما غير المعنى الأصيل له.
- **العرف العملي**: هو ما اعتاده الناس في اعمالهم.

وقد يكون:

- **عرف عام**: إذا شاع في جميع المجتمع الإسلاميّ وسار عليه الجميع.
- **عرف خاص**: وهو ما شاع في إقليم دون أخر، وأصبح خاصاً لناس في ذلك الإقليم.

حُجيّة العرف :

قال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين). (سورة الأعراف الآية:١٩٩).واعتبره العلماء أصل من أصول الاستنباط تبنى عليه الأحكام ومن أقوالهم الدالّة: العادة محكمة، والثابت بالعرف ثابت بدليل شرعي.(زيدان، سابق، ص ص:١٩٤،١٩٥).

العرف المتفق عند العلماء على حجيّته؛ هو العرف الصحيح العام المطَّرد من عهد الصحابة ومن بعدهم، والذي لم يخالف نصاً شرعيّاً ولا قاعدة أساسيّة، والعرف الفاسد لا حجيّة له، ولا يدخل في السياق الإسلاميّ، واختلاف الزمان لا يختلفان فيه الحجة والبرهان.(الأمام،سابق،ص٣٥٠).

(و) شرع من قبلنا:

تعريف شرع من قبلنا: هو الأحكام التي شرعها الله على الأمم السابقة وأنزلها على الأنبياء والرسل لتبقيها لتلك الأمم.(زيدان.٢٠٠٥م،ص:١٩٨).

لقد اختلف العلماء في حجيّتها بالنسبة للمسلمين، وهي أنواع نذكرها على النحو الآتي:

١. أحكام جاءت في القرآن أو في السنّة وقام الدليل على أنها مفروضة علينا كما كانت مفروضة على من سبقنا من الأمم والأقوام.
٢. أحكام خاصة بالأمم السابقة ورفعة الله عنا وجاء الدليل على نسخها عنا.
٣. أحكام لا دليل عليها لا في القرآن ولا في السنّة وهذا النوع لا يكون شرعاً لنا بإجماع العلماء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. أحكام لها نصوص ولكن لم تأتِ نصوص أو أدلّة على بقاء الحكم أو عدم بقائها، وهذا النوع هو محور الخلاف بين العلماء. مثل قولة تعالى: (**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (سورة المائدة الآية:) ٤٥** وأن شرع من قبلنا هو المصدر لحوار الحضارات ،أو حوار الأديان؛ لإثبات أن الإسلام مكمّل لما نزل من قبل، وليس عارض يستحق الاندثار كما يرى البعض(زيدان، سابق، ص ص:.١٩٨،١٩٩).

٣- التراث العربي والإسلاميّ:

وهي المصادر المستمدة من التراث الإسلاميّ، ولا تُعَدُّ من المصدرين السابقين لمرورها بالظاهرة السياسيّة، مروراً دون التركيز عليها، أي الظاهرة السياسيّة مع الأخذ في الأهميّة لتراث الإسلاميّ، لكونه أنقى أنواع التراث:(الهزايمة، ٢٠٠٥م،ص:١٢٤).

أ. **الخطب:** وهي من الوسائل المستخدمة للإقناع، ونقل الصورة سواء من الحاكم أو المحكوم، وهذا يعود لقدرة العرب في البلاغة والإقناع، ومن أمثلتها خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في الناس عند خروج سعد بن أبي وقاص على رأس جيش إلى العراق فوقف الفاروق وقال:**" إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول ليحيي به القلوب؛ فإنَّ القلوب ميّتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيء فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأمّا الإمارات فالحياء والسخاء والهين والين، وأمّا التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر باب، ويسّر لكل باب مفتاح، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كلّ واحد قبله حق، وتأدية الحق لكل واحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحدا، واكتفِ بما يكفيك من الكفاف؛ فإنَّ من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء، إني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه، فانهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع"**(الحميدي،٢٠٠٥م،ص: ٢٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. **الرسائل:** هي التي تدور بين رأس الدّولة، ومن يديرون شؤون الدّولة معه، وكذلك بين القيادة والقيادات في الدّول الأخرى، لما لها من أهميّة لفهم ما يدور من أحداث سياسيّة، في تلك الأنظمة، ومن أمثلتها رسالة عمر بن عبد العزيز إلى خليفته في الكوفة، وهي: **"إن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنّة خبيثة سنّها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدّين العدل والإحسان فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك، فلا تحمّلها قليلاً من الإثم ولا تحمّل خرابا على عامر، وخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذ أجور الضرّابين، ولا هديّة النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح ولا أجور البيوت، ولا درهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض، فاتبع في ذلك أمري؛ فإني قد وليّتك من ذلك ما ولّاني الله، ولا تتعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه، وانظر من أراد من الذريّة أن يحجّ، فاعجل له مائة ليحج بها والسلام"**(ابن الأثير،١٩٨٧،ص ٣٢٦،٣٢٧).

ج. **الكتب الموسوعيّة**: وهي التي تنقل لنا الأطر المعرفيّة والثقافة في فترة تدوينها وهي شامله لكل ما له علاقة في تلك الفترة. مثل كتاب **"صبح الأعشى ""للقلقشندي** " وكتاب" **الآداب الشرعيّة "لابن مفلح"** وكتاب **"الفنون "لابن عقيل**(عارف،١٩٩٤،ص:١٠١)

د. **تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة** من كتابات لها الصدى والتأثير الثقافي، لما فيها من إرث كبير مثل كتاب **"الإمامة والسياسة"" ابن قتيبة"** وكتاب **" تاريخ الخلفاء والملوك" للسيوطي"** و**"البداية والنهاية" لابن كثير"**(عارف،١٩٩٤،ص:١٠١).

ه. **الكتابات السياسيّة**: **(مرايا الأمراء)**: هي التي كتبت من العامّة وتوجهه إلى رأس الدّولة لنصح والإرشاد، من خلال كتابات تعبّر عن الواقع، في تلك المجتمعات ويسميها البعض **"الحكمة السياسيّة** "مثل: كتاب **" نصيحة الفقراء للملوك والولاة والوزراء"** لـ"محمد بن سعد الدّين النوبي الخطيب"(ربيع،سابق،٢٢٢).

و. **كتب الأدب**: وخصوصا الأدب السياسيّ. مثل كتاب **"السلطان"** لـ **"الدينوري"** وكتاب **"شهاب الدّين ابن الربيع" "سلوك الممالك في تدبير الممالك"** وكتاب **"أدب السلطان"** لـ **"محمد القزاز"**.و**"كتاب الأدب الفريد"** لـ **"ابن المقفّع"**.(عارف،سابق،ص:١٠٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هنـاك مصـادر للحضـارة العربيّـة الإسـلاميّة مثـل العـادات والتقاليـد العربيّـة قبـل الإسـلام، والمبـادئ والمفـاهيم الـواردة فـي القـرآن الكـريم والانفتـاح علـى الحضـارات الأخـرى، والواقـع والسـلوك مـن خـلال الحركـة التـي مـرّت علـى ألامّـة مـن صـدمات وظهـور تيّـارات وأفكار وتنظيمات متعددة.

المراجع التي من خلالها نستطيع دراسة التراث السياسيّ الإسلاميّ، وهي:

- مصادر اللغة العربيّة: مثل القرآن الكريم والشعر الجاهلي

- الفهم الحقيقي لدين الإسلاميّ: من خلال العودة إلى نهج السلف.

- إبراز أدوات منهجيّة يمكن تطويرها لصالح دراسة التراث الإسلاميّ.

- الإلمـام بـأدوات البحـث العلمـيّ الغربـي واستصـلاح مـا يوافـق الإسـلام واسـتخدامه " أسلمت المعرفة". (ربيع، سابق، ص ص:٢٢٤،٢٢٥)

ثانيا": ركائز الفكر السياسيّ الإسلاميّ:

إن الفكـر السياسـيّ الإسـلاميّ كغيـره مـن الأفكـار السياسـيّة؛ ولكـن لـه خصوصـيّة مـن خـلال القـيم بجميـع أنواعهـا العليـا، والحضـاريّة، والخلقيّـة، وهـي الركـائز الأساسـيّة للفكر السياسيّة الإسلاميّ، وهذه الركائز هي:

١- الوحدانية:

إن الله واحـد لا شـريك لـه، بجميـع مـا تحويـه الوحدانيّـة مـن معنـى، فهـو فـرد أزلـيّ صـمد أبـديّ والأول والأخـر، وهـو القـاهر الجبـار، وهـو مالـك الملـك، ولا ملـك لملـك إلـى هـو صاحبه يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.(الابشهيني، ص١١).

والتوحيـد هـو توحيـد الربوبيّـة، وتوحيـد الألوهيـة، وتوحيـد الأسـماء والصّـفات، وتعرفنـا علـى وحدانيّـة الله مـن خـلال أسـمائه الحسـنى بكـل معانيهـا مـن خـلال الإطـار الفكـري لفهـم هـذه الأسـماء وصـفات.(العكش،٢٠١٤، ص٢٣" والتوحيـد الخـالص لله سبحانه وتعالى بالطاعة والعبادة والعمل بالتشريع".(الهزايمة، ٢٠٠٥م، ص:١٢٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما سبق؛ فإنَّ الوحدانية لله سبحانه وتعالى، فهي من مرتكزات الفكر السياسيّ الإسلاميّ، وهي الجامع المانع لمن اتبع هذا المنهج لترسيخ المبدأ وتحقيق الغايات سواء أكان نظريّاً أم عمليّاً.(الهزايمه،سابق،ص:٥٤).

٢- الشورى:

عند التصفح لسور القرآن؛ سنجد أن هناك سورة كريمة تحمل هذا الاسم، وهذا دليل على القيمة الكبيرة لهذا المفهوم في الإسلام، وكما أن القرآن قصَّ الكثير من قصص الأمم السابقة، التي كانت تطبّق هذا النظام، مثل الحكم في دولة سبأ **(قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) (النمل:٣٢)** وكذلك أمر الله الرسول ε في مشاورة أصحابه في كثير من الأمور، خصوصاً التي كانت مصيريّة بالنسبة للدولة الإسلاميّة، مثل غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الخندق.**(وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (الشورى:٣٨)** وقال الرسول صلى الله عليه وسلم **(ما ندم من استشار، وما خاب من استخار)** رواه الترمذي (سميران، وآخرون،٢٠١٠م،ص١٤٠).

لقد ترك الرسول ε أمر اختيار من يحكم المسلمين -بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى- شورى بين المسلمين. دون نصٍّ صريح منه لمن يكون الحكم من بعده، واجتمع عدد من المسلمين في سقيفة بني ساعده(§) ليختاروا من يحكمهم من خلال الشورى وفرض رأي السواد الأعظم على رأي الأقليّة واحترامهم لجميع الآراء، من غير انتقام أو تقصٍّ لمن لم يوافق الرأي.(الفهداوي، ٢٠٠٣م،ص٤٠٣).

وأهل الشورى يختلفون من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، ولكن هذا لا يعفيهم من أن يكونوا ملمين بجميع شؤون الدّولة، دون الاقتصار على اتجاه، ويجب أن يكونوا من الملمين في القضيّة مدار الشورى، وكذلك الإخلاص وترك المصالح والمجاملات جانباً، وأن يكونوا مما لديهم العلم في حدود الله والشريعة، وليس من وجهاء القوم، ولو كانوا من أجهلهم، وأن يعلموا أن ما سيصدر عنهم؛ سيكون عرفاً يسيرُ عليه الناس لزمن؛ فإنَّ أصابوا لهم الأجران، وأن أخطأوا لهم أجر، وأن كانت

§ هي مكان يجتمع فيه الأنصار ويتداولن فيه أوضاعهم الاجتماعي وغيرها في المدينة المنوّرة(انظر كتاب حقبة من التاريخ عثمان الخميس)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغايــة لمصــالحهم دون مصــالح ألامّــة؛ فــإنَّ علــيهم وزرهــا، والله لهــم فــي المرصــاد. (مهنا، ١٩٩٩م،ص ص١٧٣،١٧٤).

٣- العدالة

قـال تعـالى **(إن الله يـأمر بالعـدل والإحسـان وإيتـاء ذي القربـى) (سـورة النحـل، الآيـة:٩٠)** وعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه عـن الرسـول ε أنّـه قـال: **"ثـلاث لا تـرد دعـوتهم، الأمـام العـادل، والصـائم حتـى يفطـر، ودعـوة المظلـوم تحمـل علـى الغمـام وتفـتح لهـا أبـواب السـماء"** فبالعـدل تتلاشـى القـوّة، وإن القـوي ويقـوى الضـعيف، وأن الحـاكم العـادل محبـوب، والحـاكم الظـالم مكـروه، وأن الزمـان الـذي يكـون بـه **العـدل** هـو زمـن الثواب..(المستطرف، سابق،ص١٨٥).

لقـد بعـث الله عـز وجـل الرسـول ε برسـالة شـاملة وعامّـة، ولـم تخـتصّ بفئـة معيّنـة مـن البشـر ولهـا أهـداف كثيـرة، وعلـى رأسـها إقامـة العـدل ورفـع الظلـم، وخصوصـا فـي تلـك الفتـرة التـي عانـت البشـريّة فيهـا مـن الظلـم، وكـان لا بـدّ مـن رفـع الظلـم وتحقيـق العـدل الـذي مـن خلالـه تتحقـق الكرامـة للإنسـان التـي هـي هبـة مـن الله للإنسـان، وليسـت منحـة مـن الحكـام للرعيّـة، وذلـك بـنصِّ القـرآن الكـريم **(ولقـد كرّمنـا بنـي آدم) (الإسـراء:٧٠)** (سـميران وآخرون، سابق، ص ١٤٣)

ولـن يسـتطرد الباحـث كثيـرًا فـي هـذا، كـون الموضـوع المركـزيّ للدّراسـة التـي سـتقدم شرحاً تفصيليّاً لاحقاً.

٤- الحريّة:

كـان العـرب قبـل الإسـلام يتمتعـون بكامـل الحريّـة، باسـتثناء حريّـة التفكيـر التـي قيـدوها بأنفسـهم، وبعـد أن جـاء الإسـلام دوَّنَ نـصٌ حرفـيٌ لهـاذ المفهـوم "الحريّـة" ولكـن أوجـد الكثيـر مـن المفـاهيم التـي تهـدف إلـى هـذا المفهـوم منـذ خلـق الله الإنسـان وأدخلـه الجنّـة. وأعطـاه الحريّـة المنقوصـة ببنـد واحـد فـي الجنـة، وهـو نهيـه عـن أكـل ثمـار شـجره فـي الجنة.(الريسوني، العددان، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م).

والكرامـة الإنسـانيّة مرتبطـة بالحريّـة، وهـي فطريّـة، ولكـي تتحقـق الغايـة مـن الحريّـة لا بدَّ لهـا من ضـوابط لتتحقق في إطـار لا غلو فيـه ولا تهـاون؛ لأنها حـق لكل إنسـان، ولكـن مـع احتـرام حريّـة الآخـرين وعـدم قمـع حريّـة إنسـان مـن أجـل حريّـة الآخـر، وهنـاك قاعـدة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرعيّة تنصّ على هذه القيمة، وهي **"الأصل في الأشياء الإباحة"** أي حريّة التصرّف، وهناك اتجاهات عدّة لهذه القاعدة نذكر منها.(الريسوني،٢٠٠٢-٢٠٠٣).

وان استغلال الإرادة والرأي والفكر من أصال التوحيد؛ لأن الله هو مصدر الحقوق والواجبات وإعطاء الحق للإنسان بالجهاد، من أجل الحصول على حقه؛ لأنها من الأمور التي لا يفرّط بها، أو التنازل والقبول بالذلّ والهوان الذي يؤدّي إلى تهميش الفرد/ ويجعله مستعمراً فكريّاً وعقائديّاً، فضلاً عن أنه مسلوب الحريّة.(فتاح، العددان، ٢٠٠٢م -٢٠٠٣م).

والله قد كلّف الإنسان أن يخلفه في الأرض ولا بدَّ لهذا الخليفة أن تكون له الحريّة التي لا يقيدها إلى من أنابه، وهي المسؤولية، ولا يمكن أن تكون دون حريّة ولا حريّة دون التفكير، وهذا التفكير عليه أن يكون حراً ومصاناً لتتحقق الغاية من الاستخلاف في أعمار الأرض والشهادة على نفسه وعلى من حوله. (فتاح، العددان، ٢٠٠٢م -٢٠٠٣م).

٥- المساواة:

المساواة هي: **"تشابه المكانة الاجتماعيّة، والحقوقيّة، والمسؤوليّات، والفرص لناس من المجتمع، على النحو الذي تقوم عليه الحالة المتماثلة فيما بينهم "**، وللمساواة ميادين في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والمدنيّة، وكذلك تطبق في بعض المواقع مثل: المساواة أمام القانون للناس مع التجريد للإنسان والنظر إليه دون امتيازات وراثيّة أو لون أو عرق أو جنس أو معتقد، وكذلك المساواة في تكافؤ الفرص للجميع دون تمييز يذكر، وكلّ حسب ما لديه من إمكانات تؤهله الحصول على فرصته (ربيع وآخرون، سابق،ص١٦٧).

إن هذه القيمة عززها الإسلام لتكون الطريق إلى معرفة الإنسان لنفسه بين الناس، وأنه لا فرق بينه وبين غيره من البشر، الذين خلقهم الله وترك ما يفسد هذه القيمة من تمييز على أسس غريزيّة أو عنصريّة، بعيده -كلّ البعد- عن التعاليم الإسلاميّة؛ لتمكين هذا المبدأ في نفوس الناس.(الهزايمة، د.ت).

إن الإسلام جاء ليغيّر الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة أيام الجاهليّة، ومن هذه المفاهيم المساواة التي كان عند العرب قبل الإسلام لا يعرف لها طريق؛ لأن القوي يأكل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضعيف، ولا يتساوى الأمير بالإنسان العادي لا في الحقوق ولا في الواجبات ولا في الديّة، حيث أن ديّة الشريف منهم أضعاف ديّة الإنسان العادي، ولكن الإسلام غيّر من هذا المفهوم، فقال تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) (سورة الحجرات، الآية: ١٣)** وقال رسول ε: **(إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهليّة وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، أو فاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب)** (العوا، سابق،ص٢٢٢).

وبناءً على ما تقدّم؛ فإنَّ القرآن والسنّة النبويّة هما المصدر الرئيس في الفكر السياسيّ الإسلاميّ وإرساء القيم الإسلاميّة، التي يدور في فلكها ويرتوي منهما ويرد كلّ استحداث فكري بعدهما لهم، وإلا قد فرغ أيّ فكر إسلاميّ من المفهوم الإسلاميّ دونهما، أمّا الاجتهادات فإنها مصادر بشريّة؛ ولكنها تستند إلى الأصل من قرآن كريم وسنّة نبويّة ولا تخالفهما، أمّا الحضارة العربيّة كمصدر للفكر السياسيّ فإنها خليط من أفكار ومبادئ عربيّة كانت قبل الإسلام، تحكمها القيم، وبعد الإسلام اجتمعت فيها القيم العربيّة والعقيدة الإسلاميّة.

المطلب الثاني: تطوّر الفكر السياسيّ الإسلاميّ

إن الفكر السياسيّ الإسلاميّ مرّ -وعلى مدار الفترة الزمنيّة التي تواجد فيها كواقع على وجه الأرض- بعدة تطوّرات، وذلك من خلال فترات تاريخيّة مفصليّة وتشعبيّة في توسّع الرقعة الإسلاميّة، وظهور فرق، وتشكيل دول، وانضمام حضارات، وثقافات أخرى، إلى المجتمع العربي والإسلاميّ، وجميعها لها دور في فهم وصياغة مفهوم العدالة. وأهم المراحل التي مرّ بها الفكر السياسيّ الإسلاميّ، هي الاتية:

أولاً: مرحلة التأصيل لمفهوم العدالة

لقد أرسل الله الرسل لإقامة العدل الذي يريده على الأرض، من خلال التوحيد وجعل للإنسان علاقة مع الله لتحقيق العبوديّة، ومع الطبيعة لخدمته والاستفادة منها؛ لأنها خلقت لتخدم الإنسان الذي سخّرها الله له وكذلك علاقة البشر مع بعضهم البعض، من خلال فهم الشريعة لتتحقق التوازن للبشر، على أساس عادل ومسيّر من الله ولا لبشر تدخّل إلى الانصياع، والطاعة والقبول الجبري، لأن الإنسان غير قادر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علـــى الاعتـــراض علـــى مشـــيئة الله ســـبحانه وتعـــالى.(جبرون وآخـــرون، ٢٠١٤، ص٢٤٠).

إن الإسـلام هـو العـدل والعدالـة هـي الإسـلام، والرسـول ε هـو الـذي قـام بإرسـاء القـيم والمبـادئ الإسـلاميّة بعامّـة، والعدالـة بخاصّـة، مـن خـلال السـنّة النبويّـة فـي زمـان كـان الظلـم صـاحب الـدور الأكبـر، لـم يسـتفد منـه إلا أصـحاب النفـوذ والقـوّة وعواقبـه علـى الضـــعفاء مـــن النـــاس وتطبيـــق العـــدل الكامـــل بحســـب مـــا أراده الله ســـبحانه وتعالى(مكتبي،١٩٩٨،ص١١).

ونهـى الرسـولε عـن الظلـم؛ لأن عواقبـه الخـراب والـدمار للمجتمـع، ولا يمكـن أن تسـتقيم أمّـة إلا إذا نبـذت الظلـم وحققـت العـدل بـين النـاس لتقـوم مـن خلالـه الحيـاة الكريمـة والآمنـة، ويفـرح الرسـولε عنـدما يأخـذ النـاس حقـوقهم وينصـف المظلـوم مـن الظـالم وقـال عنهـا فـي الحـديث النبـوي: **"اتقـوا الظلـم فـإنَّ الظلـم ظلمـات يـوم القيامة"**.(مكتبي، سابق).

كانـت الـدعوة الإسـلاميّة فـي عهـد الرسـولε والصـحابة تهـدف إلـى تغييـر السـلوك المتبـع إلـى سـلوك طريـق الحـق والعـدل الـذي سـتقوم عليـه الأمّـة فيمـا بعـد مـن خـلال توجيهـات الرسـول ε والصـحابة وفهمهـم للهـدف مـن الـدعوة التـي تـدعو إلـى التوحيـد والخضـــوع والعبوديّـــة لله وحـــده فـــي جميـــع منـــاحي الحيـــاة السياســـيّة والاقتصـــاديّة والاجتماعيّة.(جبرون وآخرون،سابق،ص٢٤٥).

كمـا أن الرسـول شـهد قبـل الـدعوة حِلـف الفُضـول لرفـع الظلـم عـن النـاس سـواء كـانوا مـن أهـل مكـة أو مـن خارجهـا، وقـال الرسـولε عنـه **:"لقـد شـهدت فـي دار عبـد الله بـن جـدعان حلفـاً لـو دعيـت إليـه فـي الإسـلام لأجبـت، ومـا أحـبّ أن لـي بـه حمـر الـنعم، وإني نقضته، وما يزيد الإسلام إلى شدّة"** (المكتبي،ص٢٥).

ولأن الرسالة من عند الله، والرسولε ينفذ ما أمر الله به، فقد عاتب الله الرسولε في قضيّة حصلت في عهد الرسول، وهي أن أحد المسلمين سرق درعا وخبأه عند رجل يهودي وتبيّن أمره، إلا أن اليهودي أنكر الدرع، فأخذ المسلمون يقنعون الرسول ε أن اليهودي هو السارق والكف في البحث عن إحداثيات السرقة وإقامة الحد على اليهودي؛ ولكن الرسولε تقلّب في عاطفته وبرأ اليهودي من خلال البيّنة، ولكن رب العزة لم يرد له أن يتعاطف في الحق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنزل الآيات الكريمة معاتبا إياه في ميل عاطفته وقال تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣))سورة النساء: الآيات ١٠٥-١١٣)** (مكتبي، ص٣٥-٣٦).

ولم يترك الرسول ε الدنيا إلا بعد أن أرسى جميع القواعد التي تسير عليها الدنيا كما أرادها الله الذي أرسله بالهدى والعدل، ونفذ الرسول ε الأمانة كما أرادها الله ولم يكن لبشر دوراً في هذه الدعوة التي جنبت كلّ ما له أن يؤثر عليها ولو كان لمصلحه وتغليب المصلحة العامّة على المصلحة الشخصيّة (المودودي،١٩٨٧،ص١٨١)

ثانيا: عهد الخلفاء الراشدين: (١١ – ٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م)

لقد ترك الرسولε الدّولة التي أسسها على نهج سليم مصدره القرآن الكريم وسنّته الموحاة إليه من الله، على قيم ومبادئ عجزت البشريّة أن تحققها من قبل ومن بعد، وترك فراغاً في السلطة استطاع الخلفاء من بعده أن يحافظوا على تلك المبادئ، وحاربوا كلّ من حاول أن يغيرها أو يبتعد عنها، وتمسكوا بمفهوم العدالة من بعده، أكثر من غيرهم من الناس، بسبب قربهم من الرسولε ونظرتهم إلى الإسلام كدين لله سبحانه وتعالى، وليس لمكاسب ومصالح دنيويّة، وأهداف آنيّة ونشر رسالة أرادها الخالق للبشر كافة وليست لفئة من الناس على حساب أخرى، ودون تعصّب وتطرّف وإنكار الأخر، إلا ما نصَّ عليه الدّين وعلّمهم إياه الرسولε.

اتفق الصحابة على **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه حاكماً لهم بعد الرسولε وكان الاختيار لمن هو أحق بها لقربه من الرسولε وشهادة الله له في القرآن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والصادق الأمين الذي صدق الرسولε عندما كذبه الناس وحكمهم بتقوى الله وبسنّة نبيّه وجعل العدل الذي تعلمه مباشره من الرسولε هو الأساس للحكم، وكانت أول خطبه له بعد تولّيه الخلافة" **أمّا بعد أيها الناس: قد ولّيت أمركم ولست بخياركم، ولكن نزل القرآن، وسنّ النبي السنن، فعلمني أن أكيس الكيس التقي، وأن أحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له حقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.أيها الناس: إنما أنا متبع ولست بمبتدع؛ فإنَّ أحسنت، فأعينوني، وإذا زغت فقوموني**"(مكتبي، سابق، ص٤٣).

لم يضيف أبو بكر الصديق أثناء خلافته على الدّولة شيئاً من النظام والإدارة؛ لأن ما كان في عهد الرسول كان صالحاً إلى تلك الفترة، وخصوصا أن الدّولة كانت مقتصرة على أرض الجزيرة وجميعها دانت إلى الدّولة بعد الانتهاء من حروب الردّة(**).(العقاد، ص١٢١).

وتجسّدت العدالة السياسيّة في الإسلام من خلال مقولة **عمر بن الخطاب "إذا رغبت عن الحق قوموني "**وكان رد المسلمين لخليفتهم وحاكمهم **"قومناك بسيوفنا"** ليتكون لدينا المعنى من مفهوم العدالة السياسيّة والعلاقة ما بين المجتمع ومن يحكمه في أن لكل منهم له حق على الأخر، وأن حكمه كان مباشرة دون وسيط أو وزير أو حاجب أو نائب(العقاد،١٩٩٨م،ص:٩٣).

عندما تذكر العدالة في الإسلام يذكر عمر بن الخطاب، وعند ذكر عمر تكون العدالة الحاضرة في الذهن لما بينهم من ارتباط، فكان إذا نهى عن شيء أو أمر به أول ما يطبقه على أهل بيته، ويقول لهم: **" إني نهيت عن كذا وكذا وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير وأقسم بالله لأجد أحدا منكم فعله إلا ضاعفت عليه العقوبة"**(حسن،١٩٩٦،ص٢٠٢).

وله من المواقف الكثير في **مفهوم العدالة** على جميع الاتجاهات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي عام الرمادة(*) لم يأكل ابن الخطاب طعامًا أفضل من أقلّ فرد من أفراد دولته، وعطّل حدّ السرقة لعدم اكتفاء الشروط، وعيّن عمالاً له على

** بعد وفاة الرسول ارتدت بعض القبائل العربيّة عن الإسلام ورفضوا دفع الزكاة فما كان من أبي بكر إلى إن حاربهم (انظر البداية والنهاية ، ابن كثير)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الولايات، وقال يوما لمن كان حاضراً معه: **"ارتأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثمّ أمرته بالعدل أكنت قضيت ما عليّ؟ قالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا"**.(الاصبحي، سابق، ص٣٣٥،٣٣٤).

وكلمة عمر بن الخطاب لعمر بن العاص " متى **استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا** "هي ما تزال دستور العدل والحريّة والمساواة بين الناس، لما حملته من معانٍ جليلةٍ لترسيخ هذه المفاهيم في أذهان الناس، لتحقيقها بشتّى الطرق.(أبو سيّد،٢٠٠٦م،ص٣٩).

أمّا الخليفة الثالث **عثمان بن عفان** فقد سار على نهج أسلافه من الخلفاء الراشدين، وضمن ذلك في أول خطبه له وكأنها المنهج الذي سيسير عليه وهي **" فإني قد حملت، وقد قبلت، إلى وإنّي متبع، غير مبتدع، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ثلاثا: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنّ سنة أهل الخير فيما لم تسنّوا عن ملأ، والكفّ عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وان الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا، ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها"**.(الاصبحي،سابق،ص٣٤٥).

وقد جسّد مفهوم **العدالة** من خلال ما أوصى به عماله وقادته وكافة المسلمين في مضمون كتبه التي أرسلها إليهم يحثهم على تحقيق **العدل** بين الناس، حيث قال لهم: **" أمّا بعد، فإنَّ الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلى الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به، والأمانة، الأمانة، قوموا عليها' ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد، فإنَّ الله خصم لمن ظلمهم"**. (الاصبحي، سابق، ص ٣٤٥).

أمّا الخليفة **علي بن أبي طالب؛ فقد** كان مفهوم العدالة عنده، وعلى الرغم من **الفتنة** والحروب الداخليّة وتشعب المسلمين وظهور فرق جديدة ونقل العاصمة إلى الكوفة، كان أول خطاب له في المدينة يحثّ الناس على يتقوا الله في جميع أمور الحياة، وأن تكون مخافة الله هي الوازع الأول والأخير، وكانت خطبته الثانية عن **العدالة**، وأنها هي أساس الحكم، حيث قال: **" فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحق، فالجور عليه أضيق....، والمال مال الله يوزع عليكم بالسوية..."(الاصبحي، سابق، ص ٣٦١).

وبعد مقتل علي بن أبي طالب أصبح هناك واقعاً جديداً على الساحة، وتغيّراً لمفهوم العدالة من خلال بني أميّه الذين قامت عليهم مسؤوليّة ألامّة الإسلاميّة دون منازع، وهذا يُعَدُّ مفصلاً في تاريخ الإسلام على بعامّة، وعلى مفهوم العدالة بخاصّة، ومن هنا كانت البداية لزيادة التي تنقص من مفهوم العدالة ولا تزيد عليه، وفي هذه الفترة ظهور أول حزب سياسيّ إسلاميّ معارض يصوغ أفكار خاصّة به وينظر إلى العدالة من آراء المنتسبين إليه، وهم الخوارج.

٣- مرحلة الدّولة الأمويّة:(٤١هـ - ١٣٢هـ/٦٦١- ٧٥٠م)

قامت الدّولة الأمويّة وكانت تشمل بين أطيافها كلّ من كبار الصحابة وصغار التابعين، وهما جيلان في عصر واحد ولكل منهم رؤيته وفكره وأهدافه ونظرته إلى الواقع من خلال الأحداث الجارية في عصرهم، وهذا التفاوت أدّى إلى ظهور العديد من المذاهب الجديدة، وكذلك الأفكار والمعتقدات الدخيلة على الإسلام.

إنَّ أول خليفة للدولة الأمويّة وهو معاوية بن أبي سفيان اختاره أهل الشام بعد صدور الحكم من الحكمين وبعد استشهاد علي بن أبي طالب وتسلّم ابنة الحسن الخلافة، تنازل عنها لمعاوية لحقن دماء المسلمين وانصاع له الجميع من العراق والشام إلا الخوارج لم يعترفوا بخلافته، وذلك عائد إلى قضيّة التحكيم وخروجهم على الجميع وقتل علي بن أبي طالب على أيديهم (الخضر،١٩٨٦، ص٤٢٥).

لقد انتهى الماضي وظهر مفهوم جديد للسلطه والحكم الجبري[††] الذي استطاع معاوية أن يفرضه على الناس من خلال إقناعهم أن الحكم من الله، وأن الله يعطي حكمه لمن يشاء، وأن القدر[**] هو الذي له الدّور فيمن يحكم الناس، وهذا طريق جديد من خلال أول خطبه لمعاوية، وهي: **"ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا،**

---

†† الجبرية: وهم الذين غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حريّة له، ولا اختيار، ولا فعل

** القدريّة: هم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لاتآمر عليكم، ولقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون".(بشارة وآخرون،٢٠١٤، ص٢٤٥).

وقامت الخلافة الأمويّة باستحداث التوريث في الحكم على مبدأ الدّول الأخرى المجاورة لهم، وهذا مخالف للشورى الإسلاميّة الصحيحة، وكانت المبايعة جبريّة للناس، وكذلك السُّلطة المطلقة في الحكم، وجعل الخليفة هو خليفة الله في الأرض، وهذا المبدأ والأمر بأمر الله ولا يحق لأحد أن ينتقد تصرّفه والتعصّب إلى العرب، والعودة إلى عصبيّة الجاهليّة، ووضع المسلمين غير العرب في درجه أقل من العرب.(شلبي.١٩٩٢،ص١٦٧).

وتناوب على الخلافة الأمويّة أربعة عشر خليفة ساروا على نهج واحد باستثناء عمر بن عبد العزيز الذي أعاد الخلافة الراشدة في عصر النزاعات الطائفيّة، وأعاد المظالم إلى أهلها، ومنع سبَّ علي بن أبي طالب من على المنابر، ومنح المسيحيين كنيسة توما بدل كنيسة حنا التي صادرها الوليد بن عبد الملك، وساوى بين العرب وغيرهم من الموالي من الناحية الشرعيّة.(بروكلمان،١٩٧٧،ص١٥٠).

٤- الدّولة العباسية:(١٣٢- ٦٥٦هـ / ٧٥٠-١٢٥٨م)

لقد قامت الدّولة العباسية باسم الدّين وعلى أنقاض الدّولة الأمويّة بثوره من بني العباس وذلك لرفع الظلم عن المسلمين من جهة، وانتقامهم من بني أميّة من جهة أخرى، وذلك لأسباب اجتماعيّة يعود تاريخها إلى أيام الجاهليّة وإعادة السّلطة إلى آل البيت(حسن،١٩٨٠،ص ٨٩).

لقد ازدهر الفكر السياسيّ في العصر العباسي من خلال اهتمامهم بالعلم، حيث ميزوا بين العلوم من حيث المصدر والطريقة، وهي:

أ. **العلوم الشرعيّة " النقليّة"**

وقد اشتملت على علم التفسير والقراءات والحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والبيان والأدب. إن لكل علم من العلوم النقليّة دوراً مهمّاً في الفكر السياسيّ الإسلاميّ في العصر العباسي وعلم القراءات من العلوم التي أثرت في الفكر السياسيّ الإسلاميّ؛ لأنها أول المراحل في التفسير للقرآن، وعلم التفسير الذي اتخذ طريقين: التفسير بالمأثور وكيفيّة تفسير الرسولε والصحابة للقران، وعلى فترات زمنيّة أخذ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدخل عليه من أهل الكتاب لما وجد في كتبهم والتفسير بالرأي المعتمد على العقل الذي اشتهر الباطنيّة والمعتزلة به.(حسن، سابق، ص٣٢٥، ٣٢٦).

أُعتُني في العصر العباسي بعلم الحديث وتدوينه، فكتبت الكتب والمؤلفات بالحديث، ومنها الصحيحين لمسلم والبخاري، وصاحب **"تفسير السنن"** لسجستاني و**"الجامع والسنن"** لابن ماجة والنسائي، وعلم الفقه الذي اتجه في أربعة مذاهب، هي/ المالكي وطريقة النقل، ومن كتبه **"الموطاء"** والمذهب الحنفي الذي يأخذ بالعقل، والمذهب الشافعي ويأخذ بالعقل والنقل وله كتاب **"المبسوط في الفقه"** وكتاب **"الأمم والمذهب"** للحنبلي وصاحبه ممن تمسكوا برأيهم في قضيّة خلق القرآن والفقيه أبو يوسف وكان قاضيا في الدّولة العباسية وألّف كتاب **"الخَراج"**.

والعصر العباسي الأول، وقد تأثر في علم الكلام، ومن نتاجه ظهور المعتزلة بفكرهم في تلك الفترة وخلافاتهم مع أهل الفقه جعلهم يقومون بمحاربتهم في العقيدة واقنعوا الخلفاء بآرئهم ومعتقداتهم على أنها هي الأصلح، ليتمكنوا من منافسيهم واستحدثوا قضيتهم التي أودت بحياة الكثيرين من الفقهاء في محنة خلق القرآن، التي أثّرت على مفهوم العدالة الذي هو أساس الحكم، وبعد انتهاء هذه المحنة أطلق على جمهور الفقهاء اسم **(أهل السنة والجماعة)** واتهموا المتكلمة بالزندقة[§§] ومن أبرز المتكلمين واصل بن عطا وأبو هذيل الذي أدخل الفلسفة إلى مذهبه، وأبو حسن الأشعري والغزالي حجة الإسلام. (الاصبحي، سابق، ص٣٩٤).

أمّا علم النحو الذي سمي أهله بأهل المنطق أخذوها من كتب الفلاسفة التي أثرت في الكلاميّة من الشيعة والمعتزلة ومن أهم علماء النحو في ذلك الزمان أبو عمر بن العلاء، وواضع علم العروض الخليل بن أحمد وكتاب **"العين"** وسيبويه صاحب كتاب **"كتاب سيبويه"** ومعلم الأمين والمأمون الكسائي والمفضل صاحب كتاب **"المفضليّات"**(حسن،سابق،ص٣٣٨، ٣٣٩).

وعلم الأدب من العلوم التي أثّرت في الفكر السياسيّ الإسلاميّ في العصر العباسي، كان الشعراء من أصحاب الحظوة عند الخليفة ومنهم من تمادى في شعره إلى المحظورات من الغزل والخمر، مثل أبي نواس وابن قتيبة وأبي تمام الفيلسوف

§§ من أكثر المفاهيم غموضا واطلق على السبئية والمناوية والديصانية والمزدكيه والجهمية واهل الفجور والمجون والخلاعة(انظر كتاب الزنادفة ،د:سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشاعر والبحتري وابن الرومي وأبو العتاهية، والنثر من علم الأدب وما قام به الجاحظ صاحب كتاب **"الحيوان"** و**"البيان والتبيين"** وابن قتيبة له كتاب**" المعارف "**و**"الشعر والشعراء"** و**"أدب الكاتب"** و**"عيون الإخبار"**.

ب. **علوم الحكميّة " العقليّة:** وهي التي اشتملت على علم الفلسفة والهندسة والنجوم والموسيقى والطب والسحر والتاريخ والجغرافيا. والعلماء في تلك الفترة نوعان منهم أهل العلم أي الاستيعاب والنقل، وأهل العقل الذين يستنبطون ويبتدعون.(حسن،سابق،ص٣٢٣).

لقد أحب خلفاء الدّولة العباسيّة الاطلاع على العلوم الفارسيّة واليونانيّة وكان لهم ما أرادوا من خلال ابن المقفع الذي ترجم كتاب **"السند والهند"** وكتاب **"كليلة ودمنة"** وترجم لهم حنين بن إسحاق من اليونانيّة بعض ما تعلّق في الطب وترجم لهم أيضاً الوزير ابن سهل والفرخان والبلاذري والكندي كان هناك نصيب لترجمة كتب عن علم الجغرافيا والتاريخ.

لقد جعل أمراء الدّولة العباسيّة من قضيّة خلق القرآن قضيّة سياسيّة ليتمكنوا من معاقبة مخالفيهم من الفقهاء ومن يؤيدونهم، وأن يتدخلوا في العقائد لتصاغ بحسب ما يخدم حكمهم ويستفيدوا منها على حساب الدّين؛ ولكن بفتاوى شرعيّة ممن باع دينه بدنياه أو خوفا من السيف الذي يقطع الرؤوس على الشبهة، ولأن المصلحة في تلك الفترة تحتّم ذلك وليس الشرع. وعندما انتهت تلك المصلحة وثبات الفقهاء على رأيهم وأن هذا يعارض سياستهم؛ رأوا إن يكون القرآن كلام الله فعدلوا عن رأيهم الأول القائل: إن القرآن مخلوق ولكن بنفس الطريقة وهي معاقبة من يخالفهم الرائي وهذا آدّى إلى انتهاء مذهب المعتزلة.(الدوري، ١٩٨٤، ص٤٤).

لقد اشتهر في العالم الإسلاميّ الكثير من الفلاسفة والمفكرين، ولهم من المؤلفات ما عزز الفكر السياسيّ الإسلاميّ مثل ابن أبي الربيع وكتابة **"سلوك الممالك وتدبير الممالك "**وأبي نصر الفارابي وله الكثير من الكتب نذكر منها **"أراء أهل المدينة"**، **"السياسة المدنيّة "**،**"تحصيل السعادة "**،**"إحصاء العلوم"**، "الجمع **بين رأيي الحكمين"**، **"رسالة في السياسة "**وظهر **"الماوردي"** وهو محور هذه الدّراسة ونظام الملك الطوسي صاحب كتاب **"سياسة نامه"**.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لـم يختلـف العباسـيون عـن بنـي أميّـة فـي مفهـوم العدالـة، إلا أن بنـي أميّـة جعلـوا السياسـة لخدمـة الـدّين، وبنـي العبـاس جعلـوا مـن الـدّين خادمـاً للسياسـة، وذلـك مـن خـلال خطـاب المنصـور الـذي نفـى أيّـة قـدرة بشـريّة، وان إرادة الحـاكم مـن الله ومـا علـى النـاس إلا الانصـياع والطاعـة العميـاء، حيـث قـال: **"أيهـا النـاس، إنمـا أنـا سـلطان الله فـي أرضـه، أسوسـكم بتوفيقـه وتسـديدة، وأنـا خازنـه علـى فيئـه، ،عمـل بمشـيئته، وأقسـمه بإرادتـه، وأعطـي بإذنـه، فقـد جعلنـي الله عليـه قفـلاً، إذا شـاء أن يفتحنـي لأعطيـاتكم وقسـم فيـئكم وأرزاقكـم فتحنـي، وإذا شـاء أن يقفلـه أقفلنـي، فـارغبوا إلـى الله أيهـا النـاس، وسلوه فـي هـذا اليـوم الشـريف، الـذي وهـب لكـم فيـه مـن فضـله مـا أعلمكـم بـه فـي كتابـة إذ يقـول تبـارك وتعـالى: ((اليـوم أكملـت لكـم ديـنكم وأتممـت علـيكم نعمتـي ورضـيت لكـم الإسـلام دينـا)) - إن يـوفقني للصـواب ويسـددني للرشـاد، ويلهمنـي الرأفـة بكـم والإحسـان إلـيكم، ويفتحنـي لأعطيـاتكم وقسـم أرزاقكـم بالعـدل علـيكم أنّـه سـميع قريب"**(حسن سابق،ص٣٦).

لقـد اتبـع الخلفـاء سياسـة تـولّي الاعتمـاد علـى الـوزراء مـن المماليـك والديلميـة والسـلاجقة، وفـي هـذه الفتـرة أصـبح الخليفـة أداة بيـدهم ولا حـول لـه ولا قـوّة وحتـى السلطة الدينيّة لم تسلم في وجود بني بوية الشيعة، الذين حاولوا نقلها إلى أبناء علي بن أبـي طالـب لـولا تـدخل السـلاجقة والحفـاظ عليهـا فـي بيـت بنـي العبـاس؛ لأنهـم سنّة، ولكـن كـلّ هـذا يـدور حـول مصـلحة الـوزراء مـن نهـب وسـلب لبيـت المـال وقتـل وتشـريد لبـاقي المجتمـع ولكـل مـن يقـف فـي طـريقهم، مـن غيـر حسـيب أو رقيـب. (الخضـري بك،٢٠٠٣،ص٤٥٤).

وتخللـت فتـرتهم بظهـور دول أخـرى منهـا مـن كـان مـن صـنيعتهم أي أمـارات تابعـة لهـم، ولكـن بحكـم ذاتـي مثـل بنـي حمـدان والأيـوبيين والطولونيّـة، ودول مسـتقلّة فـي الأنـدلس، والفاطميّـة والمماليك فـي مصـر، ولـم يكـن مفهـوم العدالـة عنـدهم أفضـل منـه عنـد العباسـيين، فقـد كـان للفلاسـفة والمتكلمـة وقـادة المـذاهب الدينيّـة والاخـتلاط بأهـل الـبلاد دوراً فـي انحـراف مفهـوم العدالـة، ليتواكـب مـع المكـان والزمـان بـأهواء بشـريّة لا علاقـة لها بالعقيدة، إلا على نطاق فرديّ.

٥- الفكر السياسيّ في دولة الأندلس) ٩٢- ٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الأندلس كان هناك صراع في البداية وخصوصا في عهد **الأمارة(١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)** وعهد **الخلافة (٣١٦-٤٠٠هـ/٩٢٨-١٠٠٩م)** بين الفقه والفلسفةK وكان يطلق لقب **زنديق** على من يسير في طريق الفلسفة ويقتل وتحرق كتبة وكلّ ذلك لسيطرة ألفقهاء على أمور الدّولة وخوفا من أثارة الناس على الحكام(سالم،١٩٨٥،ص٢٩٠).

وكان الدور للفقه من خلال المذهب الأوزاعي، ثمّ دخل عليهم المذهب المالكي على يد الخمي الملقب بشبطون، الذي أدخل كتاب **الموطأ** إلى الأندلس، ولم يكن المذهب المالكي الوحيد في الأندلس، إلا أنّه كان هناك نصيباً للمذهب الشافعي وكذلك المذهب الظاهري، ومن كبار علماء الأندلس ابن حزم القرطبي وفي كتاب **"نفح الطيب"** للمقري يقول عن أهل تلك الفترة: **"الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامّة في ذلك وإنكاره أن تهاون فيه أصحاب السلطان"**(الحجي،١٩٧٦، ص ص٢٨١-٢٨٣).

وفي عهد **المرابطين (٤٠٠- ٥٢٠هـ/ ٥٩٢- ١١٣٤م)** كان للعلم والفكر دوراً كبير على سياسة الدّولة وعدالتها؛ لأن تلك الفترة امتازت بالعدل، وكان للفقه دوره الأكبر، حيث أن تلك الفترة امتازت بالعدل الشامل لدرجة أن الأمير يوسف بن تاشفين كتب إلى أهل أحد البلدان التابعة لحكمة طالب المساهمة لدعم الجهاد، ولكن رفض قاضيها وفقيهها أبو عبد الله بن الفراء، إلا أن يحلف الأمير أمام الناس أنّه لا يوجد في بيت المال درهم للإنفاق على الجهاد.(الحجي، سابق،ص٤٤٦).

وفي عهد **الموحدين (٥٤٠- ٦٢٠هـ/١١٤٥- ١٢٢٣م)** تأثروا بالفلسفة وذهبوا بها إلى أبعد ما يكون، وتقربوا بها من الحكام وآثروا على سير الحياة الفكريّة في نظام الحكم بشكل عام والعدالة بشكل خاص، واشتهر منهم **ابن طفيل** الذي له مؤلفات بالفلسفة مثل **"رسالة حي بن يقظان "**وهي تعني الصلة بين العقل والدّين، على نهج أفلاطون، وظهر ابن رشد وشرح جميع مؤلفات طاليس في" **كتاب الجوامع"**(سالم، سابق،ص٢٩١-٢٩٢)

وفي مملكة **غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)** اشتهر خبر لسان الدّين بن الخطيب الذي له من المؤلفات العديدة، والذي عاصر ابن خلدون وكان صديقه.(ارسلان،١٩٨٤،ص ١١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- الدّولة الفاطميّة (٢٥٨- ٥٦٧هـ/٩٦٩ – ١١٧١م)

أمّا الدّولة الفاطميّة فقد اهتمت بالفقه الشيعي وقامت ببناء "الجامع الأزهر" وحولوه إلى مدرسة لنشر علوم مذهبهم وتدريس كتاب "**الاقتصار**" الذي يحمل مسائل فقهيّة للمذهب الشيعي، وقام بشرحه ابن مؤلفة أبو الحسن علي بن النعمان المغربي، واشتهر في عهدهم الكثير من العلماء والكتب ونشروا الثقافة والأدب وكذلك "**الرسائل الوزارية**" للوزير ابن كلس في الفقه الشيعي وأقامت الدّولة المكتبات المزدهرة بالكتب.(الكاشف واخرين، ١٩٩٣،ص٣٠).

وبعد تحوّل أبي حنيفة النعمان إلى المذهب الشيعي، بعد أن كان مالكي المذهب؛ حضر إلى مصر وله مؤلّف في الفقه الشيعي الذي أضاف فيه قاعدة سادسة لقواعد الإسلام، وهي: "**الولاية**" وكتابه "**دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والإحكام**"(الكاشف واخرين، سابق، ص٣٣).

٧- دولة المماليك: (٦٤٨- ٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

وفي عهد **الأيوبيين** ظهر المذهب **الصوفي**، الذي انتشر بعد الاهتمام به ورعايته من قبل السلاطين وقاموا بتقديم الطعام والشراب لمعتنقي الصوفيّة من قبل "**شيخ الشيوخ ووقف الأوقاف**" في أماكن خاصّة يسمونها "**الخانقاوات**" (الكاشف، سابق، ص:٣٨٠).

ومن اهتماماتهم الدينيّة أقاموا المدارس، وهي أشبه بالمعاهد التعليميّة لنشر المذاهب السنيّة في وجه المذهب الشيعي، الذي انتشر في عهد الفاطميين وهذه المدارس تدرس بالإضافة إلى علوم الشريعة الفلسفة والنحو والعلوم الطبيعيّة، واهتم الأيوبيين بإنشاء "**الكتاتيب**" لتدريس الأطفال.(الكاشف، سابق، ص،٣٨١، ٣٨٢).

وفي عهد السلاطين المماليك ازداد انتشار المذهب الصوفي، ووفد مشايخهم إلى مصر مثل السيد البدوي، والمرسي أبو العباس، والشاذلي، والقباري. وسلكوا طريق الزهد، وانقسموا إلى فرق، ولكل شيخه، وزهدوا في الدنيا وأقاموا الزوايا(*) وهذه الظاهرة كان لها الأثر والتأثير في المجتمع المصري (الكاشف، سابق، ص، ٤٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واهتم ذلك العصر بجميع العلوم التي أثّرت على الحياة العامّة في مصر، حيث ظهرت مؤلفات سياسيّة مثل كتاب **"بذل النصائح الشرعيّة فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرّعيّة"** نجم الدّين أحمد بن الرمفة المصري وكتاب **"أثار الأول في تدبير الدّول"** لحسن بن عبد الله العباسي، وكتاب النويري **"نهاية الأدب في فنون الأدب"** وللعمري أبي فضل الله **"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"** وكتب الفقه لخليل بن إسحاق المالكي والسبكي(الزيدي، ٢٠٠٣، ص٢٥٩).

٨- **الدّولة العثمانيّة** (٦٩٩- ١٣٤٣هـ/١٢٩٩-١٩٢٤م

سار سلاطين الدّولة العثمانيّة في بدايتهم على دستور وضعة لهم المؤسس عثمان بن أرطغرل، من خلال وصيّته لأبنائه وأحفاده، وهذه الوصيّة هي دستورهم الذي سارت الدّولة عليه في بداياتها، وقد تضمّنت: **((وصيتي لأبنائي و أصدقائي أديموا على الدّين الإسلاميّ الجليل بإدامة الجهاد في سبيل الله، امسكوا رأية الإسلام الشريفة في الأعلى بأكمل جهاد، اخدموا الإسلام دائما؛ لأن الله عز وجل قد وظف عبدا مثلي لفتح البلدان اذهبوا بكلمة التوحيد إلى أقصى البلدان بجهدكم في سبيل الله ومن انحرف من سلالتي عن الحق والعدل حرم من شفاعة الرسول الأعظم يوم المحشر.**

يا بنيَّ: ليس في الدنيا أحد لا يخضع رقبته للموت، وقد اقترب أجلي بأمر الله جل جلالة، أسلمك هذه الدّولة واستودعك المولى عز وجل، أعدل في جميع شؤونك.....)) (الصلابي،٢٠٠١،ص ص٤٩،٥٠).

إن مسيرة العثمانيين في بدايتهم هي التمسك بالشريعة الإسلاميّة من خلال العبودية الكاملة والشاملة لله وحده في جميع نواحي الحياة، ليفوزوا في الدنيا والآخرة من خلال تمسكهم بالقران الكريم والحديث النبوي الشريف، واهتمامهم بالعلوم الشرعيّة والجهاد في سبيل الله، وتحقيق العدل في النفس والرعيّة، على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومن ثمرة هذا؛ فتح القسطنطينيّة، التي حاول المسلمون -منذ عهد الصحابة- فتحها ليتحقق فيهم حديث الرسول **(لتفتحن القسطنطينيّة على يد رجل فلنعم الأمير أميره، ونعم الجيش ذلك الجيش)**، ويعود هذا الفضل إلى العلماء في تلك الفترة وما لهم من تأثير على الفكر مثل معلم محمد الفاتح الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني(الصلابي، سابق، ص٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الضعف الذي مرَّ على الدّولة العثمانيّة أجبرها أن تقبل ما يفرض عليها من الخارج والداخل، مما أجبر السلطان أن يقوم في **"الإصلاحات "**او **"التنظيمات"** ولكون النظام العثماني نظام عسكري بالدرجة الأولى حاول السلطان سليم الثالث أن يقوم في ما اسماه **"النظام الجديد"** ولكن وجد معارضة شديدة من العلماء والعسكر، واعتبروا هذا من الضلال وليس من الإسلام من شيء، مما جعل السلطان يتراجع عن موقفه.(ياغي،١٩٩٨،ص،١٤٧).

وفي عهد السلطان **محمود الثاني**، فشل الجيش في إخماد الثورة في اليونان، فأصبحت حجة له في إدخال الإصلاحات العسكريّة بحسب الطريقة الأوربيّة، وقام بإرسال البعثات العلميّة إلى أوروبا، وإنشاء مدرسة طب وفرض اللباس الأوروبي على موظفي القصر والرعايا/ إلا أن الرعايا رفضوا اللباس الجديد واقتصر على الموظفين (ياغي، سابق، ص١٤٩، ١٥٠).

لقد اهتمَّ السفير البريطاني في اسطنبول بالإصلاحات، لكي تشمل جميع نواحي الحياة للدولة العثمانيّة من مدنيه على النمط الأوروبي، وقام السفير بالضغط على السلطان للقبول، وكان أول مرسوم هو **"مرسوم كلخان"**(١٨٣٩م) (*) في عهد السلطان **عبد المجيد الأول**، وهو أول دستور على الطريقة الأوربيّة، دون توسع في النظام الأوروبي. وفي عام ١٨٥٦م صدر التنظيم الثاني **"مرسوم همايوني"** أو **"منشور التنظيمات الخيرية"**(*) وهو فلسفة الإصلاح الأوروبي. (ياغي، سابق،ص،١٥٢).

في عام ١٨٧٦م تولّى السلطان عبد الحميد، وأعلن الدستور الجديد على النمط الأوروبي والذي أعطى الحقوق لجميع الرعايا على اختلاف عقائدهم وأصولهم، ولظروف الحرب الروسيّة، والاضطرابات الداخلية؛ توقف العمل بالدستور بعد عام من صدوره (الصلابي، سابق،ص٤٠١) وفي ١٩٠٨ أجبر السلطان على إعادة العمل بالدستور، وتمّ خلع السلطان عبد الحميد (بروكلمان،سابق،ص٥٩٩).

بعد الثورة الأوربيّة، وما حدث من تطوّر في فرنسا، فقد تأثر الشباب العثماني وعملوا على إنشاء جمعية **"العثمانيين الجدد"** ونشروا أفكارها لدى العسكريين باسم **" الاتحاد العثماني"** هذا يعني أن الجمعيّة لها جناح مدني وجناح عسكري؛ ولكن كان الجناح المدني متأثراً بأفكار **اوغست كانت**، الذي نصَّتْ قاعدته على: **"الانتظام**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والترقي" فأخذ الجناح العسكري كلمت الاتحاد والمدني كلمة الترقي لتؤسس **"حزب الاتحاد والترقي"** بأفكار غربيّة وعلمانيّة متحررة للنهوض بالدّولة الحديثة(الصلابي،سابق،ص،٤٥٤).

في عام ١٩٢٣م أعلنت الجمعيّة الوطنيّة **الجمهوريّة التركيّة**، وعُيّن **أتاتورك**(*) رئيساً لها، وأبقي على الخلافة اسميا فقط، ولكن لخوفه من النهوض من جديد تحت شعار الدّين؛ قرر إنهاء الخلافة فعليّاً في تاريخ ٣ آذار ١٩٢٤م لتنتهي بهذا اليوم الخلافة الإسلاميّة(بروكلمان، سابق، ص٦٩٥،٦٩٦).

وأثناء الدّولة العثمانيّة ظهر مفكرون إسلاميون مصلحون ومجددون، مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣م-١٧٩٢م) في الجزيرة العربيّة بأفكار سلفيّة ومذهبيّة متعصّبة إلى مذهبها، متأثراً بأحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن الجوزيّة، وظهر محمد الشوكاني (١٧٦٠م -١٨٣٤م) في اليمن ومحمد السنوسي (١٧٨٧م-١٨٥٩م) في ليبيا، ولكن كان على المذهب الصوفي ومحمد المهدي (١٨٤٤م – ١٨٨٥م) في السودان، وتميز بالعودة إلى السلف الصالح ولكن بطريقة متصوّفة.

أمّا شيخ الإسلام **محمد الشوكاني**؛ فقد اتخذ منهجاً خاصاً ولم يكن متعصباً لأي فكر أو مذهب بعينة، ولكن استطاع أن يُنشِأ مدرسة تقوم على **"إسلام بلا مذاهب"** وله (٢٧٨) مؤلّف في الاجتهاد وأصول الفقه وعلم التفسير والحديث والتاريخ والتراجم والإدارة والتربية والتعليم والأدب والشعر، أمّا الفكر السياسيّ فله مؤلفات، منها **"رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين "و"القول الصادق في حكم الأمام الفاسق "و"العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين "و"الدواء العاجل لدفع العدو الصائد**،(الأصبحي، سابق، ص٧٤٥)

يرى الشوكاني أن العلماء والحكام والكتاب والقضاة هم الذين تدور المسؤوليّة حولهم، لتطبيق مفهوم العدالة ونبذ الظلم، فلكل منهم واجب. أمّا العلماء الذين هم المسؤولون في الدرجة الأولى، فعليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس ما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات تجاه الدّين والدّولة. (الاصبحي،سابق،ص٧٥٤).

أمّا الحاكم، فقد عُيّنَ له واجبات لتحقيق العدل وإدارة الدّولة بحسب الشريعة، وهي حماية السبل والطرقات، وحماية الضعفاء من الأقوياء، وجهاد أهل الكفر، وإقامة الحدود الشرعيّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشعائر الإسلام، وتنصيب القضاة للفصل في المنازعات بين الناس، وللقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينصب أهل الحسبة، والاهتمام بالجيش، وإنشاء المدارس والاهتمام بالتعليم، والتّصدي لأهل الفساد والمفسدين.(الاصبحي،سابق،ص:٧٦١،٧٦٢).

وظهر -أيضاً في فترة الخلافة العثمانية- العديد من رواد الإصلاح والفكر السياسيّ ومنهم **رفاعة رافع الطهطاوي** (١٨١٠م- ١٨٧٣م)، الدارس للفكر الإسلاميّ في الأزهر والفكر الغربي في باريس، مما جعله متأثراً بالدستور الفرنسي، وقال فيها في كتاب: **"تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" "أنّه لا ينكر ذوي العقول أنها من باب العدل، وإن أكثر ما فيه ليس في القرآن والسنّة، ولكن بتحكيم عقولهم عرفوا الحق وعملوا به وعرفوا الظلم وابتعدوا عنه"**(الاصبحي، سابق،ص٧٨٨).

وخير الدّين التونسي (١٨١٠م- ١٨٩٩م)، وله مؤلّف **" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"** ويرى التونسي أن القوّة تكون بإقامة دساتير على النمط الأوروبي، القائمة على الحريّة والعدل؛ اللّذَيْنِ يُعَدَّان ركيزان رئيسان في الشريعة الإسلاميّة وهما القوّة والاستقامة في جميع الدّول، وأن العدل والأمن يجب أن يتوفران في النظام، ليتوافر النمو الاقتصادي والعمراني، وان الأصول الشرعيّة والعدل هم النظام الكوني لتحقيق أهداف السياسة الرئيسة من اقتصاد وقوّة عسكريّة.(الاصبحي، سابق، ص ٨١٠).

ومن روّاد الفكر الإسلاميّ أيضاً **جمال الدّين الأفغاني** (١٨٣٩م-١٨٩٧م) صاحب فكرة الجامعة الإسلاميّة، والشيخ محمد عبده (١٨٤٩م-١٩٠٥م)، وعبد الرحمن الكوكبي (١٨٥٤م-١٩٠٢م) الذي له كتاب **"أم القرى"** وكتاب **"طبائع الاستبداد"**، ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥م-١٩٣٥م) الذي أصدر مجلة المنار والكثير من المؤلّفات.

أمّا الشيخ **محمد عبده**؛ فإننا سنتوسع قليلا ونأخذه كأنموذج للاطلاع على رأيه في مفهوم العدالة، التي هي مستمد من الإرادة الشعبيّة من خلال الفصل النسبي بين السلطات والدستور، حيث أنه هو المرجع الرئيس من خلال السلطة التشريعيّة التي تصدر القوانين وتنفّذ من خلال سلطة تنفيذيّة مراقبة من قبل السلطة التشريعيّة، لتحقيق العدل بين الناس. ويرى الشيخ أن مفهوم العدالة هو من أهم المبادئ الإسلاميّة، ولكن يطبق وفقا لمقتضيات الزمان والمكان من خلال حكومة دستوريّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برلمانيّة وإرادة شعبيّة حرّة، وحاكم مستبد عادل؛ لأن العدل هو الأساس لجميع القيم الأخرى، ومنه تتمّ السعادة للمجتمع. (مجاهد،١٩٩٢، ص٥٤٥).

وبعد الحرب العالميّة الأولى والاحتلال الأجنبيّ للمنطقة العربيّة والإسلاميّة؛ ظهر المفكر الشيخ **حسن البنَّا**، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين (١٩٢٨م) في فترة الاستعمار الأجنبيّ، فكان هدفه طرد المحتل بالجهاد والمقاومة وتحقيق حكم إسلامي شامل لجميع نواحي الحياة لتتحقق العدالة من خلال الشريعة الإسلاميّة الصحيحة ومصدرها كتاب الله وسنّة نبيه، وأن الإسلام هو من يحكم الإنسان عقلاً وقلباً. وحركة والعدالة عند البنَّا، وبناء على ما سبق فهي عدالة بشريّة بنظام ربّاني إسلامي، لا يتجاوزه لتقاليد الغرب؛ بل العودة إلى التراث الإسلاميّ السليم. (العوا، سابق، ص ٣١٦).

ثانيا: المذاهب الإسلاميّة:

إن المذاهب الإسلاميّة كان لها دور في إظهار الفكر السياسيّ الإسلاميّ من خلال فهمهم لنصوص القرآن والسنّة النبويّة، وكلّ له نظرته في مفهوم العدالة من خلال نظرتهم للخلافة؛ لأنها هي أساس الاختلاف في المذاهب الإسلاميّة. وأهم هذه المذاهب، هي:

٦- الخوارج:

شعارهم **"لا حكم إلا لله"** وهي القاعدة التي بني عليها أسأسهم لتفرقة الأمّة ليتحقق مرادهم من بعد التحكيم بين علي ومعاوية، وظهور أول حزب سياسي "جمهوري" إسلامي بأفكار جديدة مصدرها عصبيّة العرب، ونقمة منهم على قريش لسيادتهم على العرب وبراءتهم من عثمان وعلي ومعاوية ومن والاهم، وجميعهم من قريش، أمّا الخوارج؛ فهم من عرب الجزيرة، وهذه تدلّ على أن أول أسباب خروجهم أنهم لن تكون لهم الصدارة، ومن صفاتهم التشدد على المسلمين والتسامح مع غير المسلمين، والعنف والقتل لكل من يخالفهم، والخشونة والقسوة رفيقتهم من الصحراء؛ لأن أكثرهم من البادية، والإنسان ابن بيئته وعدم قبول الأخر إلا إذا سار على طريقهم.(زهره،سابق،ص:٦٣).

والخوارج فرق متعددة؛ ولكن تجمعهم مبادئ، ومن أهم مبادئهم: أن الخليفة ليس شرطا أن يكون من قريش وإنما يكون من المسلمين عربيّا أو أعجمياً، ويكون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالانتخاب الحرّ، وينتخبه عامّة المسلمين، وإن حاد عن الطريق وجب عزله أو قتله، فلا تكون له عصبة أو قبيلة قويّة تثأر له.(الشهرستاني،١٩٩٣،ص١٣٤).

إن تفكيرهم السّطحي بتكفير كلّ من يذنب مهما كان ذنبه ولو كان اختلاف في الرأي له دلالات عندهم، وهي كما في كتاب **"شرح نهج البلاغة"** لمؤلفة ابن أبي الحديد تقوم على تكفير تارك الحج؛ لأنه ذنب، معتمدين على قولة تعالى: **((ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإنَّ الله غنيّ عن العالمين))** ولم يفرقوا بين منكر الحج وبين من ليس لديه القدرة على الحج، ويقولون بمن حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر؛ لأنه ذنب، لقولة تعالى: **((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون))**، والفاسق كافر لقولة تعالى: **((يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه، فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد أيمانكم، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون))**، ومرتكب الذنب ظالم؛ لأنه جاحد، لقولة تعالى: **((ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون))** (زهره،١٩٨٧، ص٦٦).

إن مفهوم العدالة عند الخوارج صفة لهم، وهم أول من سموا أنفسهم أهل العدل، ويعتمد ذلك المفهوم على مدى فهمهم لظاهر للقران الكريم، وأن العقل يوجبه ويقتضيه، وقالوا: إن الله لا يقدر أن يظلم. ومنهم الجبريّة الذين ينفون استطاعة الإنسان.(فؤاد،٢٠٠٣،ص ٣٤).

٧- **الشيعة**:

إن موطنهم الأول في العراق، أرض الحضارات والدّيانات والعلم والفلسفة والترجمة، مما كان له الأثر الكبير في دخول الكثير من الأفكار إلى مذهب الشيعة، وهذه الأفكار قد زادت في نفوس المعتقدين لهذا المذهب، من أن الإمامة هي أساس في العقيدة وركن من أركان الإسلام؛ لأنهم لم يعتادوا إلا على الحكم المقدس والملك بالوراثة، وقد تعددت الفرق في مذهب الشيعة؛ بسبب ما وجدوه في العراق من تعدد للثقافات. (ابو زهره، سابق، ص ٣٦، ٣٧).

وينقسم الشيعة في ولائهم إلى آل البيت إلى ثلاثة اتجاهات، فمنهم من غالى في حبّ سيّدنا عليّ، لدرجة التقديس والألوهيّة، أو وضعة في منزلة الأنبياء، ومنهم من اعتدل في حبّ سيّدنا عليّ، ولم يتجاوز تفضيله على الصحابة، والنوع الثالث من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتقد بالوصاية، وأنّه لا يميزه عن النبي إلا أن الوحي لا ينزل عليه، وهذا الفرق بينة وبين النبيّ. (ابو زهره، سابق،ص:٣٤).

إن مفهوم العدل عند الشيعة يقوم على ما يصدر من الله العادل؛ ولكن مع ترجيح العقل لفهم المقصد من عدله بهذه الطريقة، وان الله عز وجل يستطيع أن يظلم ولكن لحكمته -سبحانه وتعالى- لا يفعل هذا، وإن الله حسن ولا يصدر منه إلا الحسن، والظلم شيء قبيح، والله منزَّه عن الظلم.(السبحاني،٢٠١٠،ص ٩).

يروي الشيعة أن العدل الإلهي على ثلاثة وجوه، هي: **أولاً**: العدل التكويني: وهو يتعلّق بالكون وما وجد به من مكوّنات، وعدم إهمالها لتحقيق عدله سبحانه وتعالى في كلّ شيء خلقة، ليسير الكون وفق ما أراد الله، ولا يتقوَّل مخلوقٌ على مخلوقٍ آخر، أي أن كلّ شيء يسير وفق إرادته سبحانه وتعالى. **ثانياً:** العدالة التشريعيّة: هي أن جميع التشريعات التي تصدر منه هدفها سعادة الإنسان، ولم يغفل عز وجل عن كلّ ما يحقق هذه السعادة للإنسان؛ إلا وقد أنزل بها تشريع وفق قدرة الإنسان. **ثالثاً:** العدل الجزائي: إن الله سبحانه وتعالى خلق العقاب والثواب، ولكل ما صنع، فجزاء الإحسان إحسانا، والحسنة بعشرة أمثالها، وجزاء المسيء بحسب سيئته.(السبحاني،سابق،ص١٩).

٨- **المعتزلة:**

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد: إن مذهب المعتزلة له خمسة أصول، وكلّ من تجتمع فيه هذه الأصول فهو معتزليّ، وقد تأثّر المعتزلة في الفلسفة ومنطقهم فلسفيّ، وأصولهم الاعتقاديّة والفكريّة، هي:

أ. **التوحيد**: إن التوحيد عند المعتزلة أنّه لا يمكن رؤية الله يوم القيامة، وذلك لأن الصفات هي نفسها الذّات، وكذلك إن القرآن مخلوق؛ لأن الله لا يتكلّم من وجهة نظرهم.

ب. **العدل**: إن مفهوم العدل عند المعتزلة له وجهان: الأول عدل إلاهي، والثاني عدالة الإنسان، ولكل منهما تفسير عند المعتزلة، والعدل إلاهي: هو أن أفعال الله كلها حسنة ولا يصدر منة إلا الحسن، والقبح ليس من صفاته ولذلك لا يصدر منه القبح ولا يوجد عنده ولا يأمر به مخلوقاته، بل ينهاهم عنها، وهو عادل لأنه خلق العدل ولم يخلق الظلم، ولو خلق الظلم لأصبح ظالماً.(الشهرستاني، سابق، ص: ٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا مفهوم العدل بما يختص بالإنسان عند المعتزلة: فهو يكون بمقتضى التكليف بما يطاق وليس فوق طاقة الإنسان المكلّف، ولهذا يكون الخير والشر من صنع الإنسان المكلف؛ لأن الله لم يخلق الشر وليس بحاجة لشيء خلقة إلا لينفع غيره، وهو عز وجل ليس بحاجة لأن ينفع نفسه ولكن الإنسان من يفعل الخير ليثاب ويؤجر عليه ويفعل الشر ليعاقب ويؤثم عليه، وهذا من صنع الإنسان المخيّر في الطريقين.(دغيم،١٩٩٢م،ص٩٤).

ج. **الوعد والوعيد**: إن هذا الأصل عند المعتزلة يقوم على أن الله لا يخلف الميعاد، حيث أنه وعد المحسنين بالثواب والإحسان ودخول الجنّة، وتوعّد للمسيء بالعقاب الأليم ودخول جهنّم، وكلّ من تاب بعد معصية غفر ذنبه، وكلّ ارتكب إثماً بعد أن هداه الله وجبت عقوبته على ذنبه (ابو زهره، سابق،ص١٢٨).

د. **المنزلة بين المنزلتين**: وهي أن مرتكب الكبيرة من المسلمين ليس مؤمناً، وليس كافراً، ولكن يسمى فاسق، وعليه فهو بين منزلتين؛ ليس من أهل النار، ولا من أهل الجنة، ولا يتّصف بصفات المؤمنين؛ لأن المؤمن يتّصف بصفات جميلة ويمدح ويعظم ولا صفات الكفار لأنهم يدفنون في مقابر المسلمين ويجوز الزواج منهم وتوريثهم. (فواد، سابق،ص٣٧٤).

ه. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وهو لنشر الدعوة الإسلاميّة وهداية المسلمين الذين يَضلُّون عن الطريق الصواب، ويدافعون عن الدّين من الذين يحاولون إفساده بالخلط بين الحق والباطل، ولمناقشة المذاهب التي لا تتفق معهم ولو بالقوّة كما في قضيّة خلق القرآن.(أبو زهرة، سابق، ص١٢٩).

٩- أهلُ السنّةِ والجماعة:

هم الأكثريّة من المسلمين والمعتدلين في رأيهم وعملهم والتأويل وصريح القرآن والسنّة النبويّة الصحيحة، ولم يقدحوا في أحد من الصحابة، واحترموهم جميعا، ومراقبة الخلفاء والأمراء والحكام، إذا لم يطبقوا إحكام الشريعة وعلى رأسها الشورى والعدل والمساواة والجهاد(الاصبحي، سابق، ص٤٠٤).

ولكون الخلافات بين المذاهب طغى عليها الطابع السياسيّ ورأيهم في مفهوم الخلافة؛ لأنها هي **"النظريّة السياسيّة"** عندهم؛ لأن الشيعة غلب على فكرها أنَّ الخلافة في آل البيت وراثيّة، وعند الخوارج الخلافة تكون لأيّ مسلم، فلقد اعتمدوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل السنة أن **الخلافة** لقريش وذلك لحديث الرسولε: **"الإمامة في قريش"** وهو أحد الشروط الأربعة في الإمامة(ابو زهرة، سابق، ص ٨٠).

البيعة: الشرط الثاني للإمامة عند أهل السنّة والحديث، وكانت في عصر الرسولε، واستمرّت في عصر الصحابة بحريّة في الرأي؛ ولكن في عصر الأمويين وما بعدهم أصبحت البيعة بالقوّة والجبر. والشرط الثالث **الشورى** ولا تصلح المبايعة دون شورى؛ لأن الخليفة لا يُختار إلا بالشورى، وإذا تحوّل النظام إلى وراثيّ؛ أصبح النقيض هو السائد، ولا يمكن أن تكون الشورى في حكم وراثيّ جبريّ(ابو زهرة، سابق،ص٨٣، ٨٤).

العدالة الشرط الرابع وقد لخّصها **الحسن البصري** برسالته إلى عمر بن عبد العزيز وجمع فيها كلّ ما يلزم لمفهوم العدالة وما تكون عليه من عدل مع الرّعيّة والأعداء والخليفة إذا تجاوز القانون والحدود، وكذلك العدالة الاجتماعيّة من أجل تكافل اجتماعيّ، حيث قال: **"اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الأمام العدل قوَّام كلّ مائل، وقصدِ كلّ جائرٍ، وصلاح كلّ فاسدٍ، وقوتِ كلّ ضعيفٍ، ونصفةِ كلّ مظلومٍ ومفزع كلّ ملهوفٍ. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كراعي الشفيق على إبله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع ويكنّها من إذى الحر والقر، والأمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى إليهم صغارا ويعلمهم كبارا، ويكتسب لهم في حياته ويدَّخر لهم بعد مماته، والأمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها حملته ووضعته كرها وربّته طفلا تسكن بسكونه، ترضعه تارة وتقطعه أخرى وتفرح بعافيته وتهتم بشاكيته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين موصى اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله، ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين كعبد ائتمنه سيدة وستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرّد العيال، فأفقر أهلة وفرّق ماله، واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزع بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتأهم من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياةً لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلّت أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزوّد له ولما بعده من**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفزع الأكبر، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ويفارق أحباؤك، يسلمنك في قعره فريدا وحيدا، فتزوّد له بما بصحبك:((يوم يفرُّ المرءُ من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه))، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعثر ما في القبور وحُصِّلَ ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وإنك في مهل، وقبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل ـــ لا تحكم يا أمير المؤمنين بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم في سبيل الظالمين، ولا تسلّط المستكبرين على المستضعفين؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمّة، فتبوَّأ بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك، وتحمّل أثقالك وأثقالٍ مع أثقالك، ولا يغرنّك الذين ينعمون بما في بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بذهاب طيّباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا، وأنت مأسور في حبائل الموت، موقوف بين يديّ الله في مجمع الملائكة والنبيين والمرسلين((وعنت الوجوه للحي القيّوم))، وإنني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغت أولي النهي من قبلي؛ لم آل من شفقة ونصح، فإنزل كتابي عليك كمداوٍ حبيبه؛ يسقيه الأدوية الكريهة، لما يرجو له من العافية والصحة: والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته".(ابو زهرة، سابق، ص ٩١-٩٣).

ثالثا: المدارس الفقهية: (نظريّة العدالة)

إن مفهوم العدالة عند الفقهاء جاء من خلال أنهم السلطة التشريعيّة الأولى في المجتمع، وهم الذين يصيغون القوانين وفق الشريعة الإسلاميّة، ولذلك كان مفهوم العدالة عندهم يدور حول النصوص التشريعيّة التي تهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهم من جعل العدالة بنوعين **الأول**: **"مدنيّ"** أفقي وهو يربط العلاقة بين أفراد المجتمع على أساس عادل، ولا يعتدي شخص على آخر، ولكل حقه على أساس شرعي بفقه المعاملات والأخلاق، ولا تتدخل السّلطة السياسيّة بهذا النّوع من العدالة. و**الثاني**: **"سياسيّ"** عمودي يقوم على صياغة تشريع الفقه السياسيّ، ويتعلّق هذا المفهوم بالسّلطة السياسيّة وعلاقتها بالأفراد، والحاكم رأس السلطة السياسيّة هو صاحب المسؤوليّة عن كلّ من النوعين، لترسيخ العدالة ومنع الظلم بين أفراد الدّولة.(جبرون وآخرون، سابق، ص١٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد اهتم الفقهاء في هذا النوع من الفقه مثل الأمام **الشافعي** في كتاب **"الأم"** والطرطوشي الذي أسماه بـ العدل الإلهي، وابن تيمية في كتاب **"السياسة الشرعيّة"** وجعل ابن القيِّم الجوزيّة العدالة المقصد الجامع لشريعة ومصدر لتشريع في كتاب" الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة" حيث قال: **"إن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأيّ طريق كان، فثمّ شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم واعدل أن يخصّ طرق العدل وإماراته واعلامه بشيء، ثمّ ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين إمارة، فلا يجعل منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بيّن سبحانه بما شرّعة من الطرق، أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط هي من الدّين، وليست مخالفة له"**(جبرون وآخرون، سابق، ص: ١٧١، ١٧٢).

١- مدرسة المتكلّمة: (نظريّة العدالة)

إن مفهوم العدالة عند المتكلّمين تتعلّق في عدالة الله سبحانه وتعالى واختلافهم الفكريّ أدى إلى مدرستين للمتكلّمين.

أ. **المدرسة العقليّة**: التي قامت بتحرير الإنسان من خلال نفي القدر عنة ردا على من يقرّون القدر، وأن الإنسان حرٌّ في تصرفاته، وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلق الظلم؛ لأنه عادل. أمّا الإنسان فهو الذي يختار لنفسه، إمّا طريق الخير أو طريق الشر؛ لأن الله لم يخلق أفعال العباد، ولكل منهما عقوبة وثواب، ولكون الله عدل لا يخلق الظلم ولا يمكن أن يكون الظلم من صفاته؛ لأن العدل صفة من صفاته، وهو أعلى درجة من الصفات، وقد ألزم الله نفسه بالعدل، لذلك لا يتقابل الضدان. ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة واصل بن عطا، والجاحظ، وإخوان الصفا(شلبي، سابق، ص ١١٤، ١١٥).

ب. **المدرسة النقليّة**: والتي تقول بالقدر خيره وشرّه، وتقرّه على الإنسان، وأن الإعمال تقدّر له من الله عز وجل، مما يقوّي من مفهوم الجبر، وأن ينصاع الناس للمشيئة الربانيّة في من يحكمهم، ولا يكون لهم إلا السمع والطاعة، وليس لهم من هذا الأمر شيء ولو ظلمهم أو عدل معهم. ومن أشهر علمائهم أبو الحسن الأشعري.(جبرون وآخرون، سابق، ص١٧٣).

٢- مدرسة الفلاسفة: (نظريّة العدالة)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن مفهوم العدل عند الفلاسفة الإسلاميّين يعتمد على العقل والنقل، أي التوفيق بن الفلسفة والدين، وذلك يعود إلى قبول ما يطرح ليتقبله المجتمع والحاكم من خلال الدّين (تسخير الدّين للفلسفة)، وسنتناول مفهوم العدالة عند أبرز الفلاسفة، وهم:

أ- الفارابي:

يقول الفارابي عن العدل" **إن العدل يكون أولاً في قسمة الخيرات المشتركة لأهل المدينة على جميعهم، ثمّ -بعد ذلك- في حفظ ما قسم عليهم، وتلك الخيرات هي السلامة في الأموال والكرامة والمراتب وسائر الخيرات التي يمكن أن يشتركوا فيها؛ فإنَّ لكل واحد من أهل المدينة قسطا أي (حقاً) من هذه الخيرات مساويا لاستهلاكه، فنقصه عن ذلك وزيادته عليه جور، أمّا نقصه فجور عليه، وأمّا زيادته فجوره على أهل المدينة، فإذا قسّمت تلك الخيرات واستقر لكل واحد قسطه فينبغي بعد ذلك أن يحفظ على كلّ واحد بعد ذلك قسطه، إمّا أن يخرج عن يده، وإمّا أن يخرج بشرائط وأحوال لا يلحق من خروج عن يده ضرر لا به ولا بالمدينة.**

"إن الفارابي يؤصل مفهوم **الاشتراكيّة**، وما للفرد من حقوق على الدّولة ليدوم العدل بين الناس وبين السلطة والأفراد، على ألا يتغوّل أحد على الأخر إلا بالقانون (الكتاني،٢٠٠٣).

ب- ابن سينا:

"ولان الدواعي: شهوانيّة وغضبيّه وتدبيريّه فالفضائل ثلاث: هيئة التوسّط في الشهوانيّة، مثل لذة المنكوح والمطعوم والملبوس والراحة وغير ذلك من اللذات الحسيّة والوهميّة، وهيئة التوسّط في القضبيات كلها، مثل الخوف والغضب والغم والأنفة والحقد والحسد وغير ذلك. وهيئة لتوسط في التدبيريّة ورؤوس هذه الفضائل عفّة وحكمة وشجاعة، ومجموعها العدالة، وهي خارجة عن الفضيلة النظريّة" ولتقسيمات ابن سينا لنفس البشريّة؛ فقد أشار إلى مفهوم العدالة في النفس، وجعل النفس هي مقياس العدل من خلال الوسطيّة في كلّ ما تحتاجه النفس، من غير الزيادة أو النقصان.(جبرون وآخرون، سابق، ص١٧٨).

ج- ابن رشد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ينبغي على كلّ واحد من أهل المدينة ممن يسكنونها ألّا يقوم إلا بعمل واحد من الأعمال التي تحتاجها، وهو العمل الذي أعدَّ له بالطبع، وهذه هي العدالة التي تمنح المدينة السلامة والبقاء طالما بقيت قائمة فيها.... ويحصل لها ذلك عندما يجتمع رأي السادة والجمهور على احترام ما توجبه النواميس....، أعني أن يعمل كلّ واحد العمل الذي أُعِدَّ له بالطبع، ولا ترغب نفسه فيما ليس له" وهذا ترسيخ لطبقيّة من منظور أفلاطوني عندما قسَّم المواطنين إلى طبقات، وكلّ طبقة تعمل في المجال الذي هي أهل له، وكلّ له دوره الذي يمثله من خلال عملة لتتحقق العدالة(جبرون، وآخرون، سابق، ص ١٨٠).

د- ابن خلدون:

" ولا تحسبنَّ الظلم إنما هو آخذ المال أو الملك من يد مالكة من غير عوض، ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعمُّ من ذلك، وكلّ من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، ووبال ذلك كلّه عائد على الدّولة بخراب العمران، الذي هو مادتها لإذهابة الآمال من أهلها. "وهنا ابن خلون يتحدّث عن نقيض العدل، الذي إن حصل؛ فقد يتسبب بالخراب والدمار للدّولة والمجتمع بشكل عام، والبعد عن الظلم هو العدل من خلال الشريعة(ابن خلدون،٢٠٠٧،ص١١٤).

وعليه؛ فإنَّ الفكر السياسيّ الإسلاميّ قد مرَّ بعدة مراحل ومواقف مفصليّة خلال أربعة عشر قرنا؛ أدّتْ إلى ازدهاره وتطوّره، واضافه أفكار جديدة عليه لا تنافي العقيدة الإسلاميّة، ولكن كانت تدرّس بعناية لتتوافق مع العقيدة من خلال الاجتهاد وتطبقها عمليا على أرض الواقع، من خلال النظام السياسيّ، وهذه التراكمات أدّتْ إلى ظهور المدارس والمذاهب والدّول الإسلاميّة المتعددة والأفكار المختلفة التي أدّتْ إلى الحروب الداخليّة في بين المسلمين، ولكن لم تكن حرباً على عقيدة، بقدر ما هي حربٌ على السّلطة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الفكر السياسيّ الليبراليّ بين التنظير والممارسة

إن الفكر السياسيّ الليبراليّ هو نتيجة وهدف في وقت واحد، أمّا كونه نتيجة فقد جاء ذلك لما تعرّضت إليه الشعوب والمجتمعات الأوربية من سلطه الدّين، وتعاليم الكنيسة التي كانت تخدم فئة واحدة من الشعب، من خلال الاستبداد وحكم "الإقطاع"، وتقسيم المجتمع إلى طبقتين طبقة أقليّة، تملك وتحكم وتفكر بالنّيابة عن المجتمع وتقرر مصير الشعوب بطابع قدسي لا يحق لأحد الاعتراض عليه، وطبقة الأغلبيّة التي لا تملك وتخدم وترضى بالواقع ليكفروا عن الخطيئة الأولى، أمّا الهدف من هذه الفكرة هو التحرر من جميع أنواع الاستبداد، وانطلاق الملكيّات الفكريّة من القيود والتوجه إلى حياه خالية من الاستبداد، وفصل الدّين عن الدّولة، إذا كان مقيداً للحريّة الفكريّة، أو مقيّداً لشخصيّة الإنسان السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة.

وبناءً على ما تقدّم؛ سيتمّ دراسة الموضوع من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مصادر الفكر السياسيّ الليبراليّ

المطلب الثاني: طبيعة الفكر السياسيّ الليبراليّ ومفهومه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الاول: مصادر الفكر السياسيّ الليبراليّ

امتازت العصور الوسطى في أوروبا بنظام الإقطاع الذي أدّى إلى الطبقيّة بين أفراد المجتمع الأوروبيّ، وأنتج الاستبداد والظلم في المجتمع، من خلال طبقة تحكم وتملك وهم "السادة" أو "النبلاء"، وينقسمون إلى " الكنيسة "والسادة" و"الملوك"، وطبقة من الرقيق "الفلاحين"، لتخدم وتعمل لتلك الطبقة الحاكمة في الأرض والزراعة والخدمة.(السلمي،٢٠٠٩م،ص٣١).

ولكنَّ المجتمع الأوروبي استطاع أن يكسر القيود مطالبا بالحريّة، وتحقيق الإنسانيّة، وبعد انفتاحها على العالم القديم من خلال المعرفة، ووصول المؤلفات اليونانيّة والرومانيّة إلى أيديهم؛ نتج عنه الكثير من الأفكار والنظريّاًت التي كوّنت الفكر الليبراليّ في جميع مناحي الحياة.

إن الفكر السياسيّ الليبراليّ، والمذهب الليبراليّ على العموم، لا ينتسب إلى أيّة مدرسة أو مصدر فكريّ واحد، ولكنَّه حصيلة تفاعلات فكريّة، وماديّة، منها من توارث تاريخي ومنها ما هو وليد الظروف للمجتمع الأوروبي، وهذه المصادر المتعددة سنحاول -من خلال هذا المطلب- الوقوف على مصادره التاريخيّة، والعقائديّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، وغيرها. وللفكر الليبراليّ ثلاثة مصادر رئيسة، هي:

أولاً: المصدرُ اليونانيّ والرمانيّ:

سعى عصر النهضة لإحياء التراث اليونانيّ والرومانيّ من خلال الحركة الفكريّة، فزالَ نظام الإقطاع، وظهرَت الدّولة الإقليميّة، وتراجعتْ سلطة الكنيسة على حساب التقدّم في السّلطة الزمنيّة، بعد صراع طويل بين السّلطتين، وظهور حركة الإصلاح الدينيّ(مجاهد.١٩٩٢،ص:٣٠٠).

يُعَدُّ عصرُ النهضةِ صاحبَ الفضلِ على الشعوب الغربيّة من خلال إحياء العلوم القديمة وظهور الطبقة البرجوازيّة، والاكتشافات الجغرافيّة والتكنولوجيا باكتشاف الآلة الطابعة وتحرّي العقل من سلطة الكنيسة والملوك، مما أدّى إلى ثورة على مدار قرنين أو ما يزيد لتلد بعد مخاضها الطويل المذهب الليبراليّ.

١- الحركة الأدبيّة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كـان لهـذا التـراث الـدّور فـي التحـوّلات الفكريّـة نحـو الليبراليّـة مـن خـلال الانفتـاح وتحريـر العقـل الأوروبـي بعـد الانغـلاق الـذي فرضـته الظـروف الدينيّـة والسياسـيّة والاجتماعيّـة علـى المجتمـع بشـكل عـام، والـذي أدّى إلـى انحصـار الفائـدة الماديّـة والعقليّـة عند عدد قليل من الأفراد، وهم رجال الدّين والملوك.

إن **إحيـاء** التـراث الإغريقـي مـا هـو إلا ثـورة علـى قيـود الكنسـية التـي فرضـتها علـى عقـول النـاس، والعـودة إلـى مـا قبلهـا مـن انفـلات فكـري غيـر مقيّـد مـن خـلال الحريّـة الفكريّة، وهذه الحركة دعمت الفكر الليبراليّ على العموم من خلال:

أ- التحـرر مـن الضـوابط الدينيّـة المسـيطرة، وإبـراز أفكـار جديـدة حـرّة لا يقيـدها العـرف أو الدّين.

ب- إن الفكـر الإغريقـي محمَّـل بـالكثير مـن الأفكـار والفلسـفة، التـي تُعَـدُّ هـي أصـل الأفكـار الليبراليّة، كالحريّة المنفلتة والفرديّة (السلمي، سابق، ص ص:٤٤،٤٥).

مكيافللي ١٤٦٩-١٥٢٧م

يُعَـدُّ صـاحب كتـاب **"الأميـر"** ونظريّـة الفصـل بـين السياسـة والأخـلاق الأسـاس للـنهج الليبرالـيّ، الـذي يـدعو علمنـة الدّولـة والفصـل بـين مدينـة الله ومدينـة البشـر، وان البشـر هـم أدرى بشـؤون دنيـاهم، فعلـيهم صـياغة قـوانين تخـدم مصـلحتهم؛ لأنهـم الأقـدر علـى معرفـة مصـالحهم والعمـل علـى تحقيقهـا بـأي طريقـة، مـع الأخـذ بـأن الأخـلاق لا تكـون دائمـا مجديـة لتحقيـق المصـالح، وهـو -بهـذه الأفكـار- قـد وضـع لبنـة الأسـاس لفكـر جديـد وتحريـر العقـل الأوروبيّ من عبوديّة الكنيسة والسّلطة(توشار،٢٠١٠م،ص:٣٥٩).

لقـد جـاء فكـر **مكيـافللي** مـن اطلاعـه علـى الفكـر الرومـاني القـديم و**إحيـاء** الكلاسـيكيّة القديمـة فـي المواطنـة ولا يعتبـر مـن **الإنسـانيين** لكونـه لـم يتـأثر بـالفكر الإغريقـي بـل تـأثر كثيـرا بالحضـارة الرومانيّـة، وهـذا يعـود لكونـه إيطـالي ويحـاول إعـادة فكـرة الدّولـة الرومانيّـة القديمـة، التـي سـيطرت علـى مـن حولهـا فـي عصـرها بأفكـار تقليديّـة ومتملّقـة للسلطة(توشار،٢٠١٠م،ص:٣٦١).

اعتبـر **مكيـافللي** مـن خـلال نصـائحه أن علـى الحـاكم الانحـلال مـن القيـود والتحـرر مـن القـيم الدينيّـة والروحيّـة، واعتبـر أن الحكـم المطلـق هـو مـا يوحـد الدّولـة مـن خـلال ديمقراطيّـة شـعبيّة ولـم يشـجع علـى الثـورات، وهـو مـن خـلال مـا قـدم جـرد السياسـة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأظهرها عارية بحقيقتها، وهذا من الأسباب التي جعلته في موقع نقد(مجاهد، سابق،ص:٣٢٨،٣٢٩).

إن فكر **مكيافللي** يقوم على أن الناس متساوون وهذا يكون بقوّة الضعيف من خلال الحيل أو التحالف مع من يكون عدوهم المشترك، وبهذا تكون المساواة بالقوّة من خلال التجمّعات لضعفاء وتشكيل قوّة تواجه عدوّهم الأقوى، وتعطي الأمل للوصول إلى الأهداف وتدمير خصمه، وان هذه الحروب سوف**" تمنع كلّ صناعة وكلّ زراعة وكلّ ملاحة وكلّ علم أو أدب، بل كلّ مجتمع أو كلّ عمران، والأسوأ من هذا كلّه: الخوف الدائم والخطر الداهم من موت عنيف، يجعل الحياة منعزلة فقيرة فظة بلهاء وقصيرة في مثل هذه الحرب لا شيء مجحف ولا شيء عادل ولا يمكن أن يكون، حيث لا توجد قدرة مشتركة ولا قوّة مشتركة ولا يوجد قانون، وحيث لا يوجد قانون لا يوجد إجحاف أو ظلم، إن القوّة والخدعة هما الفضيلتان الرئيستان في الحرب"**(الويشي ٢٠٠٧م،ص:٨٩).

٢- الحركة الإنسانيّة:

وكان **للأنسنة** أو ظهور الحركة الإنسانيّة في عصر النهضة والتقدم التكنولوجي في اختراع الآلة **الطابعة** التي أسهمت في ازدهار المكتبات الأوروبيّة بالكتب والمراجع الدّور الكبير في تأصيل الفكر الليبراليّ، ومن خلال الباحث الايطالي **"بيترارك ١٣٠٤-١٣٧٤م"** الذي أسهم في تطوّر العلوم الإنسانيّة من خلال توحيد السعي في الفلسفة من أجل تحقيق أهداف الفرد التي تجعل منة القدرة على العمل بكفاءة في المجتمع، وهذا يكون من خلال البلاغة والقدرة على الإقناع والتوازن، وأن التدريب على العلوم الإنسانيّة يوصل الفرد إلى التوازن المثالي(بروتون،٢٠١٤م، ص:٤٣).

ينحصر الإنسان عند الفلاسفة ما بين الإلهيات والطبيعة، أمّا الإلهيات التي من خلال العقل البشري الفعّال أو من خلال السلوك الخلقي الذي يصل به إلى التفكر بالله من خلال الطبيعة، وأمّا الطبيعة فيعود ذلك إلى أنّه أفضل المخلوقات على وجه الأرض، وكذلك لجسده دور في التكوين الطبيعي الموجود(حنفي،١٩٨٢م،ص:٢٢).

ثانيا": الدّين المسيحي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد انقسمت الديانة المسيحيّة في بدايتها إلى اتجاهين، ومن فرق الاتجاه الأول فرقة **المرقيونيين**، وفرقة **البربرانيّة**، وفرقة **أليان**، وفرقة **التثليث** وتفرعاتهم، وأمّا القسم الثاني؛ فقد كون مذاهب عِدَّة، وهي: مذهب **الابيونيين**، ومذهب **الشمشاطيّة**، ومذهب **الأريوسيين**(كامل، سابق،ص:٤٣).

وبعد أن نجح أصحاب الفرق التي اعتمدت التثليث في القضاء على مخالفيها؛ حصل الخلاف بينهم على طبيعة المسيح، وانقسموا إلى فرقتين، لكل منهما رأي في طبيعة المسيح، وهما: الفرقة الأولى (**الأرثوذكسيّة**)، الذين يرون أن للمسيح طبيعة **إلهيّة**، وانقسموا إلى ثلاث كنائس، هي: الكنيسة "**المرقصيّة**"، والكنيسة "**السريانيّة**"، والكنيسة "**الأرمينيّة**". أمّا الفرقة الثانية (**الكاثوليكيّة**)، الذين يرون أن للمسيح طبيعة **إلهية** وطبيعة **إنسيّة**، أو ما يسمونه "**اندماج اللاهوت في الناسوت**"، وانتشر هذا المذهب في الشام وأوربا الغربيّة، ويسمونه مذهب (**الملكانيّة**). وظهر مذهب آخر وهو المذهب (**الماروني**)، وله وجهة نظر في طبيعة المسيح مع الإقرار بأنة له طبيعتين ولكن مشيئته وإرادته واحدة إلهيّة (كامل، سابق،ص:٤٥،٤٦).

وفي بدية القرن السادس عشر وبعد فساد الكنيسة **الكاثوليكيّة** ورجال الدّين الذي جعلوا بأيديهم **السلطتين** الدينيّة والزمنيّة، وقد كان لهم الفضل في وجود الظلام في المجتمع الأوروبي؛ ظهرت **حركة الإصلاح الديني** المتمثلة في "**البروتستنتيّة**"، بقيادة "**مارتن لوثر**" "**وجان كالفن**"، وكان لأفكارهم واحتجاجاتهم على الكنيسة أكبر الأثر على الفكر الأوروبي(مجاهد،سابق،ص:٣٣٣).

مارتن لوثر ١٤٨٤-١٥٤٦م

تُعَدُّ أفكار **لوثر** في الإصلاح الديني البداية في التغيير من خلال ٩٥ أطروحة وضعها على بوابة "**كنيسة القلعة**" عام ١٥١٧م، وذلك بعد إصدار **صك الغفران** من البابا لبناء **كنيسة القديس بطرس** وهو عبارة عن صكوك من الكنيسة مقابل المال، وهذا الصك يعفي الإنسان من العقاب ويخلصه من الخطايا مهما كانت، أيّ التوبة عن الذنوب(بروتون،٢٠١٤م،ص:٦٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول لوثر في كتاب "**الخطاب**" عن هذا الفعل من رجال الكنيسة " **فمقابل دفع المال حولوا الإثم إلى بر، وفسخوا الإيمان، والنذور، والاتفاقات وبذلك، حطموا، وعلموا تحطيم الإيمان والإخلاص ،اللذين تعهدا بالتزامهما وأكدا أن للبابا سلطة فعل ذلك، غير أن الشيطان هو الذي قال لهم أن يقولوا ذلك. فهم يحدثوننا عن عقيدة شيطانيّة، ويقبضون المال بحجتها؛ لكنهم يعلموننا الخطيئة ويقودوننا إلى الجحيم"**(سكنر،٢٠١٢م،ص:٢٧).

لقد ضرب **لوثر** الكنيسة **الكاثوليكيّة** بعد ما تحوّلت أفكاره إلى ثورة للإصلاح الديني، الذي تشوّه من خلال رجال الدّين، وكانت أفكاره تقوم على أن العلاقة بين الأفراد والرَّب علاقة مباشرة، وليس لأحد من رهبان وقساوسة أيّة علاقة بها وهم عاجزون أن يمثلوا الله على الأرض؛ لأن الله رحيم، وأن الإيمان هو الخلاص والنجاة من عذاب الله. وكفر **لوثر** صكوك الغفران(بروتون،٢٠١٤م، ص:٦٧).

وأهم أفكار **لوثر** لخصتها **حوريّة مجاهد**، كما يأتي:

١- **ترجيح** السلطة الزمنيّة على السلطة الدينيّة
٢- **هاجم الكنيسة** بمن فيها من رجال دين، وهاجم كذلك تصرفاتهم المنافية لتعاليم الدّين المسيحي.
٣- إن **سلطة الحكام** مستمدة من الله وليس لشعب أو رجال الدّين عليه سلطان وهو مسؤول من الله مباشرة.
٤- اعتماده على **القوميّة الألمانيّة** في مواجهة الكنيسة.
٥- **التسامح الدينيّ** ضروريّ، واستخدام أسلوب الإقناع وترك العنف والقوّة والدين لا يفرض على الناس، ولكن يحتاج إلى قناعة.
٦- ليس **لرجال الدّين** أيّة امتيازات، والدين المسيحي لجميع المسيحيين، وليس للبابا أيّة سلطة، إنما السلطة لله (مجاهد.سابق،ص:٣٣٨ - ٣٤١).

جان كالفن١٥٠٩-١٥٦٤م

صاحب كتاب **"الشرائع"** والذي كان هذا الكتاب لدفاع عن **البروتستانت** في فرنسا بعد اتهامهم **بالهرطقة** والعداء لشعب، وتمّ حرقهم، وقد قام كالفن بالدّفاع عنهم وعن أفكارهم من خلال أن العالم مقسم بين الخيّرين والأشرار، وان على الخيّرين الصبر على البلاء الذي هو امتحان لهم، وأن البروتستانت"**أناس من نوع خاص**"؛

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأنهم هم من اصطفاهم الله مقابل الشر، وأن على السلطة ألّا تجبر أو تقوم بالضغط على ضمائر الناس لتغيير مواقفهم وطريقهم الذي أقرّة المسيح، وهو **"قانون الحريّة الوحيد"** وأن المقاومة هي الطريقة لتحقيق الحياة المدنيّة المتمثلة في **العدل** والحريّة.(باول،١٩٨٥،ص:٢٩٦).

لقد اختلف **كلفن** مع **لوثر**، حيث أن الأخير يحث على طاعة السلطة الزمنيّة، أمّا كلفن؛ فقد عارضه وحثّ على **الثورة** على السلطتين ومعارض لهما وتقديم ما يمليه الضمير الإنساني على الطاعة، وأن الدّولة لها مهمّة حماية حريّة الأفراد داخلها؛ لأن حياة الرفاه ليست في الدّولة، ولكن داخل بيوت وأماكن تعايش الصفوة من المجتمع فقط.(باول،سابق،ص:٢٩٨).

وتلخّصت أفكار كلفن في كتاب **"تعاليم الدّين المسيحي"** فيما يأتي:

١- أصول العقيدة المسيحيّة مصدرها الكتاب المقدّس فقط.
٢- إن المسيح هو الشفيع عند الله، ولا أحد سواه.
٣- إن الأعمال دليل عل حب الله، ولكن لا تبرر إلا من خلال الإيمان.
٤- الإيمان بالقضاء والقدر.
٥- فصل الكنيسة عن الدّولة، وعلمنة الدّولة والكنيسة للجميع، وليست حكر على أحد وواجبها هو:
   أ. وظيفة القسّ هي الوعظ والإرشاد.
   ب. تفسير الكتاب المقدّس هي وظيفة رجال الدّين (**الدكاترة**)
   ج. إن وظيفة العلمانيين المراقبة على أخلاق الأفراد ورعاية الفقراء
٦- لا يهم نوع الحكومة ما دامت تقوم بواجبها بالدفاع عن الدّين والقيم المسيحيّة.(نوار، ١٩٩٩م،ص:١٣٩).

جان بودان ١٥٣٠-١٥٩٦م

تَعتَبِرُ الأفكار المسيحيّة الإنسان صاحب خطيئة آدم عليه السلام، وسيبقى يكفِّر عنها، وأنّ كلّ ما يحدث له هو تكفير عن تلك الخطيئة، ولكن **بودان** عارض هذه الأفكار، وأقرَّ أن الإنسان في حالة تقدّم مستمر، وشجع على التسامح الديني، ونبذ الرق والعبوديّة، وعارض التدخل في الملكيّة الخاصة، وعارض المساواة في توزيع الثروات ونادى بحريّة التجارة، واعتبر أن الأخلاق والعدل مرتبطان بالسياسة، ولا يمكن الفصل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بـين الأخـلاق والسياسـة، وأن القـانون الطبيعـي يقيّـد السـلطة، وأن العائلـة هـي أسـاس الدّولـة، وأن الإنســان اجتمــاعيّ، وأن الحــروب والصــراعات هــي التــي تنشــئ الــدّول مــن خــلال القوّة(مجاهد،سابق،ص: ٣٤٨).

إن الأفكـار التـي انبثقـت فـي **عصـر النهضـة** كانـت البدايـة للفكـر الليبرالـيّ، ولكـن كـان هنــاك مــن الأفكــار والأحــداث مــن ثــورات عــزز عصــر النهضــة الــذي اتّجــه إلــى ظهــور مفكرين، وأفكار ونظريّاًت جديدة، من أهمها ما ظهر في البيئة الأوربيّة نفسها.

ثالثا" البيئة الأوروبيّة:

فـي بدايـة عصـر الأنـوار، ظهـر العديـد مـن النظريّـاًت التـي أثـرت فـي الفكـر السياسـيّ الليبراليّ، وكان من أهمها:

نظريّة العقد الاجتماعي

اتفــق مفكــرو العقــد الاجتمــاعي وهــم **تومــاس هــوبز**، و**جــون لــوك**، **وجــان جــاك روســو**،أن الأفـراد يعيشـون فـي حالـة الطبيعـة، ولكـن اختلفـوا فـي كيفيّـة تلـك الطبيعـة ونظـر كـلّ مـنهم إلـى الطبيعـة مـن جهـة نظـر خاصّـة، وبـذلك اختلفـوا فـي نظريّـاًتهم للعقـد الاجتمـاعي مع الاتفاق على الأصل(مجاهد،سابق،ص:٣٥٥).

توماس هوبز

يقـول **تومــاس هــوبز** فــي كتــاب **"اللفياثــان"**: إن الطبيعــة الإنســانيّة لهــا ثلاثــة أســباب رئيسة للصدام والتنازع، هي:

١- **المنافســة**: وهــي التــي تجعــل النــاس يتنــازعون ويتحــاربون فيمــا بيــنهم مــن أجــل الحصول على مكاسب، في مقدمتها السيادة والسلطة على كلّ من هم حولهم
٢- **عدم الثقـة**: وهـذا يجعـل غيـاب الأمـن مصـدراً للتهديـد، فضـلاً عـن أنّـه يضـع النـاس فـي موقع الخوف دائما، ولا بدَّ من الأمن ليحفظ لناس أرواحهم وأموالهم وكرامتهم
٣- **المجـد**: وهـذا أحـد الغرائـز البشـريّة التـي تجعـل الإنسـان مميـزاً عـن الأخـر، مـن خـلال السـمعة، وبطـرق بسـيطة ومجـاملات سـواء بشـكل أو الفعـل، المهـمّ أنهـا تجعـل لهـذا الإنسان قيمة وتميّزاً عن الآخرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما يودّي إلى أن الإنسان يعيش في حالة حرب بين كلّ إنسان وإنسان، وأن الحرب متوقعة دائما وفي كلّ زمن، ما لم يحدث العكس، وهذا التوقع الدائم الذي يعيشه الإنسان من خوف لما سيحدث من صراع هو معطّل لكل منفعة لصالح البشر ويتوقف عن الانتاج(هوبز،٢٠١١م،ص:١٣٤).

يقول **هوبز** عن القانون الطبيعي: إن الناس يخلطون بين الحق والقانون، وإن لكل مفهوم طبيعته ويختلف عن الأخر، حيث أن الحق يقوم على الحريّة في قيام الشيء، أو عدم فعل الشيء، وهذه الحريّة خاصّة بالفرد. أمّا القانون فهو محدد وملزم ويختلف الحق والقانون بدرجة الحريّة والإلزام، وهما متناقضان، ولا يكونان معاً. (هوبز،سابق،ص:١٣٩).

إن قانون الطبيعة يجعل الإنسان يسعى إلى السلم والأمان؛ ولكن إن تعذر ذلك - من خلال اعتداء الآخرين- يجب أن يكون الإنسان جاهزاً لأيّ حرب، وأن يدافع عن نفسه بكل الطرق، ولكن على الإنسان التخلّي عن حقه لتحقيق السلام، أو لدفاع عن نفسه، وأن تكون حريّته مساوية لحريّة الأخرين. (هوبز، سابق،ص:١٤٠).

لقد قسم **هوبز** الحقوق كما ذكرها الدكتور إمام عبد الفتاح إمام في كتاب توماس هوبز فيلسوف العقلانيّة، على النحو الآتي:

١- **حق البقاء**: وهذا الحق يجب أن يتوافر للإنسان، وإذا فقده الإنسان من خلال عدم وجود ما يقومه على الحياة من مأكل ومشرب؛ فإنه سيتحوّل إلى وحش كاسر، ويقتل من أجل أن يحصل على ما يجعله حيّاً، إن لم يجده بالطرق السلميّة، وهذا هو الحق الذي يشبع الرغبة الإنسانيّة، وهو أهم الحقوق الطبيعيّة. (أمام،١٩٨٥م،ص:٣٣٣).

٢- **الوسيلة** : وهي مكمّلة لحق البقاء، فكما أن الإنسان يسعى إلى البقاء، أيضاً هو بحاجة لطريقة تبقيه على قيد الحياة، فهو يستخدم كافة الوسائل لتحقيق هدفه(أمام،سابق،ص:٣٣٤).

٣- **حق المحافظة على البقاء**: بما أن الإنسان يتعرض للخطر من الأخر؛ فعلية أن يحافظ على بقائه من خلال الوسائل والطرق التي تتلاءم والخطر الذي يواجهه؛ لأنّه هو الأدرى بحجم الخطر الذي يهدده. (أمام: سابق،ص٣٣٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- **حقّ الملكيّة:** وهو أن من حق كلّ إنسان أن يملك أي شيء، وكلّ شيء، وهذا ما منحته له الطبيعة من أجل البقاء(أمام،سابق،ص:٣٣٦).

إن طبيعة العقد الاجتماعي عند **هوبز** هي أن يبرم الأفراد عقداً بينهم، ويتنازلوا من خلاله عن كافة حقوقهم الطبيعيّة تنازلاً نهائيّاً لشخص يتولّى أمورهم، من غثر عودة عن رأيهم، ومن غير إجبار أيٍّ منهم، وهذا الشخص ليس طرفا في العقد، وهو غير مقيّد إلا بأهداف ذلك العقد، من خلال تحقيق حماية الحياة والممتلكات(مجاهد، سابق، ص:٣٦٨).

جون لوك:

تُعَدُّ حالة الطبيعة عند **لوك** أنها حالة من الحريّة المطلقة التي من خلالها تسير أمورهم من غير قيود، إلا ما أوجدته الطبيعة، وان يكونوا متساوين أمام السلطة والقضاء من غير تميّز أو تحيّز لفرد دون الأخر، إلا ما يميزه بإرادة إلهيّة على غيرة من سلطة وسيادة، وهذه المساواة لا جدال عليها، وهي واضحة بحكم الطبيعة التي أوجدتها، وتقوم على **العدالة** والمحبة ويقول في هذا: **"إن الحافز الطبيعي دفع الناس إلى الإيمان بأن واجبهم نحو حب الآخرين لا يقلّ عن واجبهم نحو حبهم لأنفسهم، وحيث أن مبادئ المساواة تقتضي من الأفراد المتساوين الخضوع لقانون واحد؛ فإنني إذا كنت لا أملك تحقيق الخير لنفسي كما يملك غيري فكيف يمكنني إرضاء أيّة رغبة من رغباتي ما لم أكن حريصاً على إرضاء الرغبات المماثلة عند الآخرين، وهي رغبات طبيعية حقيقيّة؛ لأنها تحمل طبيعة رغباتي. إن حصول الآخرين على ما يتعارض ورغباتهم لا بدَّ أن يثير في نفسي من الحزن قدر ما يثير في نفوسهم، إذ يجب أن انتظر العقاب لو تسببت في إيقاع الأذى بالآخرين، فليس هناك ما يدعو إلى إن يهبونني من الحب أكثر مما أمنحه لهم؛ فإنَّ رغبتي في أن أكون محبوبا تفرض عليّ واجباً طبيعيّاً وهو منح الحب بالقدر الذي منح لي، ومن هذا الحب تنشأ علاقة المساواة بيننا وبين من يتساوون معنا، فالإنسان لا يجهل القواعد والقوانين العديدة التي يمليها المنطق الطبيعي"** (لوك،ص:١٣،١٤).

تُعَدُّ الملكيّة في حالة الطبيعة عند **لوك** هي الحقوق التي يتمتع بها الجميع من حياة وحريّة وممتلكات، وهذه الملكيّة تقوِّم الحريّة التي هي الأساس من أجل حماية الحياة والممتلكات، وهذه الممتلكات الطبيعيّة مصدرها الله، وقد وهبها للبشر، وعليه أن يديرها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقدر قدراته العقليّة، وأن الأرض وضعها الله مشاعا لناس، وان كلّ ما يصدر منها فهو للناس جميعا، ولهم الحق فيه (لوك،ص:٣١).

ولكن إذا توجّه الإنسان إلى الطبيعة وعمل بها وأخرج من خيراتها واستقلها بعقلة وعملة؛ فإنّه قد حصل على ملكيّة ما أنتجه، وان هذا المنتج سواء كان من خيرات الأرض أو صيد للحيوانات أو أيّ كان نوعه ولكن كانت الوسيلة للحصول عليه هي العمل فقد خرج من دائرة الشيوع إلى دائرة الملكيّة الخاصّة، وبهذا يحق للفرد مالك هذا المنتج أن يدافع عنه أو يبيعه بالمقابل؛ لأن عمل الفرد بهذا الاتجاه جعله يعطيه الأحقيّة في تملّكه من غير إفساد(لوك،ص:٣٣).

إن حالة الطبيعة عند **لوك** وبحكم الطبيعة هي تفاؤليّة، وهي حالة سلم وود وتعاون ومحافظة على النفس، ولكن هذا ليس كافياً؛ لأن الإنسان يفسر القانون الطبيعي حسب أهوائه ومدركاته العقليّة، وهذه الحالة تفتقد إلى التنظيم، وهي بحاجة إلى مجتمع مدني ليطمئنَّ على ملكيّته، وهذا القانون بحاجة إلى إيضاًحات كانت غامضة من خلال التوافق على القانون، ويكون مرضياً وتوافقيّاً بين الجميع، لكي لا يفسر القانون الطبيعي وفقا للأهواء الشخصيّة وإيجاد شخص للفصل بين الأفراد وهو القاضي وكذلك بحاجة إلى من ينفذ هذه القوانين بين الأفراد وإيقاف كلّ عند حدوده التي وضعها له القانون(مجاهد،سابق،ص:٣٩٠).

والعقد الاجتماعي عند **لوك** هو أن يتنازل الأفراد عن جزء من حريّاتهم لتحقيق الخير العام إلى شخص أو مجموعة، تعطى بموجب هذا العقد الصلاحيات لإدارة شؤون الدّولة مع الاحتفاظ ببعض الحريّات، وعلى الدّولة أن تحافظ على هذه الحريّات، وأن الطرف المتعاقد معه لإدارة الدّولة طرف في العقد، فإنه إذا أخلّ بشروط العقد؛ فإنَّ ذلك سبباً لفسخ العقد. وقد شرّع **لوك** الثورة عليه، وجعلها حقا مشروعاً (فهمي،١٩٩٧،ص:٨٣).

جان جاك روسو

يرى **روسو** حالة الطبيعة من منظور مختلف عمّن سبقه من الفلاسفة، حيث أن حالة الطبيعة حالة من السعادة والخير، وهي الفطرة التي خُلقَ الإنسان عليها، وعلى الرغم من الصعوبات التي تواجه الإنسان للحصول على ما يلزمه من مأكل ومشرب وأمان من مخاطر الطبيعة مما جعله يتقدّم إلى حاله جديدة من الطبيعة، وهي حالة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاجتماع مع غيرة من الأفراد، فيكوّن الأسرة وهو مخيّر في اختيار ما يريد، أو يرفض مالا يريد، وتطوّره هذه الحالة إلى طبيعة جديدة كان للملكيّة دور في عدم المساواة والمنافسة والصراع فيما بينهم، وهذه الأسباب كانت كفيلة لخروج الأفراد من حالة الطبيعة إلى تطوّر جديد، وهو المجتمع السياسيّ، الذي هو طبيعيّ لمثل هذه الظروف.(فهمي،سابق،ص:٨٩).

إن العقد الاجتماعي عند **روسو** يقوم على أنّ الناس في حالة من الخير والمساواة والحريّة، ولكن حالة العقد الاجتماعي الجديدة لا تكون إلا من خلال تنازلهم الكامل عن هذه الحقوق للدولة، وبهذا يكونون متساوين وأحراراً بالعموم، وعلى الدّولة أن تدير وتنظم لهم حياتهم بحريّة ومساواة تآمّتين بين جميع أفرادها ويقول: **" يضع كلّ واحد منا شخصه وجميع قوّته شركة تحت إدارة الإرادة العامّة، ونحن نتلقى –كهيئة- كلّ عضو كجزء خفيّ من المجموع"**(روسو،١٩٩٥،ص:٤٥)

والإرادة العامّة عند **روسو**، هي ثلاثة أنواع:

١- **الإرادة الفرديّة:** وهي إرادة الفرد وتتصف بالأنانيّة.
٢- **إرادة المجموع:** وهي التي تعبّر عن الاختلافات من خلال إرادة الجميع.
٣- **الإرادة العامّة:** وهي إرادة الأغلبيّة في شخصيّة اعتباريّة واحدة، تذوب من خلالها إرادة الأفراد والمجموع، لتكون إرادة تعاقديّة وغير أنانيّة، وهي صاحبة السيادة المطلقة.(مجاهد،سابق،ص:٤١٤).

إن المفكرين سابقي الذكر، كان لكل من أفكارهم دور في تدعيم نوع من أنواع السلطة والحكم في المجتمع الغربي المتخبط في تلك الفترة، وهي الفترة الانتقاليّة من وضع سياسي قائم على مبادئ تحدُّ من الحريّات إلى وضع جديد يتخبّط المجتمع فيه للوصول إلى برِّ الأمان الذي يحلمون إليه، وكانت نظريّاًت العقد الاجتماعي تحلل الطبيعة القديمة وما سيصار إليها، بعد القبول بما هو قادم من سلطه ونظام جديدين، فقد عبّر **هوبز** عن الحكم المطلق والاستبداد الذي يرى أنّه الأصلح.

أمّا **لوك** فيرى أن المجتمع بحاجة إلى حكم برلماني، يقف في وجه الحكم المطلق، أمّا **روسو** فقد استخدم نظريّته للحكم المطلق، ولكن يختلف عن **هوبز** بأنّه جماعيّ وإرادة عامّة(مجاهد،سابق،ص:٣٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مبدأ الفصل بين السلطات

إن هذا المبدأ ليس بالجديد، بل لقد كان في العصور القديمة وقد تطرّق إلية كلّ من أفلاطون وأرسطو، وكان **لوك** ينادي بها وقال عن هذا المبدأ: **"ينطوي إسناد تنفيذ القوانين إلى الأشخاص ذاتها، المختصين بسنّها على تحريض وإغراء للنفس البشريّة التي تميل إلى الطموح"**، ولكن تبلورت الفكرة على يد **"بارون دى مونتسكيو ١٦٨٩-١٧٧٥م"** في كتاب **"روح الشرائع"**، الذي يقول فيه: **" إنّه من المتعيّن أن تحدّ السلطة فكل شيء يضيع إذا زاول شخص واحد أو هيئة واحدة السلطات الثلاث" ويقول أيضاً في هذا الرباداء" لا تتحقق الحريّة حين يجمع شخص واحد أو هيئة واحدة السلطة التشريعيّة والسلطة التنفيذيّة ذلك أنّه يخشى أن يسنّ الملك أو الهيئة تشريعات مستبدّة وينفذها على وجه استباديّ ولا تكون هناك حريّة إذا لم يتحقق الفصل بين سلطة القضاء والسلطتين التشريعيّة والتنفيذيّة، فإذا ما انضمت السلطة القضائيّة إلى السلطة التنفيذيّة قد يحوز القاضي سلطانا طاغيا "**(مجموعة باحثين، ١٩٩٠م،ص:٣٠٢).

لقد قسم **مونتسكيو** القوانين إلى:

أ. **القانون الطبيعي**: الذي يستمد من الطبيعة للأفراد، وهذا قبل تأثرهم بالمجتمع المدني، وهي عقلانيّة وعادلة وتحقق المساواة بين الأفراد، ولكن لشعورهم بالنقص والجبن كان يسيطر عليهم الخوف الدائم.

ب. **القوانين الوضعيّة**: تتكون من دخول الأفراد إلى المجتمع وابتعادهم عن مصادر الرعب، ومن خلاله تبدأ القوّة السياسيّة بالاستخدام لتحسين من وضعهم، وهي نتيجة لعوامل جغرافيّة وتاريخيّة.

ج. **قانون الشعوب:** وهو ما يسمى اليوم بالقانون الدّولي، ويتعلق في العلاقات الخارجيّة لدولة في أوقات الحرب والسلم

د. **القانون السياسيّ**: وهو الذي يحدد العلاقة ما بين الحكومة والمحكومين.

ه. **القانون المدني:** وهو القانون الذي يحكم العلاقات بين الأفراد داخل الدّولة ويعاقب المعتدين لتحقيق الأمن العام بين أفراد المجتمع.(مجاهد،سابق،ص:٤٢٧،٤٢٨).

والحكومات عند **مونتسكيو** هي أربعة أنواع:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. **النظـام الجمهـوري الـديمقراطي**: وهـو أن السـلطة بيـد الشـعب وتقـوم علـى الفضـيلة السياسيّة أي أنها تقوم على العمل والخدمة من أجل الوطن

ب. **النظـام الجمهـوري الارسـتقراطي**: وهـو أن الشـعب يملـك جـزءاً مـن السـلطة وليسـت السلطة كاملة، وتنهار هذه الحكومة إذا اختلّ توازن الاعتدال بها.

ج. **النظـام الملكـي**: وهـو حكـم الفـرد، ولكـن بقـوانين محـددة وهـو بهـذا لا يكـون حكمـاً اسـتبداديّاً، وهـي حكومـة الاعتـزاز والشـرف، ولكـن تنتهـي إذا اعتـدى الملـك علـى الامتيازات وأعاد كلّ أمور الدّولة إلى شخصه.

د. **نظام الحكم الاستبدادي**: وهو حكم الفرد من غير قوانين، ولكن حسب أهوائه وتقوم على مبدأ الخوف وهي في حالة فساد دائم،(فهمي،سابق،ص ص:٩٨،٩٩)

لقد قسم السلطة إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ. **السـلطة التشـريعيّة:** وهـي التـي تصـدر القواعـد العامّـة والتـي تحـدد السـلوك للأفـراد والمجتمع بنصوص عامّة أو قوانين داخل الدّولة

ب. **السـلطة التنفيذيّـة**: وهـي السـلطة التـي تنفـذ القـوانين الصـادرة عـن السـلطة التشريعيّة لتحقيق الأمن والاستقلال وسلامة الوطن وحماية أراضية.

ج. **السـلطة القضـائية**: وهـي التـي تقـوم فـي الفصـل بـين الأفـراد فـي حـال الخصـومات ومعاقبـة مرتكبـي الجـرائم، وهـي تنفّـذ القـوانين، ولكـن بشـكل مختلـف عـن السـلطة التنفيذيّة.

وهـذه السـلطات الـثلاث تتواجـد فـي الـدّول **الديمقراطيّـة** ولكـن بمسـميّات تختلف(فهمي،سابق،ص:١٠٠).

دور الطبقة البرجوازيّة في الفكر السياسيّ الليبراليّ:

اقترنـت الطبقـة **البرجوازيّـة** بـالفكر السـائد الـذي يـدعو إلـى الحريّـة والفرديّـة والمسـاواة فكـان لهـا الـدور فـي دفـع الاقتصـاد إلـى الأمـام، وكـذلك فـي تطـوّر الفكـر السياسـيّ الليبرالـيّ مـن خـلال الاكتشـافات الجغرافيّـة والثـورة الصـناعيّة والثـورات علـى الحكـم والمتمثلـة فـي الثـورة الإنجليزيّـة والأمريكيّـة والفرنسـيّة لتحقيـق مـا يريـدون (مجموعـة باحثين، سابق، ص:١٩٢).

١- **الكشوف الجغرافيّة:**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظهرت الطبقة البرجوازيّة بعد الحملات الصليبيّة على الشرق والانفتاح الأوروبي على البحر الأبيض المتوسط، الذي من خلاله ازدهرت التجارة بين أوروبا والشرق وأدّى هذا الانفتاح إلى ازدهار للمدن الساحليّة وسيطرة الأثرياء عليها، ولكن النظام السياسيّ وقف عائقا في تقدم التجارة لصالح النظام الإقطاعي، والذي أدّى إلى تقدم المجتمع والدّولة بعد ظهور البرجوازيّة وما قامت به من مدن اقتصاديّة وتقدم في اقتصاد الدّولة ولكن قام الملوك بدعم هذه الطبقة والاقتصاد بشكل عام لتقدم الدّولة وتأمين احتياجاتهم الماليّة وحثهم على الاكتشافات الجغرافيّة والبحث عن مصادر جديدة لرأس المال من مناجم ذهب وفضّة وغير ذلك من المعادن الثمينة(غنيم،١٩٥٧م،ص:٨٤،٨٥).

إن التوسع الامبريالي التي شهدته المعمورة في بدايات العصر الحديث جاء نتيجة حب السيطرة على خيرات الأرض والسيطرة على الطرق التجاريّة واكتشاف مصادر جديدة لجني الثروات والذهب بعدما أصبح النظام الإقطاعي لا يفي بالغرض لدول أوروبا، التي أصبحت دولاً نَهِمَةٌ، لا يكفيها ما هو داخل حدودها (نوار وجمال الدّين،سابق،ص:٥٤).

وأهم نتائج الكشوف الجغرافيّة كانت كالآتي: (نوار، جمال الدّين، سابق، من ص:٧٨ إلى ٨٢).

أ. **اقتصاديّة**: تحوّل طريق التجارة من البحر المتوسط إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وتدفق الذهب والفضة من المستعمرات الجديدة واستثمار رأس المال في المستعمرات، من حيث أنها مناطق يتواجد فيها المواد الخام، وهي كذلك سوق للمنتجات الأوربيّة بعد إعادة تصنيع تلك المواد وإنشاء المؤسسات الماليّة وتدهور للمناطق ذات النفوذ العربي، بعدما تحوّل طريق التجارة إلى رأس الرجاء والساحل الأفريقي.

ب. **نتائج سياسيّة**: ظهر التنافس بين الدّول الاستعماريّة في المناطق الجديدة للسيطرة على خيرات تلك المناطق.

ج. **نتائج ثقافيّة**: أدّت هذه الاكتشافات إلى تطوّر علمي جغرافي وتاريخي وزراعي وغيره الكثير، وكذلك نشر الدّين المسيحي ونقل تلك المناطق من عصرهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القديم إلى العصر الحديث، ونقلة نوعيّة لحياة الأفراد في تلك المستعمرات بما يخدم مصالح المستعمر.

د. **نتائج اجتماعيّة:** إن الكشوف الجغرافيّة أظهرت مفهوم العنصريّة بين العرق السامي والعرق الحامي واستعبادهم، وكذلك كان السكانُ الأصيلون من القتل كما حصل للهنود في أمريكا واضطهاد للاندونيسيين من الهولنديين وإجبار المسلمين اعتناق المسيحيّة من قبل البرتغاليين وأمريكا الجنوبيّة حصل اندماج بين المستعمر وأهل الأرض الأصليين.

وكان لطبقة البرجوازيّة دور في الثورات التي أدّتْ إلى تعزيز الفكر السياسيّ الليبراليّ، وأهم هذه الثورات، هي :

٢- الثورة الصناعيّة:

يُعَدُّ الحديد والفحم والطاقة والآلات والمصانع والنقل من أهم مقوّمات الثورة الصناعيّة، وذلك بجلب الحديد والفحم إلى أوروبا وأولها بريطانيا، وقد قام البريطانيون بصهر الحديد وتنقية الفحم ليتخلصوا من الشوائب العالقة فيه، ليبدأ عندهم عصر جديد وهو عصر للصناعة والآلات والازدهار الاقتصاديّ(ديورانت،١٩٨٨،ص:١٣)

إن هذه الثورة كان لها نتائج جليّة على الفكر السياسيّ والاقتصاد والمجتمع والثقافة في القارة العجوز، وأهم هذه النتائج كما ذكرها "ديورانت" في كتاب "قصة الحضارات"

١- التغيير المستمر في الصناعة لكثرة المخترعات والآلات
٢- سيطرة الرأسماليّة على الاقتصاد والمشاريع الحرّة على حساب النظام التجاري والصناعيّ التقليديّ.
٣- استخدام الآلة والمواد الكيميائيّة في تطوير الزراعة، لتصبح في مناطق وأراضي شاسعة للقدرة الصناعيّة الجديدة.
٤- العلم والبحوث العلميّة أصبحت هي ميزة هذا العصر
٥- رسم الخارطة الجغرافيّة الجديدة بنفوذ بريطاني على الممرات البحريّة والاستعمار الجديد لسيطرة على خيرات البلاد والعباد في أصقاع الأرض
٦- أحدثت الثورة الصناعيّة تغييراً في التركيبة السكانيّة للمدن الأوربيّة الجديدة والتي ساهمت الصناعة والتجارة في ازدهار القديم منها واستحداث مدن جديدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- جعلت الحرب تدار بالآلات التي تقتل دون وعي منها وزادة من القدرة البشريّة على القتل والتدمير.

٨- أوجدت تكتلات صناعيّة كبيرة من خلال سهولة المواصلات بين الدّول والقارات لتدار برأس مال واحد.

٩- أوجدت الثورة الصناعيّة التزاوج بين السياسة ورأس المال فأصبح رجال الأعمال هم أيضاً رجال سياسة من خلال الديمقراطيّة والسيطرة على وسائل الإعلام.

١٠- التمويل للمدارس والجامعات لتدريب الذكاء التغني لإيجاد عمال ومدراء على قدرٍ عالٍ من العلم والكفاءة.

١١- أوجدت الثورة الرفاه عند نسبة من السكان.

١٢- هبوط الفن والأدب واختفاء معالم الطبيعة من خلال المدن الجديدة ولكنها تفتقد الجمال.

١٣- فسرت الاقتصاد على أنّه عامل تاريخي وان المادة هي الأصل في الاقتصاد.

١٤- تراجع وإضعاف للعقيدة والدين وتغيير الأخلاق البشريّة (ديورانت،١٩٨٨م،ص:٢٩٣١).

٣- الثورة الإنجليزيّة:١٦٨٨م:

ثار البرلمان الإنجليزي والذي يتكوّن من حزب "الهويج" وهم ثوريون ولهم أسبقيّة في الثورة وحزب "التورى" ويمثله المؤيدون للملك على الملك جيمس الثاني بعد أن قام بإصدار لائحة التسامح عن الكاثوليك وتعيينهم في المناصب الحكوميّة وكان للملك بنت من أم بروتستنتية اسمها " ماري" متزوجة من حاكم هولندة "وليم اورنج "قاموا بدعوتها وحضرت مع زوجها على رأس جيش ليخلعوا الملك وتتولّى الحكم هي وزوجها وسمّوها "الثورة المجيدة" لتثبت أن الشعب هو مصدر السلطات(نوار، عبد المجيد، سابق، ص ص:٢١٧،٢١٨).

وبناءً على ما سبق؛ فإنَّ للثورة الإنجليزيّة خصائص، هي:

أ. المجالس النيابة

ب. تركيز الحياة النيابيّة في مجلسين

ج. التمثيل النيابي حسب الدوائر الانتخابيّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د. الوعي السياسيّ للأفراد

ه. نظام الحزبين

و. نظام مجالس الوزراء

ز. تطوّر نظريّاًت جون **لوك** السياسيّة.

٤- الثورة الأمريكيّة ١٧٧٥م:

لكل ثورة أسبابها، وعلى رأس هذه الأسباب غياب العدالة، وفيما يتعلّق بالثورة الأمريكيّة؛ فإنَّ أسبابها هي:

١- **أسباب سياسيّة:** وهي التوتر وعدم التوافق بين حكام الولايات والجمعيّات العامّة للمستوطنين وعدم تحمل سلطة حكام الولايات.

٢- **أسباب اقتصاديّة**: تنازع التجار الإنجليز والمستوطنين وفرض ضرائب من البرلمان الإنجليزي على المستوطنين الأمريكيين لحرب السنوات السبع.

٣- **أسباب دينيّة وفكريّة** : لقد قامت الثورة الأمريكيّة في شكل ممانعة لدفع الضرائب للبرلمان الإنجليزي الذي لا يوجد لهم ممثلين فيه والحقوق الطبيعيّة وحقوق المستوطنين وامتيازاتهم، وقد نجح الامريكيون من تحقيق مرادهم من خلال ثورتهم باستقلال المستعمرات وإيجاد قوّة اقتصاديّة جديدة (توشار،سابق،ص:٥٩٧.٥٩٨).

ومن أهم نتائج الثورة الأمريكيّة:

- **إعلان الاستقلال**: أعلن الاستقلال لأمريكا في ٤-٧-١٧٧٦م في المؤتمر القاري الثاني تمّ الإعلان معتمدين على أفكار **جون لوك** الليبراليّة وجاء في إعلان الاستقلال **"إننا نؤمن بأن الناس جميعا خلقوا سواسية وان خالقهم وهبهم حقوقا لا تقبل التنازل منها حق الحياة وحق الحريّة والسعي لتحقيق السعادة، وإنما تقوم الحكومات بين الناس بضمان هذه الحقوق وتستمد سلطانها العادل من رضا المحكومين، وإذا قوضت الحكومة هدفا من هذه الأهداف أصبح من حق الشعب ان يغيرها ولكن إذا ما تكرر سوء استعمال السلطة واغتصابها وتبين ان الغرض هو وضع الشعب تحت نير الاستبداد فمن حق الشعب بل من واجبة ان يسقط مثل هذه الحكومة وان يستعيض عنها بطرق جديدة لتامين مستقبلة"**(السلمي،سابق،ص:٧٢).
- **الدستور الجديد وثيقة الحقوق: ١٧-٩-١٧٨٧م**: أعلن هذا الدستور الليبراليّ بسبع مواد دون تفسير وجعلوا المحكمة الدستوريّة من يفسره وهذه المواد هي ان السلطة مستمدة من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعب الفصل بين السلطات الثلاث وتقييد السلطة بحدود لا تتجاوزها والحقوا الدستور بوثيقة الحقوق والتي صاغها **"توماس جيفرسون"** التي تبدأ بكلمة **"لا يجوز"** لتقيد النظام وتمنع الاستبداد وقد اشتملت الوثيقة على عشر تعديلات مثل الحريّة والكلام الصحافة العبادة والاجتماع واقتناء الأسلحة عدم استقلال الجنود لمنازل السكان وضمانات المحاكمات العادلة للمتهمين واستعانته بمحامين لدفاع عنه وعدم اعتقال عشوائي ولكن بقرار من الهيئة المختصة وهذا أثر الفكر الليبراليّ في المجتمع الأمريكي(السلمي،سابق،ص:٧٣،٧٤).

٤- الثورة الفرنسية ١٧٨٩م:

كان المجتمع الفرنسي قبل الثورة مقسم إلى طبقات وكلّ من هذه الطبقات له وظيفته في النظام وهذه الطبقات هي: **أولا**: طبقة الإشراف التي تتمتع بجميع الامتيازات الموروثة من عصر الإقطاع **ثانيا**: طبقة رجال الدّين والذين يتمتعون بامتيازات الكنيسة **ثالثا**: الطبقة العامّة وهم عامّة الشعب الكادح المضطهد من قبل طبقة الإشراف ورجال الدّين.

إن ما تعرّض إليه المجتمع الفرنسي من ظلم، نعرضه في مجالات عدّة، وإن من أهمها:

١- **التفرقة بين الطبقات**: والذي عبّر عنه أهالي منطقة **"كاركاسون"** في رسالة وجهوها إلى الملك ليقف على ما يتعرض إليه المجتمع الفرنسي من ظلم وكان من مطالبهم
٢- اختصار الشعائر الدينيّة العلنيّة على المذهب الكاثوليكي مع احترام حقوق باقي الطوائف
٣- إيقاف ما تدفعه الدّولة إلى البابا من مخصصات
٤- لا تفرض الضرائب على الشعب إلا بعد موافقته
٥- وضع نظام لانعقاد الجمعية العموميّة
٦- حق التصويت الفردي لدفاع عن مصالح الطبقة الثالثة
٧- يكون نظام الضرائب على الجميع دون استثناءات أو اعتبارات دينيّة أو اجتماعيّة
٨- السماح لأبناء الطبقة الثالثة من تولّي المناصب والوظائف في الدّولة على اعتبار الكفاءة
٩- إيقاف العمل بنظام **"الخطاب المختوم"** (جلال،١٩٢٧م،ص:٣٣،٣٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حق الصيد:

وحرمت الطبقة الثالثة من حق الصيد، ومنعوا من تعرض كلّ ما يفسد الصيد لتكون ممتلكات الأفراد ومزارعهم محميات لأبناء الطبقة الأولى ولكن يمنع عليهم ممارسة الصيد أو العبث في كلّ ما يفسد وجود الحيوانات في مناطق صيدهم، وهو في المختصر تعاسة العامّة وبذخ الإشراف:(جلال،سابق،٣٩).

الفوضى العامّة

كانت فرنسا -في تلك الفترة- تعيش في حالة من الفوضى العامّة، سواء في مجلس نيابي لا يجتمع وفوضى مجتمعيّة، وكذلك كانت الفوضى في القانون، حيث لكل منطقة أو ولاية قانونها الخاص، وكذلك فوضى في التجارة وفوضى في تحصيل الضرائب، وهي أقسى أنواع الفوضى، حيث كانت الطبقة تدفع ٨١% من إنتاجها ضريبة لدولة والأشراف والكنيسة(جلال،ص:٤٤،٤٦).

إن ما سبق كان مقدمة لقيام ثورة على النظام الفرنسي في عام ١٨٧٩م، وإنهاء النظام الملكي، والمطالبة بحكم ديمقراطي، وإنهاء الاستبداد والامتيازات الخاصة، وان الشعب هو صاحب السيادة وتحرير التجارة ورفض الدّين، وقد كان للفلاسفة دور كبير بهذه الثورة مثل **روسو وفلتير** الذي كانت ثورته على الدّين **ومنتسكيو** الذي يعظم النظام النيابي الانجليزي وكانت من أهم نتائج الثورة الفرنسيّة وثيقة إعلان حقوق(السلمي،سابق،ص:٧٦).

وعليه؛ فإنَّ مصادر الفكر السياسيّ الليبراليّ تقوم على عاملين، النظريّ من أفكار اليونان والرومان وأفكار عصر النهضة والتجديد الفكري المستمر بحسب الصروف التي تخدم الليبراليّة، وعمليا من خلال الثورات والثروات والحروب المتجددة التي ترى الليبراليّة أنها تخدمها وتحقق مقاصدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: طبيعة الفكر السياسيّ الليبراليّ ومفهومة:

تكوّن الفكر الليبرالي منذ ثلاثة قرون تقريبا، وذلك بعد ان انطلق العنان للعقل البشري في أوروبا بالتفكير، والتحرر من الماضي، واخذ المفكرون الليبراليّون بدراسات جادة وعميقة للوقوف على كنهه من خلال طريق الحريّة الفرديّة وإعلاء شأن الفرد، لأن الإنسان أقدم من الدّولة ولا يمكن ان تتقدم صنيعته "الدّولة" عليه إلا لخدمته وبإرادته (خضر،٢٠٠٨،ص:٥٥).

إن الحكم في الفكر الليبرالي لا علاقة له في الحكم الطبيعي، أو غيره من أنواع الحكم ونظريّاته، بل هو التوافق بين الأفراد من خلال ضوابط التي وضعوها لأنفسهم لتقييدها والذي يتمركز في الفصل بين السلطات على مبدأ" السلطة توقف السلطة "من خلال اللامركزيّة والبرلمان وعدم تدخل الدّولة في اقتصاد السوق، وترك الأفراد يعملون ما يلبي رغباتهم لتنمية المجتمع، من خلال المنافسة والتبادل والعقلانيّة من الأساسيّات في الأفكار المختلفة، من خلال النقاش بشرط ان تطوّر الحريّة وتقييد السلطة التي وظيفتها تامين النظام العام والدفاع عن البلاد، وان يلمس الجميع العدالة في ظلها(خضر، سابق،ص:٥٧).

ولذلك سيتم تناول هذا الموضوع من خلال المحورين الآتيين:

أولا: مفهوم الليبراليّة

بعد حكم الكنيسة الديني والفكري على المجتمع الأوروبي، وتحكم السلطة السياسيّة والاقطاعيين بأرزاق المواطنين ومصائرهم، ظهر مفكرون في المجتمع الأوروبي لطرح أفكار دينيّة وسياسيّة واقتصادية لتخليص المجتمع و**"تحريره"** من تلك السلطات والقيود، وخصوصا بعد ظهور الطبقة البرجوازية والاستكشافات الجغرافيّة والاطلاع على العالم الخارجي ظهر مصطلح" Liper "أحرار" وتطوّر هذا المصطلح ليكون مفهوم "Liperty " أي "التحرر" (كامل،سابق،ص:٣١).

الليبراليّة مذهب فكريّ يركز على حريّة الأفراد في جميع نواحي الحياة، ويرى ان الأفراد لهم الحق في حريّة الاختيار ولا توجد سلطة على هذه الحريّة إلا ما يقيد الإنسان به نفسه، وهي شاملة لكل ما يخص الفرد، ويرى ان الدّولة هي من تحمي هذه الحريّات بوضع القيود على السلطة(السلمي، سابق،ص:١٠١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وداخل الفكر الليبرالي العديد من الاتجاهات ولكل منها غاية وهدف لتعزيز الفكر الليبرالي وهذه الاتجاهات متعددة، هي:

١- **الليبراليّة السياسيّة(الديمقراطيّة):** والتي تقوم على مبادئ فصل السلطات والتعدديّة الحزبيّة والثقافيّة والديمقراطيّة من خلال حكم الشعب بالشعب، وهي جوهر الليبراليّة السياسيّة(كامل،سابق،ص:١٥٠).

إن الليبراليّة السياسيّة تنحاز إلى التغيير، ولكن على الا يكون ثوريّ، وإلغاء الامتيازات على أساس الجنس واللون أو العقيدة والرأي أو اللغة أو المكانة الاجتماعيّة أو الفقر والغنى أو الرق والحريّة، وتقوم على توزيع الفرص بين أفراد المجتمع على أساس متساوٍ من حريّة فرديّة للجميع دون تميز، وهذه المعايير القيمة والمعياريّة لها قواعد واقعيّة وصفيّة، وهي التطوّر المستمر للبشريّة والخير المتأصل في الطبيعة البشريّة وامتلاك الإنسان لنفسه وحريّته بها(ملكيان،٢٠١٠م،ص:٤٥،٤٦).

وقد ورد في موسوعة "لالاند" في تعريف الليبراليّة السياسيّة على أنها "مذهب سياسي، يرى ان من المستحسن ان تزداد إلى أبعد حد ممكن استغلاليّة السلطة التشريعيّة والسلطة القضائيّة بالنسبة إلى السلطة الإجرائيّة(التنفيذيّة) ، وان يعطى للمواطنين اكبر قدر من الضمانات لمواجهة تعسف الحكم(لالاند،٢٠٠١م،ص:٧٢٥).

٢- **الليبراليّة الثقافيّة:** وهي التي تعنى بسلوك الفرد الشخصي والذي من خلاله يقوم بكل ما يريد من حريّة على إلا يتولد من تصرفه ضرر على المجتمع وهي حريّة التفكير والعقيدة والأعمال التي يرى أنها تنفعه هو نفسه ولا أحد يشترك معه بمنفعتها(مل،ص:١٢٨).

٣- **الليبراليّة الاقتصاديّة:** وهي التي تمثل المذهب الكلاسيكي والتي تبلورت من خلال أفكار"ادم سمث"١٧٢٣- ١٧٩٠م بعد ظهور الطبقة البرجوازيّة والاكتشافات الجغرافيّة والتي تنادي بحريّة التجارة وان الحريّة الاقتصاديّة هي التي تحقق الرخاء من خلال "نظام السوق الحر"(منصور،٢٠٠٨م،ص:٨٣).

٤- **الليبراليّة الاجتماعيّة**: والتي ظهرت بمسمى الطريق الثالث لتوافق بين الرأسماليّة المنفلتة، والاشتراكيّة المتسلّطة، في مؤلفات" **تشيلد اركيونس**" السويدي، و"**جنتنز**" البريطاني، التي أصبحت تنادي بالعدل الاجتماعي(كامل،سابق،ص:١١٧).

يقر الكثير من المفكرين على ان مفهوم الليبراليّة، مفهوم ينتابه الغموض وذلك لتعدديّة في دور الدّولة والأفراد والاقتصاد والمجتمع واعتمد بعض مفكرين الليبراليّة على المنهج العقلي، والبعض الأخر على المنهج المادي ويقول "**جون ديوي**": "**ان**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الليبراليّة اليوم ليست أكثر من مجرد حالة فكريّة، يطلق عليها بغموض اسم التطلّع إلى الأمام دون ان تكون واثقة من الاتجاه الذي تتطلع إليه، أو الأشياء التي ترمي إليها ولا ريب، إن في هذه الحقيقة بالنسبة للكثيرين من الأفراد وبالنسبة لنتائجها الاجتماعيّة ليست اقل من مأساة لا يحس بها الجماهير تماما، ولكنهم في انجرافهم بدون هدف يظهرون حقيقتها، بينما ينزعج المفكرون منها بصورة واعية؛ لأن الطبيعة الإنسانيّة لا تمتلك أمرها إلا إذا وجدت أهدافا تستطيع ان تربط نفسها بها"(السلمي، سابق،ص:١١٣).

لقد مرّ الفكر السياسيّ الليبراليّ بأربعة مراحل رئيسة، ومن خلال هذه المراحل تبلورت فكرة الليبراليّة وكان لكل مرحلة مفاهيمها التي تركز على طبيعة السلطة وما يدور حولها من حقوق وواجبات، وهذه المراحل هي مراحل التطوّر التي من خلالها نستطيع ان نحدد طبيعة الفكر السياسيّ الليبراليّ(العروي،سابق،ص:٣٩).

ويذكر لنا العروي في كتاب "مفهوم الحريّة" ان كلّ مرحلة ركزت وشددت على مفهوم خاص به، هي:

١- **مرحلة التكوين:** والتي تركز على الإنسان بأنه هو الفاعل الرئيس من خلال الفلسفة.

٢- **مرحلة الاكتمال** العاقل والمالك لنفسه وركزت المرحلة الثانية على العقل وظهور علم الاقتصاد الحديث نقيض النظام الإقطاعي، وكذلك علم السياسة العقلانيّة من خلال التعاقد.

٣- **مرحلة الاستغلال:** وهي المحافظة على الحقوق الموروثة والتطوّر ببطء، من أجل البقاء أكثر فترة؛ لأن السرعة في التطوّر تودّي إلى الطفرة، أي الفرد الواقعي هو الهدف وليس الخيالي.

٤- **مرحلة التقوقع:** لأن الاختلاف في الرأي والجدليّة تنمي الفكر ولكن لا بدّ من حفظ الحقوق للمخالفين مع احترام المخالفين لرأي الأغلبيّة السياسيّة والاقتصاديّة.(العروي، سابق،ص،٤١،٤٠).

إن هذا الذكر السريع لتطوّر الليبراليّة للتأكيد على عدم الاستقرار على مفهوم واحد جامع وشامل لليبراليّة، وان كلّ فتره زمنيّة كان لها من الخصوصيّة وتهدف إلى لبراليّة مختلفة عن غيرها.

ثانيا: طبيعة الفكر السياسيّ الليبراليّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن طبيعة الفكر السياسيّ الليبراليّ يعتمد على مجموعة من المرتكزات الجامعة للفكر الليبراليّ ومن دونها يكون الخلل في الفكر ويخرج من إطار الليبراليّة وهذه المكوّنات هي المركبة لطبيعة الفكر الليبراليّ، وهي:

١- الحريّة:

إن الحريّة هي المبدأ والهدف والغاية والنتيجة والأصل في الحياة الإنسانيّة، وهي التي تهدف إلى الحريّة الإنسانيّة وتحريره من كلّ القيود مهما كان نوعها ومصدرها، وعدم الرضوخ إلى إرادة الغير إلا من خلال حريته بقبول هذا الرضوخ.(العروي،١٩٩٨، ص:٣٩).

لقد اهتم الفكر السياسيّ الليبراليّ في مفهوم الحريّة وقام كثيرا من المفكرين بوصف الحريّة من خلال الظروف ومتطلبات العصر والبيئة التي عاشوها ومفهومهم الشخصي للحريّة، فمنهم من رأى ان **الحريّة الإراديـة** هي جوهر الحريّة البشريّة ومنهم من اهتم في **الحريّة المدنيّة**؛ لأن الفرد هو الهدف ويرى آخرون ان **الحريّة السلبية** هي من تعزز الفرديّة واتجه مفكرون إلى ان **الحريّة الايجابيـة** هي الطريق الصحيح ويقول **(بوسيه ١٦٢٧-١٧٠٤م)** ((**إنني بحثت في ذاتي عن السبب الذي يدفعني إلى العمل فإنني اشعر بأنه ليس هناك من علة لأفعالي سوى حريتي ومن ثمّ فإنني اشعر بوضوح بان حريتي إنما تنحصر في مثل هذا الاختيار**) (السلمي، ٢٠٠٩،ص:١٢٣).

يرى بعض المفكرين ان **الإرادة** لا تسير لوحدها ولكنها مجبرة من قوّة خارجيّة تقيدها ولا تستطيع الخروج عن إرادتها ولا تفعل إلا من خلالها، ونجد هذا عند الفلاسفة المقرين بالجبرية أمثال **(سبينوزا"١٦٣٢-١٦٧٧م)** الذي يؤكد الجبرية في قولة" **ان النفس لا تنطوي على أية إرادة حرة أو مطلقة، بل هي مجبورة على ان تريد هذا أو ذاك بمقتضى علة، هي مشروطة بعلة أخرى، وهذه العلة بدورها محددة بعلة أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية**"(السلمي، سابق،ص:١٢٤).

ان العجز الذاتي للإنسان هو من يقيد الحريّة عند الإنسان الحر المختار لما يريد بحريّة ذاتية، والقوانين الخارجية لها دور في الجبرية الهينة ان هوبز١٥٨٨-١٦٧٩م وهيوم١٧١١-١٧٧٦م من أكثر المفكرين الذين يرون هذا المفهوم من خلال أقوال هوبز الذي ينكر أي وجود للحريّة الإرادية، ولكن الحريّة هي طبيعية ويقول "**هيوم**" " **ماذا نعني بكلمة "الحريّة"في سياق الحديث عن الأفعال الإراديـة؟ من الثابت أننا لا نقصد القول بأن ليس للأفعال ارتباط بالدوافع والظروف والميول أو ان الواحد منها لا يتبع الأخر بدرجة معينة من الانتظام**" ويضيف أيضاً "**ليس بوسعنا إذا ان نعني بالحريّة**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سوى القدرة على الفعل أو عدم الفعل وذلك حسب تحديد إرادتنا أي: إذا اخترنا السكون سكنّا وإذا اخترنا الحركة تحركنا"(السلمي، سابق،ص:١٢٦).

يرى (**جان لوك١٦٣٢-١٧٠٤م**) ان الحالة الطبيعيّة للمجتمع تقوم على الحريّة والمساواة الكاملتين، وان الإنسان الطبيعي والعاقل لا يضر غيرة ولا يعتدي على حياته وحريته وممتلكاته، مادام أنهم متساوون، والعقاب لردع المعتدين من خلال الحق الطبيعي، وان يكون عقاب عقلاني ويكون بمستوى الخطأ ويكون رادعاً للغير، بالّا يكرروا نفس الخطاء(محفوظ،١٩٩٠ص:٩١).

إن الفطرة الإنسانيّة حسب رأي **لوك** ليست بالمتوحشة ولا بالسلمية ولكنها واقعيه، وإن الحريّة والسعادة لا يمكن الفصل بينهما، ويعول السعادة على ما تقدمة السياسة من ضمانات وغاية الفلسفة والسياسة هي البحث عن السعادة التي توجد في السلم والأمن والانسجام بين الأفراد(توشار،سابق،ص:٥٠٨).

أمّا الحريّة عند (**مونتسكيو ١٦٨٩-١٧٥٥م**) فإنها تكون من خلال الأمن الذي يراه هو الامتياز الذي يكون في شعب دون شعب أخر والفصل بين السلطات تحقق الحريّة السياسيّة ولكن الحريّة هي نوع من الحقوق التي ينصّ عليها القانون ولا تتجاوز الحريّة القانون أي تقييد الحريّة بالقانون(توشار،١٩٨٧،ص:٣١٣).

تقوم نظريّة (**فولتير ١٦٩٤-١٧٧٨م**) للحريّة من الواقع الذي يحتاج إلى إصلاح، وان الحريّة لا يحكمها إلى القانون من خلال خضوع الأفراد إلى هذا القانون وشدد فولتير بدفاعه عن الحريّة والمطالبة بها، لأنها هي التي تحيي العقول وعندها يكون الإنسان قادراً على اختيار ما يريد من عمل ودين وثقافة وتعبير عن ما يدور في وجدانه والنظام الذي يقوم على الحريّة والملكيّة والمساواة أكثر عدلا من غيرة.(محفوظ،سابق،ص:١١٨).

تعتبر الحريّة الإيجابيّة عند (**هيغل ١٧٧٠-١٨٣١م**) بان الفرد هو من يختار ما يريد من تحقيق لطاقاته الكامنة من خلال نموه ومحاربة الجهل والعبوديّة التي تولد التوحش لدى الفرد وتكون حريته ناقصة بالنسبة للفرد المقيد بقانون دولة والحريّة عند هيغل ليست مطلقة بل هي لتحقيق الإمكانات الطبيعيّة للفرد(سترومبرج،١٩٩٤م،ص: ٣٦٦-٣٦٧).

ركز (**جون مل١٨٠٦-١٨٧٣م**) على الحريّة المدنيّة والتي بنظرة هي المشكلة لأن الحريّة الإرادية تقوم على الفلسفة أمّا الحريّة المدنيّة فهي الواقع المعاش والمراد للمجتمع الليبراليّ ويقول **"للفرد سلطان مطلق على نفسه وجسمه وفكره"** وهذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلطان يحتاج إلى حماية من الدّولة بعد ان رجحت كفة المجتمع على كفة الفرد، وان الدّولة عليها الّا تدافع عن الأفراد، ولكن عليها ان تضمن للأفراد ان يدافعوا عن أنفسهم.(العروي، سابق،ص:٤٣).

يرى **ميل** ان هناك حريات لا يجوز المساس بها وخصوصا عندما يكون المجتمع ديمقراطيّاً، ويكون هناك رأي أغلبيّة فإنَّ الأغلبية عليها ان تحافظ على حريّة الأقلية، وهذه الحريّات التي لا يجوز الحد منها أو المساس بها، وهي حريّة الضمير، وحريّة الذوق والعمل، وحريّة التجمع بين الأفراد.(محفوظ، سابق، ص: ٢١٤).

تعدُّ الحريّة عند (ريمون بولان ١٩١٠م) بأنها من القيم العليا والقيم بعمومها، وهي نسيج الحريّة، وان الإلزام والحريّة هما من يرسخان مفهوم النظام السياسيّ وفي كتاب "**الأخلاق السياسيّة** " يقول: إن الحريّة مصدرها الأخلاق ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما أساس العلاقات الإنسانيّة (بولان،١٩٩٣،ص:٢٦).

ويقول "**بولان**" في كتاب "**الحريّة في عصرنا**" **"ان الحقيقة تجثم في تعددية المذاهب والمواقف المتوافقة والمتسقة من جراء الاعتراف المتبادل بحريتها، وهي تؤمن حق الإيمان بتعايش العقائديات تعايشا سلميا ضمن تسامح كلي، بحيث يبدو لها رفض التعايش العقائدي رفضا منهجيا على أنّه طارئ مسيرة، غياب تربية جدير بتتمة تربيوية، بدل ان يبدو تناقضا محتملا خاليا من روح المصالح الممكنة مع أية ليبرالية، وذلك بشكل، مع ذلك، عائقا مانعا لا يدع مجالا إلا لصراع مميت بين طرازين من طرز الإيمان والحياة يتعذر التوفيق بينهما بحال من الأحوال.... ان مفهوم الحريّة الفلسفي، وهو مفهوم معقد، غامض، خفي، قد أصبح كلمة صالحة في كلّ مكان، كلمة لازمة متكررة، في أي خطاب، في أية منافسة، في أي مطلب يتصل بالأخلاق وبالسياسة، وباسم الحريّة دوما، ومن أجل إنقاذها أو إقامة((الحريّة الحقيقية))، يختم كلّ إنسان كلامه، ويمنح نفسه الصواب"**(بولان،سابق،ص:٢٨).

ان الحريّة الفرديّة في الفكر السياسيّ الليبراليّ يقيدها القانون الذي هو نفسه مصدر الحريّة من خلال التشريعات التي تصاغ من الأفراد، ليحدوا من حريتهم بتقييدها من قانون وضعي هم من يصنعه لأنفسهم، وذلك عائد لطبيعة البشريّة الأنانيّة والنهمة.(السلمي،سابق،ص:١٢٨).

٢- الفرديّة:

لقد كان الفرد في العصر الذي سبق ظهور الفكر الليبراليّ دون قيمه ولا يملك من الحقوق شيء، وهذا ما أدّى إلى النزعة الفرديّة كحق من حقوق الإنسان وتحرره من كلّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القيود في القرون الوسطى، وللفردية مفهومان، مفهوم تقليدي وهو الأنانية، ومفهوم برجماتي يقوم على الاستقلالية للفرد والعمل من خلال الاعتماد على الذات(السلمي، سابق، ص:١٤٧).

اعتبرت الفرديّة في البداية التمرد على الاتجاهات التي تعارض الانسجام الاجتماعي وبعد ظهور الليبراليّة أصبحت من أهم سماتها التي اعتنت بالفرد على حساب الاجتماع من خلال تقديس الأنانية الإنسانيّة، التي تهتم في السيطرة والاستحواذ على كلّ ما يستطيع الإنسان ان يحصل عليه من خلال الحريّة المطلقة التي لا يوقفها إلا التصادم (الويشي،٢٠٠٧، ص:٢٣١،٢٣١).

ان الإنسان فردي النزعة والمجتمع مفروض عليه والتفكيك هو الحل الأنسب لبروز الفرديّة والحريّة الشخصيّة دون قيود اجتماعيّة وعادات تقيده وتتحكم في مسيرة حياته وصوابه وخطأه شأن شخصي لا يحق لأحد ان يتدخل به، والسعي لتقديس الفرد وهذه وجهة نظر أصحاب المذهب الفردي.(مكي،٢٠٠٨،ص:١٢).

تقوم النزعة الفرديّة على عدة مسلمات، هي: الاتفاق الإرادي بين الأفراد والمحافظة على حقوقهم الطبيعيّة والسعي خلف المصلحة الخاصة لكل فرد يتحقق الخير العام والذي يحقق الصالح العام من خلاله واقتصاد السوق هو من يحقق النظام والتوازن التلقائي والقيم فردية والمجتمع محايد اتجاه هذه القيم(منصور،٢٠٠٨م،ص:١٩٨،١٩٩).

ان الفرديّة هي الأساس للفكر السياسيّ الليبراليّ واقترن بالحريّة ولها اتجاهان وهم:

أ- الفرديّة التقليديّة:

ان الفرديّة في الفكر السياسيّ الليبراليّ التقليدي انبثقت في فترة الحكم المطلق والمناداة بالحقوق الطبيعيّة، ودعا لها العديد من المفكرين في تلك الفترة، ويقول هوبز إن الأنانية المستنيرة والحكم المتسلط هم الذين يحافظون على البقاء للفرد وتكون السعادة والمتعة والرفاه والمصلحة من خلال هذا المفهوم للفردية(توشار، سابق،ص:٤٥٢).

أمّا الفرديّة التي نادى بها لوك ان الطبيعة أعطت الإنسان حقوق طبيعية مشتركة ومنها الملكية والتصرف الفردي بما يملك، لكن لا يكون التملك إلا من خلال العمل في الأرض وجني الثمار وبعدها استملاك الأرض، أي ان الحق في التملك يكون من خلال الجهد الفردي **" يملك الإنسان ملكا خاصا به بقدر ما يستطيع ان يفلح ويبذر ويزرع من مساحات الأرض ويستطيع ان يستهلك ثمارها من أجل بقائه"**(محفوظ،سابق،ص:٩٣،٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ان النظريّة الأخلاقية (**لكانت ١٧٢٤-١٨٠٤م**) تقوم على استقلال الفرد بإرادته من مقولته" **ان الأخلاقية تنحصر في معاملة الأفراد كغايات**" ويركز كانت على الاستقلالية الفرديّة بحريّة كاملة مستقلة، ويقول فيها: **اعمل دائما بحيث يكون في استطاعتك ان تجعل من قاعدة فعلك قانونا كليا لطبيعة، واعمل دائما بحيث تعامل الإنسانيّة في شخصك وفي أشخاص الآخرين كغاية لا بمجرد وسيلة، واعمل بحيث تكون إرادتك باعتبارك كائنا ناطقا هي الإرادة المشرعة الكلية**"(السلمي،سابق،ص:١٤٨).

ان (**جيرمي بنتهام ١٧٤٨-١٨٣٢م**) مؤسس مذهب المنفعة يرى ان العامل الذاتي للإنسان هو الإحساس باللذة والألم تجاه سلوكه، وان الإنسان يبحث عن السعادة في اللذة ويبتعد عن الألم وان كلاهما من يقومان في تحديد سلوك الإنسان من خلال تصرفاته ويقول عن هذا: **"لقد وضعت الطبيعة الجنس البشري تحت حكم سيدين مسيطرين الألم واللذة، إن لهما وحدهما حق الإشارة إلى ما ينبغي ان نعمله وأيضاً إقرار ما سنعمله، ويلتصق بعرشهما معيار الصواب والخطاء من جهة وسلسلة من الأسباب والنتائج من أخرى**"(محفوظ،سابق،ص:٢٠١،٢٠٢).

ان المشرع عند بنتهام يقوم بوظيفة التوفيق بين الفرد والمجتمع لتحقيق السعادة للفرد والمجتمع من خلال المصلحة لكل منهما من خلال العمل النافع والابتعاد عن ما يضرهم، وذلك بالقانون وإيجاد عقوبات لمن يخالف وتكون التشريعات الرادعة لهم طبيعيه ودينيّة ومعنوية من خلال تقييد المشرع بتشريعات التي يصدرها(خضر، سابق،ص:٤٨).

يرى (**همبولدت** ١٧٦٧-١٨٣٥) ان الفرديّة والاهتمامات الشخصيّة للفرد على الدّولة ان تساعد على تنميتها بين أفرادها وتحقق الدّولة ما يعجز الأفراد من تحقيقه بأنفسهم ويقول في هذا الأمر: **"ان هدف الدّولة يجب ان يقوم على تنمية قدرات جميع الأفراد فيها من المواطنين في فردانيتهم الكاملة حتى أنّه يجب عليها لذلك ألا تسعى لتحقيق أي هدف آخر سوى ما لا يستطيعون تحقيقه بأنفسهم" أي "الأمن"**(نصر، سابق،ص:٢٢٨).

ويرى آخر المفكرين التقليديين ومن أهم دعاة المذهب الوضعي **جون مل** ان الفرديّة تكمن في حريّة الاختيار الخاص؛ لأن كلّ فرد لدية القدرة على اختيار ما يناسبه وليس ما يناسب الجميع، حيث يقول مل **"ان الحريّة الوحيدة التي تستحق الاسم هي حريّة السعي لتحقيق خيرنا الخاص بطريقتنا الخاصة ،طالما لا نحاول ان نحرم الآخرين أو نعيق جهودهم عن الحصول عليها، فكل فرد هو الحارس المناسب لصحته**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاصة، سواء كانت بدنية أو عقلية وروحية، وان البشريّة لتكسب كسبا اكبر بالسماح لكل فرد ان يعيش حسبما يبدو صالحا لنفسه عما تصيبه من إجبار كلّ واحد على ان يعيش حسبما يبدو صالحا للباقين"(نصر، ١٩٨١.ص:٢٢٧).

ب- الفرديّة البراجماتية:

يُعدُّ (**جون ديوي** ١٨٥٩- ١٩٥٢) من أهم منظري المذهب البرجماتي والذي يرى ان التكنولوجيا والعلم قد احدثا نقلة نوعية في العالم، ولا بدّ ان تتغير أفكار الأفراد ونظرتهم إلى الفرديّة التقليدية لمواكبة العصر الذي أصبحت الآلة تحل مكان الأفراد، ولكن على الفرد ان يندمج مع المجتمع والتخلص من الفرديّة التقليدية، وان الوعي والإدراك للفرد هما الطريقان لتقدمة وتحقيق الأهداف المادية الذاتية للفرد(ديوي،ص:٨٦).

يرى ديوى في ان تفاعل الفرد مع المجتمع هي الأخلاق التي يجب على الأفراد ان يصلوا إليها من خلال نظرته إلى الفرد أنّه عضو فعّال في المجتمع ومكمل للأخر، والفرديّة ليست من أصل البشر ولكنها مكتسبة بسبب المؤثرات الاجتماعيّة والظلم هو الوسيلة أو الطريقة التي يستخدمها الفرد للمكاسب الخاصة الأنانية التي تعزله عن المجتمع برقم من أنّه لا يستطيع العيش منفردا(ديوى، ١٩٦٣م، ص:٣٣٠).

١- العقلانيّة:

هي" **النظريّة التي تعتقد ان العقل هو المصدر الأول للمعرفة والأداة الأساسيّة في الإثبات والبرهنة والمقياس الذي نميّز به بين الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة، وبين الأفعال الخيرة والأفعال السيئة، والمنبر الوحيد الذي نطل به على الحقيقة**" أي ان العقل هو الجوهر للمعرفة وهي تتناقض مع التجريبيّة وهي من أساسيات الحركة التنويريّة ولا تتفق مع الموروث الأوروبي خلال عصر الظلام والإصلاح والحوار والديمقراطيّة ونبذ العداء والقوّة من أهم مبادئها(كامل،٢٠١٥،ص: ٩).

وحاربت العلمانيّة الدّين من خلال المذهب العقلي باستقلال العقل عن القوّة اللاهوتيّة، وجعل الإنسان لديه ملكة تفكير بما يدور حوله ويحقق المصالح والنفع لنفسه ويقلق الأبواب أمام أي معتقد ديني يسيطر على العقل البشري ويطلق له العنان ليتفكر ويفعل ما يريد دون قيود(السلمي، سابق،ص:١٥٣).

يعد (**رنيه ديكارت** ١٥٩٦-١٦٥٠م) صاحب النقلة لفلسفة العقلانيّة من **الكلاسيكيّة** صاحبة الأصول اليونانيّة إلى الفلسفة الحديثة من خلال **المذهب الشكّي** الذي عبر عنه في افتتاحية كتابة "**تأمّلات في الفلسفة الأولى**" والذي قال فيه "**قبل بضع**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنوات صدمني عدد كبير من الأكاذيب التي كنت أقرّ في طفولتي أنها حقيقة، وصدمتني الطبيعة المشكوك فيها بشدة لكامل الصرح الذي قد أقمته بعد، إذ عليها وأدركت أنّه كان ضروريا مرة في أثناء حياتي ان أدمر كلّ شيء تدميرا كاملا، وان أبدا فورا من جديد من الأسس، إذا أردت ان أبرهن على أي شيء في العلوم مهما كان نوعه بحيث يكون ثابتا ومن المحتمل ان يبقى"(كوتنغهام،١٩٩٧م،ص:٤٩).

ويقوم منهجه على أساسين، هما:

أ- **البداهة**: وهي المعرفة المباشرة للأشياء والتي تنقل العقل من المعلوم الظاهر الجلي إلى المجهول من خلال الوضوح للفكرة التي لا تقبل الشك، وهي مفسرة لنفسها وواضحة في الذهن والمتميزة، وهي الفكرة التي لا تختلط مع غيرها من الأفكار أي فكر بحد ذاتها.

ب- **الاستنباط:** وهي اكتشاف المجهول والكامن في الفكرة البديهيّة من أفكار أخرى غير ظاهرة ولكنها حتماً سيصدر عنها أيّ استدلال رياضي ينقلنا من فكرة إلى اكتشاف حقائق كامنة وأفكار بداخلها(فضل الله،١٩٩٦م،ص: ١٠٤-١٠٦).

ولدى ديكارت أربع قواعد ينطلق منها، هي:

أ- **قاعدة اليقين:** وهي التيقن من الأشياء من خلال العقل وعدم الشك به من خلال التأني في صدور الحكم على الفكرة والنظرة التجريدية للفكرة وقبول الشيء البديهي.

ب. **قاعدة التحليل:** وهي تقسيم ما يصعب استيعابه إلى عناصر متعددة وفهمها

ج- **قاعدة التركيب:** وهي ترتيب الأفكار تصاعديا من السهل البسيط إلى أكثرها تعقيدا.

د- **قاعدة الإحصاء:** والتي من خلالها يتمّ النظر إلى جميع أجزاء المشكلة محور البحث وتكرارها لكي لا أنسى منها شيء. وهذه القواعد هي التي نستطيع من خلالها إدراك الحقيقة بحسب وجهة نظر ديكارت (كامل،سابق،ص:٨٢)

أمّا الفيلسوف (**ايمانويل كانط ١٧٢٤-١٨٠٥م**) الذي يرى ان العقل له ثلاث قوى، وهذه القوى، هي:

أ- **الإدراك** والذي أفرغها في كتاب **"نقد العقل الخاص"** وهي الفلسفة النظريّة لكانط والتي تدور حول الطبيعة والمعرفة للقيم والمبادئ القبلية، التي على أساس معرفتها نكون قد أدركنا الأخلاق التي ما هي إلى طريق نتجاوزه للوصول إلى الواجب والتي بدورها تكون المحفزات للإدراك، وهي بالمحصلة الحكمة للعقل الخالص (كانط،ص:٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- فعل الإرادة التي خصص لها كتاب **"نقد العقل العملي"** بان العقل العملي هو موضوعي وذاتي ومدخل إلى الروح البشريّة والمؤثر عليها؛ ولأن العقل البشري يتلقى الكثير من الأفكار لا بدَّ من منهجيّة علميّة لتحقيق منظومة للعقل، وهذه هي مبادئ الإرادة التي بدورها تتيح المجال للأخلاق ان يكون لها دور فعّال على مخرجات العقل التي يعطيها صفة الضرورة الواجبة للفعل وإعطائه صفة شرعيّة أخلاقيّة، وهي فلسفة كانط العمليّة(كنت،٢٠٠٨م،ص:٢٥٣).

ج- الخيال الذي خصص له كتاب " **نقد ملكة الحكم**"، الذي من خلاله قام كانط بالوصل بين المؤلفين السابقين والوصول من خلال الفهم والعقل إلى ملكة الحكم؛ لأن لنفس البشريّة ملكات ثلاث رئيسة، هي **" ملكة المعرفة، الشعور باللذة والألم، والرغبة"**(كانت،٢٠٠٥،ص:٧٤،٧٥).

ومن وجهة نظر(هيغل ١٧٧٠-١٨٣٠م) وكتاب **"فنومينولوجيا الروح"** فإنَّ العقلانية المثالية تقول**" ان العقل هو إيقان الوعي من كونه كلّ واقع"** وفي مقولته**" أنا هو أنا"** التي تكون موضوعا مقترن بالوعي الذي له واقع وحضور لذاته، والعقل يبحث من خلال الظن والإدراك الحسي عن الحقيقة وانشغاله في العلم الذي هو جزء منه وهذا هو العقل المعاين والحواس هي الدالة على معاينة الطبيعة وسعيد الحظ من يستطيع تعقب الموضوع من داخلة وتفكيكه وتجزئته واكتشاف ما هو جديد من جنس أو نوع يستحق المعاينة وملفت لنظر.

لقد دمج هيغل فكرته للعقلانية من أراء الفلاسفة الذين سبقوه وخاضوا ميدان التبصر والنظرة للعقلانية من خلال طبيعة كلّ منهم، فالجدليّة اكتسبها من فكر أفلاطون لصعود بالعقل وتقدمة، وأخذ من ديكارت" المحاجة المفارقة" التي تكشف ما يسبق التجربة من فهم لها، وأخذ من **سبينوزا** الدمج للحوادث بنظام واحد شامل عام واستقراء لهذا النظام (كوتنغهام،سابق،ص:١١٥).

يعتبر **الحدس** نوع من أنواع التجربة عند (**هنري برجسون** ١٨٤٩-١٩٤١م) وهو الذي من خلاله أي الحدس تنتقل لنا حياة أي شيء دون تحليله وهو من خلال العاطفة والرؤيا الباطنية التي من خلالها نرى الحقيقة للأشياء من خلال الديمومة للزمان الذي لا نلمسه، ولا يقاس وهو متجدد باستمرار ولا يعود إلى الماضي وهو الإدراك المباشر للباطن من حياة الإنسان، وكلّ ما هو مطلق يكتشف من خلال الحدس وما عداه بحاجة إلى تحليل و**"الديمومة الخالصة"** هي أصل كلّ شيء غير مادي(كامل،سابق،ص:١٣٥،١٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- المساواة:

تعدُّ المساواة في الفكر السياسيّ الليبراليّ من الأمور الشائكة، ولكن يرجعها مفكرون إلى الطبيعة من خلال أفكار هوبز ولوك الذين يقولون: إن البشر متساوون، وبكونهم متساوون فلهم الحق في الحفاظ على حياتهم ويحققوا منافعهم الخاصة من خلال السعي ورائها، ولكن هذا المطمع البشري يؤدّي إلى صدام بين البشر فيقتلون بعضهم بعضاً، وكما قال **هوبز** عن هذه الطبيعة إنها **"حرب الكل ضد الكل"** وهذا الأمر يحتاج إلى سلطة، والبشر من يحدد نظامها لتتحقق المساواة والحريّة (منصور،٢٠٠٨م،ص:٣٣).

أمّا المساواة عند **روسو** الملقب بابي الثورة الفرنسيّة التي نادت بالمساواة؛ فإنه يرى ان من خلال الانتقال من الحالة الطبيعيّة إلى الحياة المدنيّة؛ فإنَّ على الإنسان ان يروّض نفسه لتقبلها، والمساواة من الأمور التي على الإنسان ترويضها لتقبل بالوضع الجديد، فمن الصعب ان تكون هناك مساواة كاملة في ضل **الملكية الخاصّة**، ولكن يشدد على التقريب بين الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة من خلال التشريعات، حيث يقول**" أتريدون ان تعطوا الدّولة التماسك؟ قربوا بين الدرجات القصوى ما أمكنكم ذلك، لا تقبلوا بوجود الأثرياء الكبار، ولا المعوزين لأن الحالتين، وهما مما لا يمكن فصلة، بالطبع مضرتان بالخير العام، فالحالة الأولى تخرج صانعي الاستبداد، والحالة الثانية تخرج المستبدين"**(الاصبحي،٢٠٠٠م،ص:١٣١٥).

ان الإيمان بالملكية الخاصة عند **فولتير** جعله ينظر إلى المساواة إلى أنها مساواة بين البشر من حيث الحقوق الطبيعيّة أمّا المجتمع لا يتساوى، وذلك لاختلاف القدرات بين البشر، وهي غير متساوية بملكيتها، ويعبّر عنه في قولة: **"من المستحيل في عالمنا التعيس ألا ينقسم البشر الذين يعيشون في مجتمعنا إلى طبقتين، طبقة أغنياء يأمرون وطبقة فقراء يخضعون** "وتعود هذه الأفكار إلى ان **فولتير** من الطبقة الغنيّة فهو يجرّد الطبقة الفقيرة من كلّ الحقوق السياسيّة(الاصبحي، سابق،ص:١٢٩٠).

ويقسّم لنا "لالاند" في موسوعته المساواة إلى:

أ- مساواة شكلية: وهي حقوقية وسياسيّة، أمّا الحقوقية فهي المبادئ لتي تكون القاعدة الرئيسة لجميع الأفراد دون تميّز بنصوص قانونيّة أو قانون عقوبات. والسياسيّة هي القواعد للحقوق السياسيّة والوصول للوظائف بحسب القدرة لكل فرد ودون النظر إلى الطبقة الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة.

ب- مساواة واقعية (ماديّة): وهي تكون بين شخصين أو أكثر، بحيث القدرة الماديّة أو الصحيّة أو العقليّة.(لالاند،سابق،ص:٣٢٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- العدالة:

تعدُّ **العدالة** من اسمى القيم الإنسانيّة على الإطلاق وهي أعلا الفضائل الاجتماعيّة ولا يمكن ان تتحقق السعادة إلا من خلالها، وهي صاحبة الأسبقيّة في الاستجابة لباقي القيم، ومن خلالها تتحقق السعادة والخير العام لا يتحقق إلا من خلال **العدالة**، وهناك وجهات نظر متعدد في الفكر السياسيّ الليبراليّ **للعدالة** وكلّ مفكر يراها من وجهة نظر من حيث النتائج (ساندل،٢٠٠٩م،ص:٣٦).

فمن جهة يرى **هيوم** العدالة على أنها المنفعة التي من خلالها تتحقق السعادة لأكبر عدد من البشر، وان الروابط الأسريّة هي من أقوى الروابط بين الأفراد، ولكن هذه الروابط الطبيعيّة تتعارض مع الواجبات تجاه المجتمع المدني الذي يعيش الفرد معه، ولكن عليه ان يكون فضيلة **"مصطنعة"** تتبلور مع الوقت إلى ان تسمو على الأسرة؛ لأن فيها منافع لناس من خلال احترام الملكيّة الخاصّة وتبادل المنفعة والعقود بينهم، والعدالة تتكوّن من الأعراف التي تسود بين المجتمع وتكون نافعة لهم ويقول **هيوم** في **"بحث في مبادئ الأخلاق" " تشكل ضرورة العدالة في دعم أواصر المجتمع الأساس الفريد الذي تستند إليه تلك الفضيلة (أي فضيلة العدالة) ولأنه لا توجد وصفة أخلاقية تحظى بالتقدير أسمى من العدالة، قد نستنتج ان هذا الظرف الذي تتحقق فيه اكبر منفعة ينطوي عموما على أقوى الطاقات التي تجعلنا نسيطر على مشاعرنا الوجدانية وهو شيء يتوافق تمامًا مع قواعد الفلسفة وحتى المبادئ العقلية المعروفة، حيث ان أي مبدأ أو قانون نرى ان له قوّة وتأثيرا إلى حد كبير في حالة معينة، يمكن ان ينسب إلية تأثير مماثل في حالات أخرى"** (جونستون،٢٠١٢م،ص:١٥٠،١٥١).

ادم سميث وكتابة **"نظريّة الشعور الأخلاقي"** إن البشر لا يمكنهم العيش منفردين ولكن الطبيعة جعلتهم يحتاجون ويكملون بعضهم، ولكن سيؤذون بعضهم ولكن المشاعر الطيبة ستجعل من الحب والصداقة والاحترام طريقا لسعادتهم، وإذا لم يكن هناك أي انسجام بين أفراد المجتمع تجبرهم المصالح والمنفعة على التماسك ولكن المجتمع خليط من سيء وحسن والظلم سيدمره؛ فإنه لا بُدَّ من **العدل** الذي يحمي المجتمع بجميع فآته من بعضة البعض(بوز، ٢٠٠٨م،ص:٢٧،٢٧).

ومن جهة أخرى **فالعدالة** عند **كانط** مرتبطة بالأخلاق والحريّة هي أساس الأخلاق وهي العدالة التي سنّ قوانينها الإنسان من خلال **العقد الاجتماعي** وعليه المثول إلى قبولها وهي من أعلى الفضائل الاجتماعيّة ومن خلالها تتحقق السعادة للبشر(ساندل،سابق،ص:٣٦).

ولن نتطرق كثيرا في هذا الموضوع لأنه محور الدِّراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتخلص الدِّراسة إلى ان الليبراليّة في مفهومها المعاصر الآن تركز على شقين أولهما **اقتصادي** يقوم على حريّة الأسواق المفتوحة وحريّة التجارة والاستيراد والتصدير وإطلاق يد القطاع الخاص واقتصار دور الدّولة على وظيفة الحكم

وفي شِقّة **السياسيّ** تقوم على **الديمقراطيّة** بمؤشراتها المعروفة وهي التداول السلمي لسلطة والانتخابات الحرة الدورية النزيهة والتعددية السياسيّة الاجتماعيّة وحكم الأغلبية واحترام حقوق الأقلية وسيادة القانون وحريّة الصحافة والأعلام وأن تكون الحكومات خادمة لشعب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني : مفهوم العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

يعتبر مفهوم العدالة من المفاهيم الرئيسة في الفكر السياسيّ، ومهما كان نوع هذا الفكر؛ لأن العدالة من القيم الإنسانيّة التي يحتاجها كلّ فرد، وكلّ مجتمع، لتستمر الحياة، ويؤمن كلّ فرد على ماله، ونفسه، وحقوقه، ويقدم ما عليه من واجبات تجاه دولته ومجتمعه، الذي هو جزء منه.

لقد حاولت الدِّراسة ان توضّح هذا المفهوم، في الفكر السياسيّ الإسلاميّ، بنموذج الماوردي كأحد مفكري هذا الاتجاه والفكر السياسيّ الليبراليّ، من خلال صاحب نظريّة العدالة جون رولز وتحديد نقاط التلاقي والافتراق، بين الفِكرَينِ لهذا المفهوم.

وسيتم دراسة هذا الفصل من خلال مبحثين، هما:

المبحث الأول: نظريّأت العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ.

المبحث الثاني: التلاقي والافتراق في مفهوم العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : نظريّأت العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

لقد تعددت النظريّأت المتعلّقة في مفهوم العدالة من بدايات الفكر السياسيّ سواء كان عقائديا أو وضعيا، وذلك لما لهذا المفهوم من أهميّة على جميع نواحي الحياة وبجميع اتجاهاتها التي تسعى إلى سعادة الإنسان من خلال تحقيق العدالة بالطبعة التي تتلاءم وطبيعة كلّ مجتمع

ومن هنا، سيتم بحث هذه النظريّأت من خلال التعرّض إلى المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: نظريّة العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ (الماوردي)

المطلب الثاني: نظريّة العدالة في الفكر السياسيّ الليبراليّ (جون رولز)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: نظريّة العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ (الماوردي)

حياته:

هو علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي أبو الحسن **أقضى القضاة** الماوردي نسبة إلى بيع الماورد المولود في ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م والمتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م.

عاش الماوردي في زمن تعدد الدّول الإسلاميّة التي دان بعضها اسميا للخلافة العباسية، وانفصل بعضها كليا عن الخلافة، ولكن كانت فترة ازدهار فكري للتنافس بين الأمراء والملوك وتقريب العلماء والأدباء، فكانت فترة نشاط عقلي للعلوم بجميع فروعها وعمل الماوردي قاضيا وسفيرا بين الخليفة وبني بويه فترت وبين الخليفة والسلاجقة.

إن الفترة الزمنيّة التي عاشها الماوردي كانت فترة تسلّط بني بويه على الحكم العباسي، وكان الخليفة رمزاً دينيّاً ولا يتدخل في الحكم لتجريده الصلاحيّات السياسيّة من قبل أمراء بني بوية الذين استفحلوا في الحكم وسيطروا على زمام الأمور لدرجة خلعهم من يريدون من بني العباس، وهذه الأحداث جعلت من الموارديّ توجيه الخطاب إلى الخليفة والأمام والملك والأمير والسلطان لكثر تغيير الألقاب في تلك الفترة وبحسب الرغبة لكل من يتقلد منصب من بني بوية، وما كان للخليفة إلا القبول لما يريدون بسبب الضعف في نهاية الدّولة العباسية (طقوش، ٢٠٠٩م،ص:٢٢٤.٢٢٥)

مؤلفاته:

١- تفسير القرآن(النكت والعيون)
٢- الحاوي الكبير:
٣- الإقناع:
٤- أعلام النبوة
٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينيّة:
٦- الحاوي
٧- نصيحة الملوك:
٨- قوانين الوزارة وسياسة الملك:
٩- تسهيل النظر وتعجيل الظفر:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠- أدب الدنيا والدين

١١- كتاب الأمثال والأحكام

١٢- كتاب في النحو:

نظريّة العدالة عند الماوري:

يعتمد الماوردي على الدور الطبيعي للإنسان أنّه مدني بطبعه ويقول" **اعلم ان الله لنافذ قدرته، وبالغ حكمته وخلق الخلق بتدبيره، وفطرهم بتقديره، فكان من لطيف ما دبر، وبديع ما قدر، ان خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين، ليكون بالغنى منفردا،وبالقدرة مختصا، حتى يشعرنا بقدرته أنّه خالق، ويعلمنا بغناه أنّه رازقٌ فنذعن بطاعته رغبة ورهبة، ونقر بنقصنا عجزا وحاجة"** وليس مثل الحيوان الذي يستغني عن غيره من جنسه، ولكن الإنسان هو عاجز ان يستغني عن غيره، ولا تكتمل حياته إلا من خلال الاجتماع والتكامل بين البشر؛ لأنهم أحوج إلى بعضهم والذل إلى الحاجة وعجزه يمنعانه من الظلم إذا اغتني والبغي إذا قدر فلا بدَّ من رادع لهذا الظلم من طبيعة الإنسان التي فطر عليها (الماوردي،٢٠٠٥م،ص:٢١٠).

يعتمد فكر الماوردي على نظريّة العقد الاجتماعي التي من خلالها تتم المبايعة لسلطان أو أمام من قبل أهل الحل والعقد لحماية الدّين وسياسة الدنيا بموجب القرآن والسنّة النبويّة والإجماع والقياس فلابد وتكون البيعة هي العهد بالسمع والطاعة بما لا يتعارض مع العقيدة، وعلى السلطان ان يقيم الحدود على نهج القرآن والسنّة وتكون المبايعة برضا الرّعيّة(رسلان،١٩٨٣م،ص:١٨٤).

لقد نظر الماوردي إلى مفهوم العدالة بأنها هي صلاح الدنيا، وأن تكون العدالة هي النظام العام في الإمام والوزير والقاضي والفرد والمجتمع فلابد ولكل منهم رأية في كيفيّة العدالة عنده في صلاح الدنيا، ولها ست قواعد أساسيّة، هي:

١- **الدّين المتبع**: لأنه هو الدّين القويم وأقوى قاعدة لصلاح الدنيا والآخرة، والذي من خلاله يراقب الإنسان نفسه وغيرة للقيام بما أمر الله، وكما أراد الله وليس كما يريد الإنسان، ويقول الماوردي على لسان بعض الحكماء: إن" الأدب أدبان: أدب شريعة وأدب سياسة، فأدب الشريعة ما أدّى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان، لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره. (الماوردي،سابق،ص:٢١٦،٢١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- **سلطان قاهر**: وهو السلطان المهاب والجامع للناس على مصير واحد والزاجر لمن يعتدي منهم، ولأن النفوس البشريّة متنافسة وقاهر القوي منهم الضعيف؛ لا بُدَّ لهم من سلطان ذي شكيمة وقوّة مهابة تنصاع إليه النفوس، وتكف عن الأذى للغير وقد قال الرسول **"السلطان ضل الله في الأرض يأوي إليه كلّ مظلوم"**(الماوردي، سابق،ص:٢١٨،٢١٧).

يشترط في من يتولّى الإمامة أو الخلافة عشرة شروط، أوردها لنا الماوردي في كتاب الأحكام السلطانيّة، وهي:(الماوردي،٢٠١٤م،ص:٢٦،٢٥).

أ. حفظ الدّين: على الأمام حفظ الدّين وحراسته من كلّ عابث، وعليه ان يقيم الحدود والحقوق بالعدل.

ب. تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين من الرّعيّة بالعدل فلا يظلم منهم أحد.

ج. حماية المسلمين والدفاع عنهم بنشر الأمن للجميع والمحافظة على أموالهم وأعراضهم.

د. إقامة الحدود وتنفيذها لتصان المحارم والدين.

ه. تحصين الحدود ومنع الاعتداء على المسلمين ومن بينهم معاهدة من الخارج.

و. الجهاد في سبيل الله ليتم الدّين كما إراد÷ الله ويظهره على الدّين كله.

ز. جباية ألفي والصدقات على أساس شرعي ودونما خوف أو ظلم.

ح. تقدير العطايا دون إسراف أو بخل ودفعة في أوقاته المحددة.

ط. توظيف الأمين وتقريب الناصح لتكون الأمور الماليّة عند الأمين الحافظ والإعمال عند الناصح الضابط لها بكفاءة.

ي. على الإمام مباشرة ومراقبة أمور الدّولة بنفسه لينهض بدولته ويحرس أمّته.

وعلى الإمام أو الملك ان يطيع الله سبحانه وتعالى وان يعدل بنفسه قبل كلّ شيء من ترفعه عن صغائر الأمور ويعلو في نفسه لتقتدي به الرّعيّة ويقول في ذلك": **من الواجب على الملك الفضل والسائس العادل ألا يكون على أحد من رعيته ولا ممن في ضمن مملكته وجملة حاشيته في تحسين أدبه، وقمع شهواته المفسدة الضارة، اقدر منه على نفسه، فإنَّ من عجز عن سياسة نفسه وتقويم أخلاقه، كان خليقا ان يكون عن تقويم غيراً أعجز"**(الماوردي،١٩٨٨،ص:٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الملك إذا عدل بنفسه؛ كانت النتيجة العدل وحفظ الرّعيّة من النقص والعيوب ويعدل المائل ويحمي العرض ويرد الحق ويسير بهم على الشريعة الإسلاميّة ويحمي حدودها، لأنه رأس الهرم في الدّولة؛ فإن صلح صلحت الرّعيّة والدّولة، وحلّ الأمن والأمان، وان فسد فسدت الدّولة والرعيّة وأصبحوا أهل الفضل والخير من الرّعيّة أعداءه وهذا النوع سيكون زواله سريعاً(الماوردي،سابق،ص:٨٠).

٣- **عدل شامل:** وهذا العدل يكون شاملاً لكل الرّعيّة دون تمييز أو تحيّز؛ لأن بالعدل تعمر الأرض وتأمن الرّعيّة على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم والظلم هو الخراب للبلاد والعباد، وان على الإنسان ان يعدل في نفسه قبل كلّ شيء، والّا يتجاوز على غيره فيجور، ولا يقصر بحق نفسه فيظلمها ويظلم غيره، لأنه عجز عن إقامة العدل في نفسه فكيف يعدل مع غيره وعدل الإنسان مع الآخرين(الماوردي، سابق، ص:٢٢٥).

وللعدل ثلاث أوجه، هي:

أ- عدل السلطان مع الرّعيّة: وهو عدل من السلطان أو الملك لباقي الرّعيّة.

ب- عدل الرّعيّة مع السلطان: أي عدل الرّعيّة مع من يحكمهم ويكون بثلاث طرق، بإخلاص الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء.

جـ- عدل الرّعيّة فيما بينهم: وهو عدل الإنسان مع باقي الناس وجمعها سيدنا عيسى عليه السلام جمع أدب العدل في جميع نواحي الحياة في مقولته" **لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموهم، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلك يا بني إسرائيل الأمر ثلاث: أمر تبيّن رشده فاتبعوه، وأمر تبيّن غيّة فاجتنبوه، وأمر اختلفتم فيه فردوه إلى الله تعالى**"(الماوردي، سابق،ص:٢٢٦،٢٢٧،٢٢٨).

٤- **أمن عام**: هو الطريقة التي تحقق العدل بين الناس وتأمن به الرّعيّة وغياب الأمن يولّد الخوف والأمن نتيجة لوجود العدل فلا عدل دون أمن (الماوردي، سابق،ص:٢٣٠).

٥- **خصب دار**: أي الرفاه في العيش، والذي إن وجد يعمُّ الخير بين الناس وتقلُّ الشحناء والبغضاء والحسد بينهم، والخصب له وجهان، خصب مكاسب نتيجة الأمن وخصب للمواد ونتيجته العدل(الماوردي سابق،ص:٢٣٢،٢٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- **أمـل فسـيح:** إن الأمـل يعطـي الإنسـان الـدافع للقـدوم علـى الحيـاة ويعمّـر الأرض ويـزرع الشـجر، فلـولا الأمـل لبقـي النـاس علـى حـالتهم الطبيعيّـة وقـال الرسـول**" الأمـل رحمـة مـن الله لأمتـي، ولـولاه لمـا غـرس غـارس شـجرة، ولا أرضـعت أم ولدا"**(الماوردي،سابق،ص:٢٣٤).

يقـول المـاوردي: إن للملـك أعـداء ولهـم مطـامع، ولكـي يسـلم الملـك مـن أطمـاعهم فيـه وفـي ملكـة؛ عليـه ان يجمـع كلمـتهم ويتـألف قلـوبهم بالعـدل والإنصـاف والفضـل والإحسـان وأن تكـون هـذه هـي أسـباب العمـار للدولـة ولا يأخـذ شـيء مـن الرّعيّـة إلـى بحـق، وعلـى الملـوك الترفـع عـن الرذائـل والسـمو لكسـب الفضـائل مـن خـلال طـرق متعـددة مـن ضـمنها العدل(الماوردي،١٩٨٨، ص:٩٧).

وعلـى الملـك تقـوى الله وهـي عنـد المـاوردي خمسـة أقسـام كمـا ذكرهـا فـي كتـاب نصيحة الملوك، وهي:

١- معرفـة الله حـق معرفـة: مـن خـلال توحيـد الله وعـدم الشـرك بـالله ويعـرف الله أنّـه رحـيم وعادل
٢- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما أمر الله من اعتقاده.
٣- أداء الفرائض واجتناب الكبائر.
٤- إقامـة حـدود الله مـن خـلال إقامـة العـدل والحكـم بـالحق والابتعـاد عـن الظلـم أو الاعتـداء على الرّعيّة واكل حقوقهم والاقتداء برسول الله كما أمر الله عز وجل
٥- التأدّب بأدب الله ورسوله.(الماوردي، سابق،ص:١٤٦،١٤٧،١٤٨)

وعلـى الملـك أن يختـار مـن الأمـور أوسـطها والابتعـاد عـن الأطـراف؛ لأن الطريـق الوسـط هـو الطريـق المحمـود فمـا زاد أو نقـص فهـو مـذموم وقـال المـاوردي عـن التوسـط**" الشـجاعة بـين التهـوّر والتحـرز، والعبـادة بـين الهتـك والتبتـل، والحـزم بـين الاستقصـاء والإهمـال، والجـود بـين التقتيـر والتبـذير، والحلـم بـين الطـيش والتـذلل، والتواضـع بـين التملق والتكبر، والغنى بين الإكثار والإقتار"**(الماوردي،سابق،ص:١٩١).

وعلـى الملـك ألّا يتعجّـل فـي اتخـاذ القـرارات إلا بعـد صـبر وتـأنٍ وتفكيـر لأن التعجـل فـي اتخـاذ القـرارات قـد يفسـد أمـورا كثيـرة ومنهـا تنحـي العدالـة ولكـن لا يكـون التـأني فـي اتخـاذ القـرارات لشـؤون الرّعيّـة مـن بـاب الكسـل، وقـال الله عـز وجـل(**ان جـاءكم فاسـق بنبـأ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات اية ٦) (الماوردي سابق،ص:١٩٤)

وعند الماوردي شروط لتحقيق العدل والصلاح في سياسته العامّة، هي:

١- الّا يفرق بين العامّة والخاصة من الرّعيّة وحثهم على تطبيق العقيدة في كلّ مناحي حياتهم ولا يجور أحدا على الأخر من خلال الرشد والنصح ومعاقبة من يتجاوز الحدود التي حرمها الله أو نشر الفساد والفجور(الماوردي،سابق،ص:٢٥٧)

٢- لا يحل الأمن في العامّة من الرّعيّة إلا من خلال الحماية من خلال التشريعات التي يتكفل الملك بتطبيقها ومنع الاعتداء على الرّعيّة ويتفرقون لشؤون دنياهم وآخرتهم، الذي من نتائجه ازدهار وتطوّر للدولة (الماوردي، سابق،ص:٢٥٨)

٣- تطبيق القانون وفق الشريعة بين أفراد الرّعيّة وعدم أخذه الرأفة في حدود الله من قتل وسلب ونفي وحبس أو قطع، ولا يتعدى الحدود التي أمر الله بها وتكون عقوبته تأديب وتدين، وأن يقتدي بالله والرسول من خلال الآية **الكريمة (الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور(٢):** (الماوردي، سابق،ص:٢٥٩)

ومن يحبس من الرّعيّة لذنب اقترفه، فعلى الملك ان يتحرى من خلال ثلاثة أمور، هي:

أ- أن يؤمّنهم في المأكل والملبس؛ لأن **"السلطان ولي من لا ولي له"**

ب- على الملك متابعة أمر من في الحبس على فترات زمنية علّها تستجد مستجدات من توبة للمذنب أو ظهور حقائق في قضيّة وذلك رحمة فيمن اخلف من الأهل والولد

جـ- أن يحكم بينهم بشرع الله وسنّة الرسول.

٤- إنزال الناس منازلهم من خلال التعرف إلى طبيعتهم، وكلّ ومهنته وصنعته ومكانته بين أقرانه من أهل العلم والمال والأنساب، وهذا يجعل منهم أهل صلاح لدوله وتأكد هذا الآية الكريمة **(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (الشعراء الآية ٢١٥)** (الماوردي،سابق،ص:٢٦٥).

٥- على الملك ألّا يظلم الرّعيّة؛ لأن الظلم هو الفساد والعدل هو الصلاح، ولا يسمح لأحد ان يظلم باسمة لأن ذلك يصبح عادة بين الناس، لأن الناس على دين ملوكها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد قال الرسول عندما تقاضى عنده أحدهم، وكان منه التجاوز في القول: **" دعوه فإنَّ لصاحب الحق يدا ولسانا"** (الماوردي،سابق،ص:٢٦٩).

٦- على الملك ان يكون له عيون وجواسيس ينقلون له أخبار العامّة والخاصة، لكيلا يكون كمن لا يعلم شيئاً عمّا يدور في ملكة ومن خلفه يفزع بهذا القلوب ويجبرهم على الطريق الصحيح منه خوفهم بما يصل إليه من عيونه. (الماوردي،سابق،ص:٢٧٦).

٧- على الملك أن يعين على بابه حاجب ليّن في التعامل مع الناس، والّا يمنعوا من الدخول على الملك صاحب حاجة أو مظلمة، وان الحاجب الذي يمنع الناس عن الملك جعل الخاصّة يتصرفون في العامّة بحسب أهوائهم؛ لأنهم على علم بأنه لا يصل إلى الملك من خبرهم شيء وهذا هو العدل الذي من خلاله تصلح العامّة والخاصة(الماوردي، سابق، ص:٢٧٨).

٨- على الملك ان يأخذ ما تقدم ذكره بعين الاعتبار للوقوف على حقائق الأمور ومعاقبة من أساء وتكريم من أحسن، ولا تكون للتسلية واللعب(الماوردي، سابق، ص: ٢٨٣).

٩- على الملك ان يجعل الأمور جميعها بيده ويد من ائتمنهم على خلافته في مكان أو لحادثة من وزراء وأمراء مناطق أو قضاة، فلا يترك العامّة تتسلط على بعضها البعض؛ فإنَّ في ذلك الفساد والظلم(الماوردي،سابق،٢٩١).

وترى الدِّراسة ان ذلك قريب من فكرة (المستبدة المستنير)، أي السلطان القوي الأقرب إلى الحكم المطلق، لكن دولته تخلو من الفساد، والدين هو مشروع نهضوي يرى ضرورة تنفيذه.

ان للملوك مجموعة من الناس يسمون الخاصة وهم المقربون من الملك، ويعيشون في كنفه وهم ولده وخدمه وعبيده ووزرائه وكتابة ومن يقومون بالإعمال الخاصة بشخص الملك، ويأتي من بعدهم الجيش بقادته وجنوده وأمرائه على المناطق البعيدة عن مركز الدّولة (الماوردي،سابق،ص:٢٠٨).

خاصة الملك:

ان لخاصته، وبشكل عام على الملك عشر خصال يقوم بها تجاههم، وهي في كتاب نصيحة الملوك (من ص:٢٢٥ إلى ٢٣٧):

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- الّا يرضى منهم إلى ما يرضاه لنفسه.

٢- صرف مستحقاتهم من غير تأخير، ولا تكون لهم حجة في ظلم الناس واخذ أموالهم، وتكون هذه المستحقات كافيه لهم ولكل ما بحوزتهم من حيوانات وخدم وغيره.

٣- الّا يقوم بتقديم أو تأخير أحدٍ منهم بغير حق أو بحسب أهوائه.

٤- الّا يسمح لأحد منهم في ظلم أحد من الرّعيّة، وان على الملك ان يخبرهم بأنه لا فرق بين أحدٍ منهم، أو أي من الرّعيّة، فهم سواسية أمام القانون، والعدل هو الحكم بينهم وكلّ له حقه بحسب ما أراد الله.

٥- ان يعفو عنهم إذا صغرت الذنوب أو بالخطاء ويكون هذا من خلال:

أ- ان يكون على علم بما يصنعه الخاصة من معاصٍ وغيرها، ويعلم مذاهبهم وطريقة عبادتهم ولا يسكت عن شيء بعيد عن الشريعة الإسلاميّة.

ب- ان يغض النظر وكأنه لا يعلم عن ما يجوز التسامح به.

جـ- ان تكون عقوبته لخاصته بالحد الأدنى ولكن تكون رادعة.

ان لم تكن الجريمة من الكبائر أو تؤثر على الملك يكون العفو اقرب من العقاب فيها

هـ- ان يؤخر العقوبة عليهم لكيلا يَظلِم أحداً، أو يتوب مرتكبها.

ز- ان حدود الله من الخطوط التي لا يسمح لأحد في تجاوزها ومعاقبة من يتجرأ عليها.

٦- ان يشغل خاصته باستمرار ولا يجعلهم يستريحون إلا ضمن المعقول؛ لأن الراحة عواقبها العجز والكسل والفشل والضعف، فعليهم ان تكون أجسادهم دائما مهيأة للقتال والعمل.

٧- ان يختار من خاصته من يشاورهم في أمره ومعاونين له على الآخرين منهم.

٨- ألّا يسمح بانتشار الفسق من شرب للخمر والميسر عند الخاصة والجيش.

٩- ان يكون ليّناً عليهم، ولا يحتجب عنهم كلّ الوقت، وان يقضي لهم حوائجهم.

١٠- ان يكون لهم دائما السند من خلال مساعدة المريض والكبير في السن واليتيم والمحتاج، وهذه المعاملة ينتج عنها الإخلاص في العمل وإقامة العدل في العامّة والخاصة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوزارة

إن الوزير -في فكر الماوردي- هو حبل الوصل بين الراعي والرعيّة، وهو **"السائس المسوس"**، بحيث هو من يسوس الناس في الدّولة ويجبرهم على الطاعة، ولكن هذه السياسة مشروطة بإرادة السلطان الذي يكون الوزير مطيعا له(الماوردي،١٩٩١،ص:٤٢)

وللوزارة عند الماوردي أسس، هي:

- **الدّين:** ان أساس الحكم الدّين الإسلاميّ والحق الذي نزل من الله عز وجل ويوصي الوزير في مقولته" **فاجعل الدّين قائدك، والحق رائدك، يذل لك كلّ الصعب، ويسهل عليك كلّ خطب، لأن للدين أنصارا وللحق أعوانا"**(الماوردي، سابق،ص:٤٤)
- **العدل**: هو للوزير دافع وقوّة، ومن خلال العدل يتمّ الدوام، وهو ليس محصوراً في أمر ما، ولكنة العدل الشامل في المال والفعل والقول.
- **عدل في المال**: ان على الوزير المؤتمن على الرّعيّة ان يحصل الأموال مما تجب عليهم ان يدفعوها، وان يدفعها في أبوابها بحسب ما نصّت عليه الشريعة الإسلاميّة وليس بحسب أهوائه، ويقول الماوردي في هذا: **فعدلك في الأموال، ان تؤخذ بحقها، وتدفع إلى مستحقيها، لأنك في الحقوق سفير مؤتمن، وكفيل مرتهن، عليك عزمها ولغيرك غنمها"**(الماوردي، سابق،ص:٤٦).
- **عدل في القول**: والمقصود في هذا النوع من العدل ان على الوزير ان يزن كلامه ولا يضعه في غير موضعه، فللعالم كلام يليق به، ولا يخاطبه كما يخاطب الجاهل فلك منزلته وعلى حسب المنزلة يكون الكلام ويستشهد على هذا من أقوال الحكماء، حيث يقول احدهم" جعل الله الإنسان أفضل حيوان، وأفضل جارحة فيه اللسان، فجعله لضمائر ترجمان، ولما جمعته العقول، والبصائر تبيان، وبين الحق والباطل فرقانا"(الماوردي، سابق،ص:٤٦).
- **عدل الفعل**: وهو الّا عقبة إلا بذنب والعفو لا يكون في الحدود وأن تكون محسن ولكن حازم في أمر الدّين والدّولة وان تولّي من هم على قدر الأمانة ويستشهد في قول أحد البلغاء **"لا تصطنع من خانة الأصل ولا تستصحب من فاته العقل، لأن من لا أصل له يغش من حيث ينصح، ومن لا عقل له يفسد من حيث يصلح وذلك مما يعسر توقيه ويفوت تداركه وتلافيه** "وعلى الوزير ان يوفي بعهوده(الماوردي، سابق،ص:٤٨،٤٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنواع الوزارة:

١- **وزارة تفويض**: وهي الوزارة التي تجمع بين كفاية السيف والقلم، وهي المطلقة لما تحتويه من اختصاصات واسعة للوزير من استيلاء على تدبير الدّولة من خلال العقد والحل، فأمّا العقد فشروطه تنفيذ وإقدام، وأمّا الحل فشروطه دفاع وحذر(الماوردي، سابق،ص:٥٨،٥٩).

٢- **وزارة تنفيذ**: وهي مخصصه وليست مثل وزارة التفويض الشاملة، وهي مقتصرة على أربعة قوانين عند الماوردي، فهو الوسيط بين الملك والرعية ويقدم الرأي والمشورة للملك ان طلب منه، ويهتم بأمور الملك الخاصة والاعتناء بالملك فهو عينه وسمعه (الماوردي،سابق،ص:٣٦)

الأمراء:

ان لاتساع الدّولة في تلك الفترة كان لا بُدَّ من تعيين الأمراء على البلاد البعيدة، التي تتبع لمركز الحكم والخليفة/ ولكن الذين يأمرهم الملك هما نوعان:

١- **عامّة**: وهما نوعان:

أ- **استكفاء**: وهي ان يقوم الخليفة باختيار من يريد ليتولى الأمارة، ويقوم بأعمال الخليفة نيابة عنه، ولكن يرى الماوردي ان الأمير يجب ان تكون فيه سبعة شروط، هي:

- تدبير الجيوش وتوزيعهم على المناطق وتحديد رواتبهم، وإذا كانت محددة الرواتب من الخليفة ما على الأمير إلا ان يدفعها لهم.

- يعين القضاة في أمارته ويتابع القضايا بين الناس.

- جمع الزكاة والخراج وجميع المصادر الماليّة التي سنتها الشريعة الإسلاميّة وتوزيعها بحسب الاستحقاق.

- حماية الدّين والأعراض والمراقبة على السلوك الديني ومنع أي استحداث فيه أو تغيير.

- إقامة الحدود بين الأفراد بحسب الشريعة الإسلاميّة.

- ان يكون الإمام في الصلاة أو يستخلف من ينوب عنه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تسيير قوافل الحجاج وحمايتها من الأعداء وتسهيل الطريق عليهم.

- ان كان من وضع الأمير في منصبة وزير التفويض بعد استئذان الخليفة، فلا يحق له عزله، ولو عزل الوزير؛ يبقى في مكانة.(الماوردي سابق، ص:٤١)

ب- **استيلاء**: وهي التي تكون عن حاجة واضطرار من خلال الاستيلاء أو فتح منطقة بالقوة، يقوم الخليفة بتفويضه إمارتها، فمثل هذا النوع يكون مستبداً في إدارة وسياسة هذا الجزء الذي يحكمه، وهذا يجوز له ما لا يجوز لأمير الاستكفاء، وذلك للاستطاعة والعجز في تحقيق الهدف من حفظ وحراسة للدين والشريعة(الماوردي، سابق، ص:٤٤).

وضع الماوردي شروطاً بمن يتقلد أمارة الاستيلاء، هي:

- حفظ منصب الخليفة وإدارة الأمارة بحدود الشريعة.
- الطاعة الدينيّة والتي من خلالها تروّض النفس فلا تعاند ولا تظاهر.
- ان يجعل كلمة المسلمين موحدة لكيلا يتفرقوا ويذهب ريحهم.
- استيفاء المال بحق وليس بباطل وبحسب ما ورد في الشريعة.
- إقامة الحدود كما أمرت الشريعة وحمايتها كما أرادت الشريعة وتطبق على من خالف الشريعة.
- ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
- ان يبقي على العقود الدينيّة ولا يبطلها أو يسقطها.(الماوردي، سابق، ص:٤٥)

أمارة الجهاد

وهذه كما الإمارة، فإنَّ فيها العامّة والخاصة، وهي مختصة في القتال، وأمّا الخاصة فهي التي تعنى في قيادة الجيش وأمور الحرب، والعامة وهي التفويض من الخليفة إلى أمير الجهاد بكل شيء يدور في فلك الإمارة من صلح وتقسيم المغانم وغيرها من أمور الحرب والجهاد ولها من الأحكام عند الماوردي.

أولا: تسيير الجيوش ولها حقوق، هي:

١- على الأمير ان يسير بجيشه على مهل ويسر ويقدر ظروف الجنود ودوابهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- على الأمير تفقد الخيول ولا يجعل جنوده يستخدمون من لا تقوى إلى التحمل وكلّ بحسب ظرفها ولا يحمّلها مالا تطيق وهذا الرفق بالحيوان من وجهة نظر إسلاميّة عند الماوردي.

٣- مراعاة الجنود الذين تحت إمرته من متطوعين ومرتزقة.

٤- ان يعرف الجنود بعضهم ببعض ويحدد القادة منهم.

٥- ان يتفقد الجنود ويتعرف على المجاهد الحق أو من هو متثاقل أو جاسوس للعدو.

٦- ان يجعل لكل فرقة منهم شعاراً خاصاً بهم.

٧- الّا يجعل النديّة في النسب أو الرأي شحناء وعداء بينه وبين من هم بمنزلته في الحسب والنسب في مثل هذا الموقف.(الماوردي، سابق، ص: ٤٧،٤٨،٤٩)

ثانيا": إن من الناس الذين تنسب إليهم هذه الإمارة نوعين، أمّا من بلغتهم الدعوة الإسلاميّة ولم يسلموا فإنَّ لأمير الحرب ان يحاربهم أو ينذرهم بالتهديد والوعيد، وذلك بحسب الحالة التي يرى من خلالها مصلحة الدّين والجيش. وأمّا الثانية فهم الذين لم تبلغهم الدعوة ولم يسمعوا بها، وهذا النوع يحرم قتالهم حتى تبلغهم الدعوة.(الماوردي، سابق، ص: ٤٩).

ثالثا: ما يكون من الأمير تجاه الجنود، وهي عشر(الماوردي، سابق، ٥٥،٥٦،٥٧) :

١- حراسة الجيش من خلال العيون وان يسلك بهم الطرق الآمنة.

٢- اختيار الموقع المناسب لملاقاة أعدائهم.

٣- توفير المواد التموينية للجيش وما تحتاجه الخيول من علف.

٤- العمل الاستخباري من مهام أمير الجيش لكي يعرف عدوّه ويأمن مكره.

٥- تعيين قادة لكل مجموعة وتحديد مواقعهم مع الانتباه لهم باستمرار لكيلا يميل العدو على جهة منهم وان حدث يزودهم بجنود.

٦- ان يمدهم بالمعنوية والحالة النفسيّة الجيدة ليلاقوا عدوهم بحاله نفسية جيده

٧- على الأمير ان يذكرهم بأجر المجاهد والصابر والشهيد والمكاسب من الغنائم لمن يبقى حيّاً.

٨- أن يشاور أهل الرأي.

٩- أن يعلمهم بأنهم طلاب دين وليسوا طلاب دنيا، وان يحاربوا عدو الله وعدوهم من أجل إقامة العدل على الأرض وليس لأهواء شخصية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠- لا تجارة ولا عمل لمن في أرض الرباط والجهاد.

رابعا: حقوق الجهاد، وهي نوعان عند الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية ص(٥٦الى٦٠)

١- **حق الله**: وهو الصبر أمام العدو وعدم الانهزام من المعركة ويكون الهدف نصرة للدين، وان توزع الغنائم على الجيش بحق الله وشرعة ولا يبخس أحدا من الجنود حقه وهذا من عدل الأمير في جنوده وان لا يساير أحد من الأعداء لأي ظرف كان قربة أو نسب أو صحبة أو تجارة على حساب الدّين.

٢- **حق الأمير**: التزام الطاعة، والأمر أمره، ولا أمر بعد أمره، لكيلا يتفرقوا بسبب كثرة الآراء وان يمتثلوا لتنفيذ ما يؤمرون وينتهوا عما ينهاهم، وان يتقبلوا قسمة المغانم إذا كانت بالتساوي، ولا يتشاحنوا عليها(الماوردي، سابق،ص:٦١).

خامسا: ان يصبر الجيش مع أميرة ويصبروا بصبره على محاربة أعدائهم، وهي حق من حقوق الجهاد ويجب الالتزام به حتى تنتهي بواحدة من الأربع إمّا ان يسلموا وإمّا ان ينتصر المسلمون عليهم مع بقائهم على الشرك ويغنموا منهم أو المسالمة بدفع المال أو الهدنة لفترة زمنية محددة، وكلّ هذه بحسب ظروف المعركة(الماوردي، سابق،ص:٦٢،٦٣،٦٤).

سادسا: على الأمير ان يسير في جنوده إلى أرض أعدائه ومحاصرتهم وهدم منازلهم وحرق بيوتهم وقطع شجرهم؛ ان كان فيه الصلاح، وان لم يكن به من الصلاح فلا يفعل هذا الأمر فإنه مشروط في الفائدة والصلاح(الماوردي، سابق، ص:٦٥).

القضاء:

ان القاضي هو الذي يقيم العدل بين الناس، ويقول الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية: إن لهذا القاضي شروطاً إذا توافرت فيه صلح توليه لمنصب القضاء وهي(الماوردي، سابق،ص:٨١،٨٢)

١- الرجولة في البلوغ والذكورة
٢- ان يكون على قدر عالٍ من التعقل والوعي والفطنة والذكاء.
٣- الحريّة: الّا يكون مملوكاً لأحد.
٤- الإسلام: ولا يجوز القاضي أن يكون على دين غير دين الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- العدالة: وهي من أهم الشروط والمقصود به عدالته مع نفسه قبل عدالته مع الناس.
٦- سلامة السمع والبصر ليتمكن من سماع المتحاجين ويرى حركاتهم ومن خلالهما يستطيع ان يميّز بين الحق والباطل.
٧- العلم بالأحكام الشرعيّة من أصول وفروع.

والقضاء منه العام ومنه الخاص، والعامة تقوم على الأحكام الآتية كما ذكرها لنا الماوردي في الأحكام السلطانيّة، وهي:(الماوردي، سابق، ص: ٨٧،٨٨)

١- المنازعات: على القاضي ان يفصل في الخلافات بين الناس وإنهاء الخلافات إمّا بالصلح أو بالجبر.
٢- تحصيل الحقوق ممن ماطل بها، وردها إلى أصحابها، ويكون إثباتها أمّا بإقرار أو ببيّنة.
٣- السماح لمن منع من ان يتصرف بشؤونه لصغر في السن أو مرض وشفي منه والحجر على من عجز عن التصرف لمرض أو كبر في السن.
٤- إدارة الأوقاف والتصرف بها بحسب الشريعة.
٥- تنفيذ الوصايا وبحسب ما اشترط صاحبها.
٦- زواج من وصل إلى سنّ الزواج من ذكور وإناث، وإن لم يكن له وليّاً فالقاضي وليّ من لا وليّ له.
٧- إقامة الحدود كما أمر الله، ولكن ان كانت من حقوق الله فعليه تنفيذها بنفسه، وان كانت من حقوق الناس فتكون بحسب طلب المستحق إليها.
٨- النظر في المصالح العامّة ومنع من يعتدي على الطرق.
٩- ان يختار من ينوب عنه من أهل الأمانة والعدل.
١٠- المساواة بين الناس في مجلس القضاء والحكم، فالناس سواسية في هذا المكان ولا يفرق بين أحد منهم لمكانة اجتماعيّة أو غيرها.

أمّا الخاصّة فتنتهي بانتهاء الفصل بما كانت له ولا يكون لها عمل غير ما كانت له، ولا يجوز للقاضي ان يقبل الهدايا من أحد، ولا يؤخر البت في القضايا من غير عذر أو يحتجب عن الناس، ولا يحكم لوالديه أو أولاده ولا يشهد بما هو لصالحهم، ولكن يحق له ان يشهد عليهم، والعكس مع عدوه، ويحكم له أيضاً ويقول الماوردي في هذا" **لأن أسباب الحكم ظاهرة وأسباب الشهادة خافية**"(الماوردي،سابق،ص:٩٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاقتصاد:

إن الزكاة والصدقات والخراج والفيء والغنائم والجزية والركاز جاء الأمر في توزيعها بالعدل الذي أراده الله، وهي نوعان: ظاهر وباطن، فأمّا الظاهر في كلّ شيء ظاهر للعيان من زرع وماشية وأمّا الباطن من ذهب وفضة وأموال نقديّة لا يعلم بها إلا مالكها، وليس للوالي يد على المال الباطن، وعليه ان يحاربهم عليها ان امتنعوا عن دفعها، وعلى من يتولى أمر الزكاة ان يكون عادلا ومسلما وحرا وعالم بأحكامها(الماورديوسابق،ص:١٣٣).

وليس لبشر أي دور في تقسيم الصدقات لما أمر الله به في قولة تعالى**(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة:٦٠)** وقال الرسول بعد نزل هذه الآية: (**ان الله تعالى لم يرضَ من قسمة الأموال، بملك مقرب، ولا بنبي مرسل، حتى تولى قسمتها بنفسه)** (الماوردي،سابق،ص:١٤٣)

الرّعيّة:

إن على العامّة من أفراد الدّولة الطاعة للملك بشرط العدل بين أفرادها، ولا يجعل من بيده السلطة ان يعدل بحسب أهوائه الخاصة، ولكن عليه ان يكون ميزان العدل عنده ضمن حدود الشريعة الإسلاميّة، ومن مصادرها الرئيسة ويستشهد بقول الحسن البصري: " إنما جعل السلطان ناصر لدينه فكيف بمن استحل به الظلم"(الماوردي،سابق،ص:٢٥٧).

وفي كتاب أدب الدنيا والدين يضع لنا الماوردي القواعد التي تقوم بإصلاح الدنيا من خلال إقامة العدل الشامل في جميع الأحوال، وأمّا الإنسان فصلاحه يكون من خلال:

أولا: نفس مطيعة: يستطيع من خلالها ان يتحكم في تصرفاته، وهي نوعان طاعة نصح وهي عقلانيّة وراشدة والتي يرى من خلالها الحسن والقبيح وتصدق النفس إذا سلمت من هواها " **من تفكر أبصر**" وطاعة انقياد وهي التي تتجه إلى الخير إذا أمرت وتنتهي عن الشر إذا نهيت (الماوردي،سابق،ص:٢٣٦،٢٣٧).

ثانيا: **ألفة جامعة**: وقال الرسول عنها: **المؤمن ألف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس انفعهم لناس"** وهي المحبة والمودة بين الإنسان والإنسان دون التمييز عن الغير والنظر بعين النقص للآخرين والتي تثير الشحناء والحسد والشر بين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس، وأسباب الألفة هي الدّين والنسب والمصاهرة والبر والمودة والتي من خلالها يحدث الترابط الاجتماعي بين الناس(الماوردي، سابق،ص:٣٨،٣٧).

ثالثا: **مادة كافية:** وهي القوّة الاقتصاديّة التي من خلالها يتقدم المجتمع ويزدهر ومن خلاله يعيش الأفراد حياتهم بشكلٍ مرضٍ ودون مرارة وحسد.(الماوردي،سابق،ص:٢٣٦)

ومما سبق يتبين لنا ان الماوردي كان يذهب مباشرة إلى الموضوع ويناقشه وفقا للشريعة الإسلاميّة، ويرى ان العدالة هي اصلاح النظام السياسيّ برمته ولا يجوز اصلاح جزء وترك الأخر؛ لأن النظام السياسيّ، وبحسب ما ترى الدِّراسة، هو ليس جزءاً، بل كلّ يتمم كلّ منه الأخر، وحدوث اي خلل في أحد اجزائه يعطل النظام ويفسده وهذا هو الظلم.

المطلب الثاني: نظريّاًت العدالة في الفكر السياسيّ الليبراليّ(جون رولز)

حياتة

ولد جون بوردلى راولز سنة ١٩٢١م في ولاية "ميرلند" الأمريكية ومن خلال دراسته الأساسيّة كان راولز مهتما في مفهوم العدالة، من خلال نوعية الكتب التي يطالعها، وحصل على بكالوريوس في الفلسفة من جامعة برينستونفي، سنة ١٩٤٣م وحصل على تجربته العمليّة من خلال التحاقه في القوات البحريّة الأمريكية، أثناء الحرب العالمية الثانية، وانتقلت فرقته إلى جنوب آسيا، وكانت الحرب بمثابة مدرسة لجون راولز، ليكتشف الماسي التي يتعرض إليها البشر، من ويلات الحروب وشهد انحراف النازية وسماها **"الديانة المنحرفة"** واستخدام السلاح النووي، لقتل المدنيين والأبرياء في اليابان، من قبل دول التحالف، وهذه الويلات جعلته يرفض الاستمرار في الجيش، ويعرض عن المذهب **المنفعي** ويبحث عن مذهب جديد، يكون الأمن والسلم هما غايته، وكانت نتائج الحرب بالنسبة إليه جعلت الشك يسيطر عليه تجاه المدنيّة الحديثة، وحصل في سنة ١٩٥٠م على الدكتوراه وعمل أكاديميا، وله من المؤلفات في نظريّة العدالة وتوفي في سنة ٢٠٠٢م.(غريب،٢٠٠٩م،ص:١٤-٢٠)

اثآر راولز

يعتبر **جون راولز** من أهم فلاسفة الفكر السياسيّ الليبراليّ المعاصر، الذي تدور في أروقته قضايا ساخنة حول موضوعات مهمة، مثل الأنصاف، والليبراليّة السياسيّة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحقوق الإنسان والمجتمع المدني، والديمقراطية، والعدالة، التي كانت من أهم ما اشغل فكر **رولز** والتي يعتبرها أهم قيم المجتمع المدني، والتي طرحها ضمن نظريّة العدالة، والتي سماها نظريّة **"العدالة كإنصاف"** وحول هذه النظريّة ألّف **راولز** العديد من المؤلفات، تدور أفكارها حول نظريّة للعدالة الجديدة، والتي تتناقض مع المذهب النفعي، ففي عام ١٩٧١م ألف كتاب **(نظريّة في العدالة)** الذي كان له تأثير على تطوّر الفكر السياسيّ الليبراليّ (راضي،٢٠١٣م).

وفي ١٩٩٣ ألّف كتاب **(الليبراليّة السياسيّة)** الذي اهتم في الاتفاق بين الأفراد المتساوين، ولكن يختلفون في الدّين، والفكر، والأخلاق، ويطرح فكرة **(الإجماع المتشابك)** للعدالة من خلال إجماعهم على مبادئ للعدالة رغم اختلافاتهم، وفي كتاب **(قانون الشعوب)** عام ١٩٩٩م طور **رولز** مفهوم الحق، والعدالة ليشمل القانون الدّولي من خلال الليبراليّة السياسيّة، ونقده لمذهب المنفعة، وتحديد مبادئ مفهوم العدالة، عنده وحجاب الجهالة وأتمّ في قانون الشعوب من ماهية ومبادئ هذا القانون، والعلاقة بين الشعوب الليبراليّة وغيرها(راضي، سابق).

وله من الإعمال والمؤلفات:

- **"الخطوط العريضة للإجراء المقرر الأخلاقي"**، مراجعة فلسفية
- **"مفهومان للقواعد"**، مراجعة فلسفية
- **"العدالة والإنصاف"**، مقال في الفلسفة
- **"في حس العدالة"**، مراجعة فلسفية.
- **"الحريّة الدستورية ومفهوم العدالة**
- **"الالتزام القانوني واجب الحفاظ على العب النظيف"**، في القانون والفلسفة
- **"عدالة في التوزيع"**، في فلسفة السياسة والمجتمع،
- **"تبرير العصيان المدني"**،
- **"العدالة والمعاملة بالمثل"**،.
- **"بعض أسباب ماكسيمين الفرقان"**،
- **"الإنصاف إلى الخير"**،.
- **"تصور كانط إلى المساواة"**
- **"البنية الأساسيّة والموضوع"**،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **"نظريّة البنائية في فلسفة كانط الأخلاقية"**.
- **"الحريّات الأساسيّة وأولوياتها"**، محاضرات عن القيم الإنسانيّة
- **"الوحدة الاجتماعيّة الأساسيّة والسلع"**.
- **"الأولوية للحق والأفكار العظيمة"**
- **"ان المجال للتوافق والتداخل السياسيّ"**،
- **"الموضوعات المدرجة في الفلسفة الأخلاقية كانط"**،
- مقال، **"قانون الشعوب"**،
- **"الليبراليّة السياسيّة"**،
- **"مجموعة ورقات"**،
- **"محاضرة حول تاريخ الفلسفة الأخلاقية"**،

نظريّة العدالة عند راولز

(العدالة كإنصاف)

يقول رولز: **إن العدالة هي أولى فضائل المؤسسات الاجتماعيّة، مثل الحقيقة بالنسبة إلى المنظومات الفكريّة ان أي نظريّة مهما بدت منسجمة واقتصادية يجب رفضها أو مراجعتها إذا كانت غير صحيحة، وعليه فإنَّ القوانين والمؤسسات مهما كان مستوى أدائها وتنظيمها ينبغي ان تصلح أو تلغى إذا كانت غير عادلة، وإن الحقيقة والعدالة بما هما من أوليات فضائل النشاط الإنساني لا تسمحان بأيّة مساومة"** ويضيف رولز **" لقد حاولت ان أضع نظريّة تمكننا من فهم تلك الآراء حول أولوية العدالة وتقدير قيمتها العدالة كإنصاف هي نتيجة أنها تبرز هذه الآراء وتدعم اتجاهها العام"**(ساندل،سابق،ص٥٧،٥٨).

يقول رولز في كتاب نظريّة في العدالة: إن العدالة هي الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعيّة، وان أيّة نظريّة غير صادقة ترفض، وكذلك القوانين والمؤسسات إذا كانت غير عادلة فلا بدَّ من إصلاحها أو إبطالها، وان الحقوق غير قابلة للمقايضة لا سياسيا ولا اجتماعيا، وان غياب العدالة يشترط بغياب اكبر للعدالة والذي يشكل ضرر اكبر في حال غيابها، والعدالة والحقيقة من أهم الفضائل البشريّة ولا مساومة بشأنهما(رولز،٢٠٠٥م،ص:٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ان للعدالة ظروفاً هي عند رولز الشروط التي من خلالها تكون العدالة فضيلة، وهذه الفضيلة التي توصل المجتمع إلى التشارك والتعاون وتبادل المصالح؛ لأن المجتمع يتصارع ويتحدى من أجل تحقيق مصالحه، وهذه الظروف نوعان عند رولز وهي: **موضوعية وذاتية** ويقول رولز عنها: **إن ظروف العدالة تسود كلما كان هناك أشخاص لا تهمهم المصلحة المتبادلة، ويطرحون مزاعم متنازعة حول تقاسم المنافع الاجتماعيّة في ظل ندرة نسبية، وفي غياب هذه الظروف تفقد العدالة مناسبة تجليها، تماماً مثلما لا تكون هناك مناسبة لتجلي الشجاعة البدنية إلا بوجود خطر محدق بالحياة"**(ساندل، سابق، ص:٧٧).

ويذكر رولز ان هناك ثلاث طرق للعدالة التوزيعية، وهذه الطرق هي:

١- الأسلوب الكامل المحض: وهو الطريق الذي يهدف إلى الغاية المحددة وبأسلوب حتمي النتائج مثل تقسيم كعكه بين أشخاص بالتساوي
٢- الأسلوب الناقص المحض: وهو ان الغاية والأسلوب ظاهران، ولكن غير حتمي النتائج مثل الإجراءات في القضايا الجنائية فهي ظاهرة في الأسلوب وكشف الجاني ولكن غير حتمية في النتائج لخلل في الأساليب.
٣- الأسلوب المحض: وهو منهج رولز الذي تبناه من خلال تحديد الأسلوب وكذلك قبول النتائج مهما كانت هذه النتائج(غريب،٢٠٠٩م،ص:٤١)

يعتبر رولز وجود العدالة لتقسيم الخيرات بين الأفراد من خلال احتياجاتهم ورغباتهم والتي يتحمل الفرد من أجل تحقيقها العمل والمسؤولية، ويتم توزيع الخيرات من خلال المؤسسات الرسميّة التي توزع الخيرات والوظائف بشكل عادل، والعدالة في الفكر السياسيّ إمّا عدالة **إصلاحية** أو عدالة **توزيعية**، واختار رولز العدالة التوزيعية الاجتماعيّة(غريب،٢٠٠٧م،ص:٤٣).

يضع رولز فكرة مجتمع حسن التنظيم من خلال مفهوم العدالة العام ويكون مجتمعاً منصفاً وحسن التنظيم من خلال ثلاثة أمور، هي:

١- قبول الآخر، أي مجتمع يقبل كلّ فرد فيه الفرد الآخر ومن خلال قبول الآخر يقبل مبادئ العدالة السياسيّة، وهي معرفة متبادلة من خلال الاتفاق العام على المبادئ
٢- ان البنية الأساسيّة للمجتمع من خلال المؤسسات الرئيسة هي نظام تعاوني ومن خلالها تحقق مبادئ العدالة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- للمواطنين حس فعّال للعدالة ويأتي من خلال تطبيقهم للواجبات والالتزامات من خلال مكانتهم في المجتمع وفهمهم للعدالة من العموم

ومن خلال هذه النقاط يستطيع أفراد المجتمع ان يتقاضوا بين بعضهم البعض أو ان يقاضوا مؤسساتهم للمطالبة بحقهم السياسيّ(رولز،سابق،٩٧).

ويقول رولز عن المجتمع كأساس لنظريّة العدالة: **التركيبة الأساسيّة للمجتمع هي الموضوع الرئيس للعدالة، لأن تأثيراتها تكون عميقة وهي حاضرة منذ البداية.... يولد الناس الذين يحتلون مواقع اجتماعيّة مختلفة، وقد نشأت لديهم توقعات مختلفة في الحياة... ان مؤسسات المجتمع تفترض وجود نقاط انطلاق محددة تعتبر أفضل من نقاط أخرى...هذه الأشكال من التفاوت تؤثر في فرص الناس الأولية في الحياة، غير أنّه لا يمكن أبدا تبرير كلّ ذلك بالاحتكام إلى الاعتقادات بشأن القيمة الاعتبارية أو الاستحقاق"**(جونسون،سابق،ص:٢٤٣).

والبنية الأساسيّة للمجتمع عند رولز تتكون من القانون الأساسي السياسيّ والاعتراف بالملكية قانونا وبنية اقتصاديّة، وكذلك الأسرة كلّ ما سبق ذكره يعتبرها رولز هي البنية الأساسيّة لمجتمع حسن التنظيم، والذي تدور من خلاله النشاطات للأفراد والجمعيات، وهي أولى موضوعات العدالة كإنصاف(رولز،سابق،ص:٩٩).

إن العدالة عند رولز ثلاثة مستويات، هي:

١- العدالة المحلية: وهي المبادئ التي يتمّ تطبيقها على المؤسسات والجمعيات.
٢- العدالة الأهلية: وهي التي تنطبق على البنية الأساسيّة للمجتمع وهي العدالة كإنصاف لأنها تنطلق إلى الخارج لتشمل القانون الدّولي(قانون الشعوب) وتدخل في القانون المحلي.
٣- العدالة العالمية" وهي المبادئ التي تنطبق على القانون الدّولي(قانون الشعوب).

انتقد رولز مذهب المنفعة من خلال وجهة نظره ان هذا المذهب لا يقدم الضمانات الكافية للحريّة والذي يقدم السعادة إلى الأغلبية من الناس على حساب حريّة الأقلية منهم، وهذا لا يعتبره رولز إنصافا ولا يحقق السعادة القصوى المرجوة من هدف مذهب المنفعة(جونسون،٢٠١٢،ص،٢٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يـرى رولـز ان مـذهب المنفعـة لا يـرى تصـورات متعـددة لمفهـوم الخيـر، ولكـن تصـوره أحـادي، وهـذه الأحاديـة لا تتصـور الاهتمامـات المتشـابكة لـدى الأفـراد والسـعادة لا تكـون سـوى أحـد هـذه الغايـات المتشـعبة لـديهم، وان البشـر لـديهم أولويـات، وهـذه الأولويـات هـي التـي تحـدد مفهـوم العدالـة عنـد كـلّ مـنهم، وان مـذهب المنفعـة لا يأخـذ بعـين الاعتبـار التنوعات لأهداف البشر(جونسون،سابق،ص:٢٣٧).

الوضع الأصلي:

لا يمكـن وصـف نظريّـة العدالـة عنـد جـون رولـز إلا مـن خـلال التطـرق إلـى مفهـوم الوضـع الأصـلي، الـذي هـو بمثابـة العقـد الاجتمـاعي بـين أفـراد المجتمـع ويقـول رولـز: **إن الشـروط المنصـفة فـي التعـاون الاجتمـاعي هـي حاصـل اتفـاق بـين أولئـك المنخـرطين فيـه. وان أحـد أسـباب حصـول ذلـك هـو ان المـواطنين، اسـتناداً إلـى فرضـيّة وجـود تعدديـة معقولـة، لا يتمكنـون مـن الاتفـاق علـى أيّـة سـلطة أخلاقيـة، مـثلا، نـص مقـدس أو مؤسسـة دينيّـة أو تقليـد مـن التقاليـد، ولا يمكـن الاتفـاق علـى نظـام مـن القـيم الأخلاقيـة أو مـا يـأمر بـه قـانون طبيعـي وفـق مـا يـراه الـبعض، لـذا، هـل يوجـد بـديل أفضـل مـن اتفـاق بـين المـواطنين أنفسـهم يتوصـلون إليـه فـي شـروط منصـفة لهـم جميعـا"** وهـذا الاتفـاق يجـب ان يكـون وفـق شـروط معينـة تضـع الأفـراد فـي وضـع منصـف دون تميـز أحـدا مـنهم عـن الأخر من خلال الحريّة والمساواة ودون تهديد وإكراه(رولز،٢٠٠٩م،ص:١٠٦).

ويقـول رولـز: إن الأطـراف فـي الوضـع الأصـلي هـم نظـراء ومتسـاوون فـي العدالـة السياسـيّة الأساسـيّة ولهـم شخصـيتهم القويـة التـي مـن خلالهـا يـتمّ تشـاركهم فـي التعـاون الطبيعـي والمتكامـل مـدى الحيـاة وهـم متسـاوون ومتشـابهون بجميـع النـواحي ذات العلاقـة، ويجـب علـى مـن يمـثلهم ان يكـون متواجـداً فـي الوضـع الأصـلي، وعكـس ذلـك لا يكـون هناك إنصاف أو تساوٍ بين المواطنين.(رولز،سابق،ص:١١١)

تأتي أهميّة الوضع الأصلي عند رولز من خلال:

١- صـياغة الشـروط المنصـفة لتعـاون وتنظـيم البنيـة الأساسـيّة بـين مـن يمثـل المـواطنين الأحرار والمتساوين.
٢- لقبـول مبـادئ العدالـة المنصـفة وتـرك غيرهـا مـن المبـادئ الأخـرى لا بُـدَّ مـن صـياغة قيود يقبلها العقل ولا تتنافى مع الطبيعة للمواطنين.(رولز،سابق،ص:١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتبر مفكرو العهد الكلاسيكي ان مذهب المنفعة يقوم على تحقيق السعادة للناس من خلال الثروات والدخل المرتفع، أمّا رولز فإنه يرى ان المعيار هو" **منافع اجتماعيّة أساسيّة**" وهي عبارة عن مجموعة من العناصر تكون الحريّات والحقوق والدخل والثروات وضوابط اجتماعيّة لاحترام الذات(جونستون،٢٠١٢م،ص:٢٥٣).

هناك شروط لا بُدَّ ان تتوافق عليها الأطراف المعنية في الوضع الأصلي وهي مبادئ النظريّة عند رولز:

١- ان لكل إنسان حق في **الحريّات** الأساسيّة المتساوية يكفل الحريّات للجميع.
٢- ان الغاية من **التفاوت الاجتماعي** والاقتصادي في أفراد المجتمع يكون من خلال:
أ- يجب ان تكون الوظائف بناءً على الكفاءات وتكون متاحة للجميع دون تميز، بل على العكس يكون الإنصاف هو المعيار للأخذ به.
ب- تحقيق المنفعة للأفراد الأقل حظاً. (جونسون،سابق،ص:٢٥٤)

يعتبر الوضع الأصلي عند رولز بأنه وضع افتراضي ولكن شروطه مقبولة اجتماعيا وقابلة لتفكير العقلي من خلال أطراف العقد، وما هي مطالبهم من خلال الشروط القابلة لنقاش نظريّاً، للوصول إلى الشراكة الاجتماعيّة وهي نقطة رئيسة للانطلاق بفكرة العدالة كإنصاف في مجتمع ديمقراطي(رولز،٢٠١١م،ص:٥٠،٥١).

يضع رولز مجموعة من الشروط على الأطراف في الوضع الأصلي ان يتصفوا بها أثناء التفاوض، وهي:

١- العقلانية: وأكد ذلك في قولة: لقد افترضت دائما ان الأشخاص في الوضع الأصلي عقلانيون"
٢- الإنصاف: وهو وضع جميع الأشخاص الأحرار والمتساوين في وضع منصف دون امتيازات لأحد على حساب الأخر، وعدم استخدام أي نوع من أنواع الضغوطات على المشاركين في التفاوض.
٣- توافر خطة عقلانية عند الأطراف المتفاوضة لتحقيق مفهوم الخير في العالم الواقعي.
٤- تغليب المصلحة العامّة على المصلحة الخاصة في الوضع الأصلي.
٥- عليهم ان يختاروا ما يتفق ومبادئ الآخرين من الأشخاص الذين يتسببون في أذآهم من اختياراتهم الخاطئة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- الإحساس بالعدالة من أهم الشروط لضمان سلامة ما يصدر من اتفاق فيما بينهم.

٧- يجب ان يكون المتفاوضون متساوين في المعلومات، التي يمتلكونها ولا يكون هناك معلومات مخفية على بعضهم.(راضي،٢٠١٣).

وللوضع الأصلي وجه آخر أقره **رولز** وهو حجاب الجهالة:

حجاب الجهل

المقصود من حجاب الجهل عند رولز ان الأطراف لا يعرفون بعض الحقائق من حيث مكانتهم الاجتماعيّة أو طبقتهم الاجتماعيّة أو وضعيتهم أو يجهلون حصتهم من التوزيع للموارد الطبيعيّة، ويجهلون مكانتهم العقلية من ذكاء وقوّة بدنية، ويجهلون الخير وفق لتصوراتهم العقلية ويجهلون الأطراف ظروف مجتمعهم من حيث السياسة والاقتصاد والثقافي وعليهم الجهل بالظروف التي تضعهم دائما في حالة من النزاع، وعليهم اختيار مبادئ يتعايشون معها مهما تكون عواقبها، والحقيقة التي يعرفونها أنهم يعيشون في مجتمع عادل.(رولز،سابق،ص:١٨١،١٨٢).

يقوم حجاب الجهل الذي يمنع الأطراف من التعرف إلى ذاتهم من خلال حواجز مصدرها المبادئ المتأصلة في المجتمع من المساومة للحصول على ما يريد من مكاسب مادية وغيرها بعيد كلّ البعد عن العدالة ،ولكن بطرق أخرى متعددة تجعل نظرتهم إلى ما حصلوا عليه هو العدل بذاته، مع عدم الاعتبارات للآخرين الذين ليس لهم القدرة على الحصول للمكاسب إلا من خلال الإنصاف(جونسيون،سابق،ص:٢٥٣).

يخفق المجتمع في ظل حجاب الجهل تبني قيم جديدة من ادخار للأجيال القادمة وذلك لما ورثوه من أسلافهم من عدم ادخار لهم و هذا الإخفاق في تحقيق نتائج تقوم على العدل بين الأجيال وعليهم تحفيز المجتمع لتعديل وإضافة قيود جديدة وينصهر من خلالها الفرد مع الجميع(رولز،سابق،ص:١٨٥).

مبادئ نظريّة العدالة عند رولز

١- مبدأ حفظ الحريّات الأساسيّة والمتساوية:

تعتبر المحافظة على الحريّات السياسيّة وحريّة الرأي والتعبير والاجتماع والملكية والحريّة الشخصيّة من أهم المبادئ في نظريّة العدالة عند رولز، والمنفعة لكل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرد من خلال السلطة ومراكز المسؤولية التي تفتح أبوابها للجميع ومتاحة للكل، ولا يوجد بدائل لهذه الحريّات من خلال التعويضات أو غيرها، فالحريات هي الأساس لبناء مجتمع ونظام سياسي عادل(رولز،٢٠١١م،ص:٩٣،٩٤).

ويعتبر الأشخاص متساوين، أي التمتع بالحد الأدنى بالقوى الأخلاقية التي تجعلهم مساهمين في حياه اجتماعيّة دائمة كمواطنين متساوين في القوى من خلال ممثليهم في الوضع الأصلي، والذين من خلال مساواتهم يتمتعون بالقدرة على اتفاق من خلال الإجراءات الهادفة لتحقيق العدالة المطلوبة في مجتمع ديمقراطي (رولز،سابق،ص:٢١٤).

ويميز رولز بين مجتمع سياسي ومجتمع منخرط في تنظيمات اجتماعيّة أخرى مثل الجمعيات والجامعات والكنائس، والتي تربطهم بها ارتباطات جزئية، أمّا في نظريّة رولز للعدالة ينفي هذه القيم، لأن الدستور في المجتمع السياسيّ والقيم السياسيّة هي اسمى من غيرها من الاعتبارات الجزئية(رولز،سابق،ص:١١٤).

ويعتبر المواطنين أحرارا في المجتمع الديمقراطي، الذي تعنيه نظريّة العدالة كإنصاف والمشتق من الثقافة السياسيّة للمجتمع وتكون علاقاته من خلال الحريّة الإرادية من وجهين عند رولز، وهما:

أ. المواطنون أحرار من خلال تصوراتهم لأنفسهم ولغيرهم أنهم يملكون القوى الأخلاقية التي من خلالها يتصورون تكوين مفهوم للخير ولديهم القدرة على تغيير المفهوم من خلال أسس عقلانية، ولا تتغير شخصيتهم القانونية أو العامّة كأحرار بطبيعتهم في حال تغير مفهوم الخير على مرّ الزمن(رولز،سابق،ص:٢١٦).
ب. المواطنون أحرار من خلال أنهم مصادر التصديق الأصيلة الذاتية على مطالبهم الصحيحة، أي أنهم يعتبرون مؤهلين للمطالبة بمفهوم الخير بشرط تقييد المطلب بما يسمح به مفهوم العدالة وهذه المطالب ليست مستمدة من الواجبات والالتزامات بحسب مفهوم العدالة وتكون ذاتية من جهة سياسيّة إذا كانت منسجمة مع مفهوم العدالة.(رولز،سابق،ص:١١٩).

وفي كتاب العدالة كإنصاف يقول رولز ان الحريّة تعود إلى ثلاثة بنود رئيسة، وهي الأشخاص الأحرار باختيارهم والقيود التي يضعها القانون من واجبات ومحظورات ونوع الحريّة التي يمارسونها كنوعية لفعل الحريّة والحريّة المرتبطة بالقانون عند رولز يوضحها في قولة: **إن الحريّة بنية معينة من المؤسسات، نظام**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معين من القواعد العامّة المحددة للحقوق والواجبات، بوضعها في هذه الخلفية يكون الأشخاص في حريّة للقيام بشيء ما حين يكونوا أحرارا من قيود معينة إمّا للقيام به أو عدم القيام به حين يكون قيامهم به أو عدم قيامهم به محمياً من تدخل أشخاص آخرين"(رولز،سابق،ص:٢٥٩).

ان أي حظر لاعتناق أو نقاش موضوع سياسي أو ديني أو أخلاقي هو تقييد للحريات، وعلى المشرّع ان يأخذ بعين الاعتبار آراء الإطراف في مفهومهم للحريات، وان يقرروا بأنفسهم كيفيّة هذه الحريّات بما يتلاءم مع مبادئهم، وان يفرقوا بين القيود والتنظيم لممارسة الحريّات للوصول في النتائج إلى نظام كامل للحريّة(رولز،سابق،ص:٢٦٠)

يعتبر رولز ان حريّة الضمير المتساوية ومن خلال العقلانية تكون حريّة الضمير المتساوية هي الأساس لباقي الحريّات من خلال إيجاد مبادئ يوجدها الأطراف للمحافظة على الحريّة الدينيّة والأخلاقية التي يجهلونها ويبني جهلهم على الاعتقادات من خلال الالتزامات التي يقومون بها، ولكن لصالح من تكون هذه المعتقدات لا علم لهم به، لأنهم بجهلهم لا يعلمون، أهم ضمن معتقدات الأغلبية، أو ضمن معتقدات الأقلية، وتحديد المبدأ الذي يتوجب عليهم اتباعه في اهتماماتهم السياسيّة، والدينيّة، والفلسفية(رولز،سابق،ص:٢٦٤).

يقرُّ رولز ان حريّة الضمير المتساوية هي ما يجب إقراره في الوضع الأصلي من خلال عدم السماح لمعتقداتهم باضطهاد الآخر ولو كانت من معتقدات الأغلبية وهذا يبين ان الأشخاص لا يتعاملون بجدية مع معتقداتهم (رولز،سابق،ص:٢٦٤).

لا يحبّذ جون رولز الدّولة الدينيّة ولا الدّولة العلمانية، لأنه ومن وجهة نظرة ان الدّولة ليس لها الحق ولا عليها واجب القيام بما تريده هي أو ما تريده الأغلبية، وخصوصا فيما يتعلّق بموضوع الدّين والأخلاق، وان وظيفتها حماية الحريّات المتساوية ووضع الشروط الخاصة بالأخلاق والدين(رولز،سابق،ص:٢٧١).

يعتبر الدستور هو الذي يحدد العدالة السياسيّة بين أفراد المجتمع من خلال أولا: يجب ان يكون الدستور اجراءً عادلاً يلبي المتطلبات الخاصة بالحريّة المتساوية. ثانيا: ان تكون صياغته بطريقة عادلة قابلة لتطبيق من خلال نظام تشريعي عادل وفعال وتقييم عدالة الدستور في جميع بنوده وهو المشاركة لجميع المواطنين في صياغته لإيجاد قوانين يطيعونها وتكون عادلة لهم في نفس الوقت(رولز،سابق،ص:٢٨١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقيد الحريّة من أجل الحريّة من خلال نوعان، هما: حريّة اقل توسعا وتكون متساوية وتكون للمواطن حافز لإيجاد توازي أو حريّة غير متساوية فيجب حماية الحريّات لمن لديهم حريات اقل من غيرهم في المجتمع(رولز،سابق،ص:٣٠٨).

ويقول رولز عن مبادئ الحريّة في نظريّة العدالة إنّه: **يجب ان يحصل كلّ شخص على حق متساوٍ بالنظام الكلي الأكثر اتساعا من الحريّات الأساسيّة المتساوية بشكل متوافق مع نظام مماثل من الحريّة للجميع"**(رولز،سابق،ص:٣١٥).

ان الحريّات الأساسيّة التي يقصدها جون رولز يجب ان يتمتع به الجميع في المجتمع العادل بالتساوي، ولا يجوز تمتع البعض بالحريات دون غيرهم فهذا هو الظلم عند رولز، لأن التكوين الاجتماعي للمجتمع والمؤسسات كالدستور والنظام السياسيّ والاقتصادي وغيرها من المؤسسات هي موجودة لحماية العدالة من خلال تثبيتها وتقويتها وتأمينها بالشكل الذي يتلاءم مع طبيعة المجتمع(غريب،سابق،ص:٤٥).

ج. مبدأ عدم المساواة:

وهو المبدأ الثاني عند رولز وهو مبدأ التمايز وهو لا يتفق كما المبدأ الأول مع مبادئ الليبراليّة مما جعله عرضه لنقد من مفكرين الليبراليّة، ولهذا المبدأ شرطان:

أ- طبيعية: بحيث تقوم على تحقيق اكبر مصلحة للموطنين الأقل مركزا من صحة وفكر ان المواطنون يتمتعون بهذه الخيرات، وهي ليست من الوضع الأصلي لأنها خارجة عن إرادة الإنسان(غريب،سابق،ص:٤٩)

ب- اجتماعيّة: ترتبط بتقسيم الوظائف والمناصب التي هي في الأصل للجميع بحسب الكفاءات وبشرط المساواة، وهي من الوضع الأصلي عند رولز لأنها بالاتفاق بين المواطنين(غريب،سابق،ص:٤٩)

إن هذا المبدأ يجعل هناك توافقاً ما بين الحريّات الأساسيّة من جهة وتكافؤ الفرص والدخل والثروات والاحتياجات الطبيعيّة للمجتمع، وكذلك مواقع السلطة من جهة وهذه المبادئ هي الأكثر تصورا للعدالة من خلال توزيع القيم الاجتماعيّة بالتساوي، إلا في حالة ان التوزيع غير متساوي يكون لصالح كلّ شخص، واللامساواة هي الظلم التي لا تكون لمنفعة الجميع(رولز،سابق،ص:٩٤،٩٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يؤكد رولز على مصطلحين رئيسيين في هذا المبدأ وهما "مصلحة كلّ شخص" و"مفتوح للجميع" ولهم عند رولز أربعة تفسيرات، هي:

١- نظام الحريّة الطبيعيّة: الذي من خلاله يتكون مبدأ الكفاءة، ويطبق على البنية الأساسيّة للمجتمع من جهة، ومن جهة أخرى يفتح الأبواب للمواهب في المهن والوظائف(رولز،سابق،ص:٩٩)

ويقول رولز عن هذا التفسير: **إنَّ التوزيع الطبيعي للموجودات لأيّة فترة زمنيّة يتأثر بشكل قوي بالظروف الطبيعيّة والاجتماعيّة، وان التوزيع الموجود لدخل والثروة، لنقل، هو الجهد التراكمي للتوزيعات السابقة للموجودات الطبيعيّة أي المواهب والإمكانات الطبيعيّة، كما تمّ تطويرها أو تركها دون ان تدرك وكما يتمّ تفضيلها أو عدم تفضيلها على مر الزمن بوساطة الظروف الاجتماعيّة والاحتمالات الطارئة مثل الصدفة والحظ الجيد، بدهيّاً ان الظلم الأكثر وضوحا لنظام الحريّة الطبيعيّة هو السماح بتأثر الحصص التوزيعية بمثل هذه العوامل الاعتباطية من وجهة نظر أخلاقية"**(رولز،سابق،ص:١٠٦).

٢- **المساواة الليبراليّة**: وهو الذي يضيف شرط تكافؤ الفرص إلى المواهب في الطبيعي السابق، ويجب ان يحصل الجميع على فرص منصفة ومتساوية بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعيّة، دون تأثر بالطبقة الاجتماعيّة التي يعيشونها(رولز،سابق،ص:١٠٧).

تسعى المساواة الليبراليّة إلى "**تخفيف تأثير الطوارئ الاجتماعيّة والحظ الطبيعي على الحصص التوزيعية**" من خلال إيجاد سياسات وقوانين تنظم الاقتصاد وتحافظ على المبادئ الاجتماعيّة مع أهميّة المساواة في التعليم الذي يكون متاحاً للجميع دون تمييز طبقي لأفراد المجتمع الواحد(رولز،سابق،١٠٧).

٣- **المساواة الديمقراطيّة**: وهو دمج كلّ من مبادئ الكفاءة المنصف مع مبدأ الفرق ويحدد مبادئ العدالة في المجتمع من خلال تحسين توقعاته للأفراد الأقل حظا في المجتمع، أي يتوجب على النظام الاجتماعي ان لا يحسن من وضع الطبقة الأفضل حظا من خلال حماية الوسائل المؤدية لنجاحهم، إلا إذا كان الهدف من هذه المنفعة هم الأقل حظا(رولز،سابق،ص:١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعند تطبيق هذا المبدأ؛ علينا ان نميّز بين حالتين، هما أولاً: وهي مثالية والتي تقوم على تعظيم توقعات الأقل حظا وثانياً: وهي التوقعات عند جميع طبقة الأفضل حال بالمساهمة على اقل تقديراً لرفاه الأقل حظا.(رولز،سابق،ص:١١٤)

وبما ان المجتمع يتكون من طبقات؛ فإنَّ رولز يرى ان على النظام الديمقراطي واجب التقريب بين هذه الطبقات من أجل الاستقرار السياسيّ وتحقيق العدالة المنصفة بين أفراد المجتمع المتفاوتين طبيعيا، ومن خلال مبدأ الفرق يقول رولز: **إن الفرق الكبير بين الطبقات ينتهك مبدأ المنفعة المتبادلة وكذلك المساواة الديمقراطيّة"**(رولز،سابق،ص:١١٥)

٤- **الارستقراطيّة الطبيعيّة:** هي صورة مثاليّة تطبق في حال كان النظام مفتوحا من جهة قانونية على الأقل، ويكون النظام عادلا في هذه الحالة إذا أعطي أصحاب الطبقة الدنيا القليل مقابل القليل المماثل الذي يعطى لأصحاب الطبقة الأعلى، أي لا تغيير على الحال من حيث ان من يملكون المواهب الطبيعيّة يحصلون على المنافع أكثر ممن يتمنون الخير للطبقة الفقيرة في المجتمع(رولز،سابق،ص:١٠٨)

وهناك إشارات لمبدأيّ العدالة، يتمّ انتخابهما من قبل المشاركين، وهي:

١- ان جميع الأفراد يلتزمون بالمبدأين واتفاقهم ليس عبثيا من خلال معرفتهم لأنفسهم وان هذين المبدأين يضمنان الحد الأدنى من الخيرات لجميع الأفراد ولا يضر بمصالحهم.
٢- توفير الحماية اللازمه للأفراد في المجتمع وإيجاد نظم اجتماعيّة أدوَم بعد استقرار هذين المبدأين.
٣- احترام الذات، وهي أهم الخيرات الأولية لتثبيت التعاون الاجتماعي.
٤- يعتبر رولز أفراد المجتمع غاية وليسوا وسائل، بل ان الأصول التي يتوصلوا للاتفاق عليها هي الوسائل لضمان حاجاتهم(غريب، سابق،ص:٥٩،٦٠).

قانون الشعوب

تتوسع النظريّة عند رولز لتشمل جميع الشعوب الليبراليّة أو المتقاربة من الفكر الليبراليّ على أساس من الحريّة والمساواة، التي من خلالها تتحقق العدالة بين الشعوب وفق معايير القانون الدّولي لتقارب بين المجتمعات الليبراليّة والمجتمعات غير الليبراليّة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدأ رولز من المجتمع المحلي، الذي من خلال معرفة الطبيعة التي يعيشها يستطيع ان يحدد علاقته بالشعوب الأخرى من خلال الشروط التي وضعها ليرى مدى التقارب بين الشعوب وهذه الشروط، هي:

١- لتصور العدالة أنها واقعية يضع رولز شرطين، هما:

أ- الاستقرار للأسباب الصحيحة من خلال القانون الطبيعي الذي ينظر إلى الناس بانهم أناس وفقا لقانون الطبيعة والنظر إلى القانون الوضعي من دستوري ومدني كقانون عاقل وعادل.

ب- ان تكون مبادئ والقواعد الأساسيّة قابلة لتطبيق وعمليّة تصبح السياسيّة الليبراليّة للعدالة واقعية(رولز،٢٠٠٧،ص:٣٣)

٢- لكي يصبح التصور السياسيّ يوطوبيا لا بُدَّ من استخدام مثل ومفاهيم ومبادئ لتحديد سمات المجتمع العادل وتحدد بثلاثة مبادئ، لكل سمه منها وهذه المبادئ هي:

أ- التعددية في الحريّات والحقوق الأساسيّة من خلال النصوص الدستورية

ب- الأولوية والخصوصية لهذه الحريّات.

ج- الضمان للجميع الانتفاع بالخير الأساسي ليتم استخدام الحريّات بطريقة فعالة.

٣- احتواء جميع العناصر الضرورية لتصور سياسي عن العدالة لتكون اليوطوبيا واقعية.

٤- لفهم المبادئ والمثل العليا يجب ان تكون هناك مؤسسات اجتماعيّة وسياسيّة لقيادة المواطنين إلى معنى للعدالة من خلال التنشئة والمشاركة بدورهم في المجتمع.

٥- ان تعدد الأفكار والمعتقدات الدينيّة والأخلاقية هي ليست من وحدتها وليست من الشروط للوحدة الاجتماعيّة لا بُدَّ ان عندهم جذور راسخة للحق والعدالة على أساسها يصبح إجماعهم.

٦- التسامح لا بُدَّ ان يكون له وجود في التصور السياسيّ ويستمد من الأفكار السياسيّة.

يضع رولز شروطاً موازية لمجتمع الشعوب على غرار الشروط التي وضعها لمجتمع ديمقراطي دستوري عادل والتي اسماها يوطوبيا واقعية، وهذه الشروط هي:

١- المجتمع الواقعي لشعوب على غرار المجتمع المحلي الليبراليّ أو المجتمع السمح أي النظرة للشعوب نظرة طبيعية وتحديد قانون الشعوب من خلال فكرة الوضع الأصلي، أي أن يكون الأطراف فيه هم الشعوب وليس الدّول، وقانون الشعوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قانون واقعي لأنه يطبق على التنظيمات والعلاقات السياسيّة بين الشعوب، ويدور هذا الشرط حول مبادئ الحريّة والمساواة بين الشعوب(رولز،سابق،ص:٣٧)

٢- قانون الشعوب هو قانون يوطوبيا لأنه يستخدم المثل العليا ومفاهيم أخلاقية وهو كما يعتبره رولز ترتيبات سياسيّة واجتماعيّة عادلة لشعوب(رولز،سابق،ص:٣٨)

٣- اجتماع العناصر الأساسيّة لتصور العدالة السياسيّة ضمن نطاق ضيق وهو النظام السياسيّ ويضيف رولز ان هذا لا يتحقق إلا من خلال التوسع والوصول إلى نظام ديمقراطي دستوري، ليكون شامل للعلاقات بين الشعوب(رولز،سابق،ص:٣٨)

٤- مساعدة المجتمعات جيدة التنظيم على احترام قانون الشعوب من خلال مؤسسات سياسيّة فعالة وعادلة(رولز،سابق،ص:٣٨)

٥- ليست الوحدة بين الشعوب عن طريق الدّين ولكن من خلال نفس القانون الذي يعطي مضموناً لعقل عام، ويكون موازياً للعدالة في المجتمع الديمقراطي(رولز،سابق،ص:٣٩)

٦- عند التعامل من خلال العقل العام تصبح الشعوب متسامحة مثلها مثل المجتمع المحلي(رولز،سابق،٣٩)

يحدد لنا رولز السمات الرئيسة لشعوب الديمقراطيّة الليبراليّة والشعوب السمحة أنها:

١- حكومة ديمقراطيّة دستوريّة عادلة ضمن المعقول من خلال النظام والمؤسسات.

٢- الوحدة بين المواطنين من خلال المشاعر الوجدانيّة المشتركة، وهذه من خلال الثقافة.

٣- طبيعة أخلاقيّة من خلال الارتباط بين الحق والعدالة في تصور سياسي.

وعن هذا يقول رولز: **إن يكون لشعب حكومة ديمقراطيّة دستورية عادلة إلى حد معقول وهو ان تكون الحكومة من الناحية الفعلية تحت السيطرة السياسيّة والانتخابية للشعب وان تحاسب على المصالح الأساسيّة للشعب وتحمي تلك المصالح كما ترد تحديدا في دستور مكتوب أو غير مكتوب وفي تفسير ذلك الدستور. الحكومة لست مؤسسة ذات استقلال ذاتي تقتفي طموحاتها البيروقراطية الخاصة كذلك لا تخضع الحكومة إلا لمصالح تجمعات كبيرة من شركات وأنشطة اقتصاديّة عن علم الجمهور وغير خاضعة خضوعا كاملا للمحاسبة**، ويضيف رولز: **من الضروري ان نقيم مؤسسات على نحو يحفز على أفراد الشعب بدرجة كافية سواء المواطنين أو**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسؤولين في الحكومة على احترامها، وان يزيل المغريات الظاهرة للفساد"(رولز،سابق،ص٤٣).

يضع جون رولز الوضع الأصلي في قانون الشعوب بطريقة مختلفة عنه لدى الأفراد داخل الدّولة من خلال ثلاثة وجوه، هي:

١- لا يوجد مذهب شامل عن الخير عند الشعب الديمقراطي الدستوري لأنه شعب ليبرالي على العكس من المجتمع الليبراليّ ويتعاملون مع احتياجاتهم كمواطنين.
٢- ان المصالح الجوهرية لأي شعب تحدد من خلال تصوراتهم السياسيّة للعدالة والمبادئ، ومن خلالها يوافق على قانون الشعوب، أمّا المجتمع في الدّولة فإنَّ مصالحة الجوهرية مبنية على تصوره للخير وعلى مدى تحقيقه للقوة الأخلاقية لدا مواطنيها.
٣- اختيار الأطراف في الوضع الأصلي لقانون الشعوب للمبادئ وتفسيرها بما يتلاءم وطبيعة كلّ شعب(رولز،ستبق،ص:٥٨).

يعتبر التسامح عند جون رولز بين الشعوب وخصوصا قبول الشعوب الليبراليّة للشعوب غير ليبرالية من خلال قبول هذه الشعوب بطريقة التسامح وقبولهم كشعوب فاعلة في المجتمع الدّولي، ويقدموا ما عليهم من واجبات ولهم حقوق أسوة بالشعوب الليبراليّة، ولا يكون التسامح بالامتناع عن فرض العقوبات ليغير شعب من الشعوب سلوكه وأسلوب حياته، وليس شرطاً ان تكون جميع الشعوب ليبرالية ولو حصل هذا لانتفت فكرة التسامح بين الشعوب(رولز،سابق،ص:٩١)

هناك دور لحقوق الإنسان في قانون الشعوب عند رولز من خلال القيود التي تضعها الحقوق على الحروب والسلوك في الحروب والاستقلال الداخلي لنظم الحكم ومن خلالها أصبحت الحروب غير مقبولة إلا للدفاع عن النفس أو لحماية حقوق الإنسان في حال الانتهاكات لحقوق الإنسان من نظام سياسي ما، ومن خلال تطبيق حقوق الإنسان نستطيع ان نحدد نوع النظام السياسيّ ان كان سمحا أم لا، ومن خلال هذا المعنى عند رولز يكون لحقوق الإنسان ثلاثة ادوار، هي:

١- ضرورة تحقيق حقوق الإنسان لتحديد سماحة النظام السياسيّ والاجتماعي.
٢- ان تحقيق حقوق الإنسان في أي نظام يمنع تدخل شعوب أخرى سواء بالعقوبات الاقتصاديّة والدبلوماسية أو بالتدخل العسكري.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- تضع حدود للتعددية بين الشعوب(رولز،سابق،ص:١١٣،١١٤)

يقسم لنا رولز الشعوب إلى خمسة أنواع، هي:

١- الشعوب الليبراليّة.
٢- الشعوب السمحة، وهي تكون ضمن إطار هرمي وتشاورية.
٣- شعوب خارجة عن القانون.
٤- شعوب مغلوب على أمرها.
٥- شعوب ليست ليبرالية ولا سمحة ولكن تهدف إلى الخير وتحترم حقوق الإنسان.(رضى، سابق)

يوجد ثلاث نظريّاًت رئيسة تهتم في قضيّة العدالة وهذه النظريّات تعارض بعضها بعض وهي: أولا: النظريّة الوضعيّة التي تقول: "القوى على حق" وإنَّ لها أصول تاريخيه قديمة وتقر بان الدّولة لها الحق في استعمال القوّة لتفرض قوانينها بالقوة والإكراه، وتقر هذه النظريّة بان القانون الوضعي عادل إذا كان مصدرة الدّولة فقط. ثانيا: نظريّة القانون الطبيعي: وهي موجوده منذ نشأة النظريّة الوضعيّة، ولكنها تختلف معها لأنها تعتمد على العقل والمنطق، الذي أساسه الأخلاق العادلة، وعدالة القانون الوضعي أو عدم عدالته فإنه يقاس من خلال مطابقته للقانون الطبيعي. ثالثا": النظريّة النفعية: والتي ترى ان النتائج من تطبيق القانون هي الحكم على مدى عدالة القانون فإنَّ كانت أهداف ايجابية فإنَّ القانون عادل، ويكون القانون ظالماً ان كانت الأهداف سلبية(ظاهر،١٩٨٧م،ص ص:١٨٢،١٨٣)

أي ان نظريته تقوم على مبدأ تحقيق اكبر قدر من المنفعة إلى أكبر قدر من الناس وتحقيق المنفعة لأقل الناس حظا.

وعليه، واجه انتقادا في كيفيّة إحصاء الأقل حظا، ونلاحظ ان بعض الدّول تستخدم نظريته في العدالة، فهي ترى أنّه عندما يكون الناس(المواطنون) غير مسؤولين عن تدني خدماتهم وحصولهم على حقوقهم بسبب تغوّل المركز على الأطراف؛ فإنَّ الحكومة المركزيّة ملزمة بمراعاة ظروف هؤلاء وإعطائهم ميزة، ولعل ما يسمى المكارم في وقتنا الحاضر مثل التدريس والتعليم والتوظيف تأتي من هذا القبيل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : التلاقي والافتراق في مفهوم العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

ان مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ ليست من البشر، وغايتها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، أمّا الفكر السياسيّ الليبراليّ فإنَّ مصادرة متعددة، وعلى رأسها الإنسان وغايتها الإنسان لأنه -وبحسب رأي الليبراليّين- هو أعلم بما ينفعه والهدف سعادته في الدنيا وحسب.

وعليه، سيتم دراسة هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: التلاقي والافتراق بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ.

المطلب الثاني: التلاقي والافتراق في نظريّة العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: التلاقي والافتراق في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

يلتقي ويتقارب ويتقاطع ويفترق الفكر السياسيّ على العموم، وهذه الطبيعة في الفكر موروثة ومنقولة من خلال مؤلفات الباحثين على مرِّ العصور، أمّا ما يخصّ الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، فهما يتقاربان دون تماس بينهما، ويفترقان إلى ابعد مدى، بل يعتبران نقيضين في كثير من المواقف، ويعود هذا الأصل إلى المصادر لكل من الفِكرَينِ.

وسيتم دراسة هذا المطلب من خلال:

أولا: نقاط التلاقي بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

يقترب الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ في بعض النقاط التي من خلالها نجد لها قبول في كلا الفِكرَينِ ولدى الكثير ممن يحملون الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، لأنها تعتبر من صميم الفكر العام والمقبول لدى الجميع، وأهمها القيم الإنسانيّة التي يتفق عليها الجميع.

وهذه القيم كثيرة ومتعددة، ومن أهمها الحقوق مثل حق الحياة وهو أهم الحقوق والعدالة والحريّة بجميع نواحيها من فكر وعقيدة والرأي والتعبير، وحق المساواة بين الجميع دون تمييز أو تحيّز.

ان الدارس للفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ يجد فيه الكثير من المفاهيم، وان اختلف تفسيرها، إلا أنها تعتبر من أهم احتياجات البشريّة وهي متعددة، وستحاول الدِّراسة -ومن خلال ما سبق- أن تحدد بعض ما تقارب في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ.

١- التقارب في المصادر

يقر كثير من المفكرين على ان الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ يجتمع فيه الفكر اليوناني كمصدر لكلا الفِكرَينِ، وان المفكرين الإسلاميّين والليبراليّين درسوا الفكر القديم ونقلوه إلى الفكر الإسلاميّ من خلال الفلاسفة الإسلاميّين، وكذلك انتقل إلى الليبراليّة من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال تطوّر الفكر السياسيّ منذ عصور اليونان، مرورا بعصور الرومان والفترة المسيحيّة، حتى وصل إلى الليبراليّة، وكذلك نقل العلوم الإسلاميّة إلى أوروبا بعد الفتوحات الإسلاميّة.

لقد تأثر المسلمون بالفكر اليوناني من خلال مكتبة الإسكندرية بعد دخول المسلمين إلى مصر في فترة الخلافة الراشدة، وقاموا بنقلها إلى حران مركز الصابئة في عهد الدّولة الأموية، ومن بعدها إلى بغداد في العصر العباسي (النشار،١٩٨١م.ص:١٠٥).

أمّا جند يسابور كان به مدرسة اجتمع فيها علوم يونانيّة وسريانيّة وفارسيّة، التي اندمجت فيما بعد بالعلوم الهنديّة وكان رئيسها "**جورجيس بن يختيشوع**" انتقل إلى بغداد وكان من تلاميذ هذه المدرسة" **يوحنا بن ماسوية**" الذي أصبح مديرا لمعهد بيت الحكمة في بغداد بعد ان أسسه المأمون للترجمة، وكان هذا الطريق الذي سلكه فلاسفة الإسلام للاتصال بالفكر اليوناني الذي سماهم ابن تيمية "فراخ اليونان" (النشار،سابق،ص:١٠٧).

وأهم ما أخذ الفكر السياسيّ الإسلاميّ من الفكر القديم على الصعيد **النظريّ** من الإغريقيّة والهنديّة وعلى الصعيد **العملي** من الفارسيّة والرومانيّة وكانت الأفكار المكتسبة من تلك الحضارات وخصوصا في فترة الأمويين والعباسيين، لأنهما كانا أقرب إلى السياسة العمليّة النفعيّة، والتي تختلف عن سياسة العصر الراشدي الشرعيّة والدينيّة، وأهم ما أدخلوه المسلمين من الأفكار القديمة والتطبيقات العمليّة سياسيا، هي:

أ. وراثة الحكم.
ب. السلطة المطلقة المستبدة والفرديّة.
ج. غياب الشورى.
د. المظاهر على الحكام والسلاطين والبذخ والترف(مجموعةباحثين،٢٠١٥م،ص:١٥٠،١٥١)

كان فكر العصور الوسطى هو الناقل للفكر اليوناني، ومن خلال القديس "**اوغسطين**" الذي دمج الديانة المسيحيّة بالأفكار اليونانية والأفلاطونيين الجدد من خلال كتاباته، ويعتبر الفكر السياسيّ اليوناني صاحب دور في الفكر السياسيّ الليبراليّ من خلال تأثر الفكر الليبراليّ بهذه الأفكار وأحياء التراث القديم والآداب الإنسانيّة في أوروبا، وخصوصا في عصر النهضة الذي من خلاله استطاع الفكر السياسيّ الأوروبي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ان يجد لـه ركيـزة قديمـة يسـتند عليهـا ليحقـق هدفـه فـي مجتمعـات يعتبـر الفكـر اليونـاني والروماني من تراثها وحضارتها(رستورمبرج،١٩٩٤،ص:١٨).

٢ـ حقوق الإنسان

اقتـرب مفهـوم حقـوق الإنسـان فـي الفكـر السياسـيّ الإسـلاميّ والفكـر السياسـيّ الليبرالـيّ كهـدف وغايـة، ولكـن هنـاك اخـتلاف فـي المصـادر وطريقـة التطبيـق؛ لأن حقـوق الإنسـان فـي الفكـر السياسـيّ الإسـلاميّ مصـدرها القـرآن الكـريم والسـنّة النبويّـة، أي حقـوق أبديّـة وغيـر قابلـة للتغييـر أو الحـذف أو التعطيـل، أي عمليّـة ارتبـاط بالعقيـدة الإسـلاميّة. وان هـذه الحقـوق هـي التـي تجعـل مـن المجتمـع الإسـلاميّ متسـاوياً دون تميـز بـين أفـراده علـى أسـاس أصـل أو عنصـر أو جـنس أو ديـن أو لغـة أو لـون، وهـي تنبـع مـن الأصـل الإنسـاني وتجعـل الحريّـة فـي المجتمـع مرادفـة لحياتـه وملتصـقة بوجـود الإنسـان ويـأمن علـى نفسـه مـن الإذلال والاسـتعباد والقهـر وكـذلك اسـتقرار الأسـرة ونـواة المجتمـع التـي تتقـدم وتستقر في ضل الشريعة(الغزالي،٢٠٠٥،ص:٢٢١).

يتسـاوى الحـاكم والمحكـوم فـي الإسـلام مـن خـلال الشـريعة التـي وضـعها الله عـز وجـل دون تمييـز، وتكـون السـلطة أمانـه فـي يـد الحـاكم ويطبقهـا وفقـا لشـريعة، وان كـلّ إنسـان لـه الحـق فـي الثـروات الطبيعيّـة التـي أوجـدها الله عـز وجـل لخدمـة الإنسـان بالعـدل والتسـاوي مـع غيـرة مـن النـاس دون منيـة أو هبـه مـن أحـد، لأن لا فضـل لإنسـان علـى إنسـان وكـذلك تقريـر السياسـات للمجتمـع الإسـلاميّ مـن خـلال الشـورى وكمـا توجـد كفـاءات توجـد الفـرص وكـلّ بحسـب قدرتـه، ويحاسـب عليهـا الإنسـان فـي الـدنيا والآخـرة، والمجتمـع الإسـلاميّ يجعـل مـن الحـاكم والمحكـوم متسـاوين أمـام القضـاء وكـلّ فـرد مسـؤول فيـه ويـرفض جميـع أنـواع الظلـم والطغيـان ويضـمن الأمـن والعـدل والكرامـة والقـيم الإسـلاميّة التي ترتقي بالإنسان، ليكون إنساناً كما إرادة الله عز وجل(الغزالي،سابق،ص:٢١١).

يشـار إلـى وجهـات النظـر العربيّـة الإسـلاميّة فـي موضـوع حقـوق الإنسـان، حيـث هناك وجهتا نظر:

الاولـى يتبناهـا محمـد عابـد الجـابري واحمـد كمـال ابـو المجـد، وتـرى ان حقـوق الإنسـان جـاءت بصـياغة غربيـة عنوانهـا الإعـلان العـالمي لحقـوق الإنسـان والعهـدين الدّوليين، لكن مضمونه موجود في العقيدة الإسلاميّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثانية تبناها فؤاد زكريا الذي يرى ان مفاهيم الإسلام نصوص جامدة وحقوق الإنسان بالمفهوم الغربي متطوّر، وعليه لا يمكن للإسلام استيعاب مفهوم حقوق الإنسان بديباجته الغربية.

أمّا حقوق الإنسان في الفكر السياسيّ الليبراليّ فهي ثمار للحق الطبيعي ومرتبطة بمفهوم الحريّة، والدّولة هي من تحمي هذه الحريّة التي تسمح للأفراد ممارسة حريتهم لتحقيق رغباته بحسب مفهومة الشخصي للحريّة.

في ١٠/١٢/ ١٩٤٨م أقرّت الجمعية العامّة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وجاءت ديباجته على النحو الآتي: **"لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشريّة وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحريّة والعدل والسلام في العالم.**

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى إعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامّة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحريّة القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري ان يتولّى القانون حماية حقوق الإنسان، لكيلا يضطر الفرد -أخر الأمر- إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسيّة وكرامة الفرد وقدره، وبما لرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على ان تدفع بالرقي الاجتماعي قدما، وان ترفع مستوى الحياة في جو من الحريّة أفسح.

ولما كانت الدّول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسيّة واحترامها.

ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهميّة الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

إنَّ الجمعية العامّة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ان المستوى المشترك، الذي ينبغي ان تستهدفه كافة الشعوب والأمم، حتى يسعى كلّ فرد وهيئه في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطَّردة قوميّة وعالميّة، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعّالة بين الأعضاء ذاتها، وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها"(الغزالي،سابق،ص:١٩٩،٢٠٠).

٤- نبذ العبودية

اقترب كذلك الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ في مفهوم العبودية وحارب كلّ منهم العبودية بحسب الطرق المتاحة له، وكلا حسب مقتضيات عصره ومرجعيته الدينيّة أو القانونية، حيث ان الإسلام حارب العبودية لغير الله، وحث على تحرير العبيد بطريقة التقرب من الله والأجر الثواب من الله على كلّ من يعتق عبدا، ومعالجة أسباب الاستعباد وتحرير العبيد كفارة لكثير من الذنوب التي يرتكبها المسلم، وحريته شامله له ولذريته من بعده، وان كانت هذه التغية محل جدل في الفقه الإسلاميّ ودارسية حتى الآن(المنجد،١٩٧٦،ص:٣٠،٣١).

أمّا الفكر السياسيّ الليبراليّ فإنه حارب العبودية، ولكن بعد صراع طويل أسفر عن إعلان تحرير العبيد في أمريكا عام ١٨٦٢، ولكن بحقوق منقوصة، وذلك من خلال النظرة الدونية لهم، بالرغم من الجهد الذي بذلة**"فردريك دوغلاس"** وانتزاع هذا الإعلان من السلطات الأمريكية في تلك الفترة إلا أنّه آل في النهاية إلى ان تكون العبودية محرمة قانونيا(بولر،١٩٧٨م،ص:١٥٥).

تبنت الجمعية العامّة للأمم المتحدة في عام ١٩٦٦م الاتفاقية الدّولية للحقوق المدنيّة والسياسيّة وأصبحت نافذة عام ١٩٧٦م بعد تصديقها من بعض الدّول ومن أهم بنودها:

أ. لا يجوز استرقاق أحد، ويحرم الاسترقاق والاتجار بالرقيق في كافة أشكالهما.
ب. لا يجوز استعباد احد.(الكافي، ص:٢٦)

وعليه يعتبر نبذ العبودية من القيم البشريّة التي يتفق فيها كلّ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ، لتحقيق هدف واحد وهو كرامة الإنسان، ولكن كلا بحسب قيمه ومرجعيته.

٥- الملكية الفرديّة والسوق الحر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقترب النظام الاقتصادي الإسلاميّ من الليبراليّ في جزئية الملكية الخاصة مع الأخذ بالثنائية في النظام الاقتصادي الإسلاميّ في كلّ من الملكية الخاصة والجماعية، إلا ان الملكية الخاصة جزء أساسي من الملكية في الإسلام، ولا ينفي الإسلام الملكية الخاصة وسمح بالملكية للفرد ويستطيع النظام الإسلاميّ على الموازنة بين ثنائية الملكية مع عدم تغول أحداهما على الأخرى، وان المال في النظام الإسلاميّ ملك لله عز وجل وإنما وجودة بيد الأفراد هو استخلاف وعليهم التصرف به على الوجه الشرعي الذي أمر الله عز وجل به، والملكية في الإسلام مقيدة من حيث التملك والاستقلال والاستهلاك بضوابط شرعية، فحرمت السرقة والربا والحجر على السفيه، أمّا الليبراليّة فلا قيود على الاستهلاك ولا ضوابط لتصرف إلا بموجب القوانين المعمول بها في الدّولة. (قطب،سابق،ص:٩١).

أمّا حريّة السوق في الإسلام فإنها تقوم على عدم تدخل الدّولة في الأسعار، وذلك من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين طلب منه أهل المدينة ان يسعر لهم حيث قال" **ان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق، واني لأرجو ان ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة من دم أو مال**".

أمّا السوق الحر في الفكر الليبراليّة، جاء ليثبت للمجتمع الغربي سيطرته على ذاته بعد التخلص من النظام الإقطاعي وأتاحة الفرصه للفرد بان ينتج ويبيع ويشتري بكل حريّة دون أي قيود تفرض والمال هو للعمليّة التبادلية(منصور،سابق،ص:١١١).

ثانيا: الافتراق بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ

يتنافر الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ في كثير من المواقع ولا يتفقان على كثير من النقاط، بل وتعتبر هذه النقاط مقر التفرقة الأبدية بين الفِكرَينِ، ومن هذه النقاط:

١- المصادر:

للفكر السياسيّ الإسلاميّ مصادر رئيسة لا يمكن ان يتصف الفكر الإسلاميّ بهذه الاسم إلا وأن تكون حاضره فيه، وهما القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وهذان المصدران لا شأن للإنسان بهما، فهما مصدران ثابتان ولا يتغيران ولو تطوّر الفكر السياسيّ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعتبران العمود الفقري للفكر السياسيّ الإسلاميّ اللذين يساعدان على ديمومته واستمراره على مرّ العصور (مجموعة باحثين،سابق،ص:١٣٨).

أمّا المصادر البشريّة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ مثل الإجماع والاجتهاد والقياس والاستحسان والاستصحاب والمصالح المرسلة وغيرها، فهي كانت تدور بين ثلاثة اتجاهات معرفية مكمله لبعضها البعض، وهي:

أ- **النظام المعرفي البياني**: والذي كان بين الفقهاء والأدباء، والمعتمد على النقل ليجعله مصدر المعرفة ومتجاوز لمبدأ العلية والسببية لتكوين المعرفي.

ب- **النظام المعرفي ألبرهاني**: والذي كان للفلاسفة والمتكلمة والمؤرخين وعلماء الاجتماع، والمعتمد على مبادئ العليّة والسببيّة في تكوين المعرفة، وهو النظام الذي يقوم على اكتساب المعرفة من خلال البراهين العقلية والأدلة الاستنباطية والاستقرائية.

جـ - **النظام المعرفي العرفاني:** الذي شاع بين المتصوفة وفلاسفة الفيض الإلهي، وهو القائم على الاتصال الروحي للإنسان بمعرفة الله سبحانه وتعالى، متجاوزاً العلية والسببيّة(مجموعة باحثون.سابق،ص:١٤٠).

أمّا مصادر الفكر السياسيّ الليبراليّ فهي مصادر بشرية متعددة وتاريخية من اليونان إلى الرومان وأراء المفكرين والفلاسفة الغربيين، وخصوصا في عصر النهضة ومرحلة سيطرة الكنيسة على المجتمعات الغربية، ولا تعتمد هذه المصادر على مرجعية تصب جميع أفكارها لخدمتها أو تطويرها، وإنما الغاية الإنسان في الدنيا والمحافظة على مكتسباته بجميع الطرق المتاحة.

٢- العلمانية

وهي بتعريفها المبسط (فصل الدّين عن الدّولة) ولكن لها أكثر من تعريف، حيث يعرفها محمد اركون وهو من المؤيدين لها أنها **"تتركز في مجابهة السلطات الدينيّة التي تخنق حريّة التفكير في الإنسان ووسائل تحقيق هذه الحريّة"** أمّا من يعارضها مثل محمد عمارة فيقول: هي **عزل السماء عن الأرض وتحرير العالم والإنسان والاجتماع الإنساني من التدبير الإلهي ومن حاكمية السماء بدعوى ان العالم مكتف بذاته وان الإنسان هو سيد هذا الكون يدير حياته بالعقل**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتجربة دونما حاجة إلى رعاية أو تدبير من وراء الطبيعة وخارج العالم الذي يعيش فيه"(المقادمة،٢٠١٣م،ص:٤،٣).

أمّا نظام الحكم في الإسلام قد جاء وفقا للشريعة الإسلاميّة، ولم يفصل النظام الإسلاميّ بين الدّين والدّولة، لا بل على العكس لقد ارسى الإسلام قواعد للحكم بعكس ما يتهم العلمانيون بالنظام الإسلاميّ، وهي:

أ- الناس سواسية أمام القانون، فلا فرق بين أحد منهم، وجميعهم خاضعون له بما فيهم الحاكم

ب- على الحاكم المسلم ان يكون عالما بأحكام الشريعة وتطبيقها

جـ- الحكم في الإسلام ليس حكما وراثيا وإنما يختاره أهل الحل والعقد من خلال الشورى بين الحاكم والمحكوم وأهل العلم

د- لا يخرج الحاكم والمحكوم عن إجماع المسلمين

هـ- للأمة الإسلاميّة دستور ومشرع، هو القرآن الكريم والسنّة النبويّة والإجماع واجتهادات العلماء

ز- يقوم الحاكم في النظام الإسلاميّ بالنصح والصلاح والقوّة، إذا لزم الأمر

وهذه القواعد جعلت النظام الإسلاميّ نظاما مرنا يصلح لكل مجتمع وفي كلّ زمان، على عكس القانون الجامد الذي يفضي إلى صلاحه في زمان ومكان وعدم صلاحه لآخر(مبروك،٢٠٠٠م،ص:٧٦،٧٥)

من خلال الحضارة الإسلاميّة التي تمتاز عن غيرها من الحضارات بما يخص العلمانية كدخيل على الفكر الإسلاميّ بشكل عام والفكر السياسيّ الإسلاميّ بشكل خاص، بحيث لا يمكن فصل الدّين والذات الإلهية وقدراتها من بداية الخلق إلى الفناء إلا بقدرته سبحانه وتعالى، حيث **"تميزت فلسفة الإسلام في التشريع عندما رُبطت ((المنفعة)) بـ ((الأخلاق)) و((المصلحة)) بـ((بالمقاصد الشرعيّة)) و((سعادة الدنيا)) بـ((النجاة يوم الدّين)) فأغلقت هذه الفلسفة التشريعيّة الإسلاميّة الطريق أمام القانون الوضعي(العلماني) مانعة إمكان تعايشه مع النسق التشريعي الذي يحكم**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلطات الأمة في التقنين بسيادة حاكمية الوضع الإلهي لحدود الشريعة ومبادئها وقواعدها ومقاصدها"(عمارة،٢٠٠٤م،ص:٣٤).

إذن؛ فإنَّ النظام السياسيّ في الدّولة الإسلاميّة يقوم على الخضوع لشريعة الإسلاميّة ممثلة في الأمة الإسلاميّة، وليست ممثلة في الدّولة، وإجماع الأمة هو من يحددها وليست أرادة الدّولة، وهذا يؤدّي إلى ان إرادة الأمة هي من تقيد الدّولة، والخروج على الحاكم يكون بقدر خروج الدّولة عن الشرعيّة، وتقوم الدّولة في توظيف السياسة لخدمة الدّين، وليس توظيف الدّين لخدمة السياسة(حبيب،٢٠٠١م،ص:١٧٣).

العلمانية فهي ملاصقة للبرالية التي تقوم على الحريّة والفرديّة والعقلانية والثورة الدينيّة البروتستانتية، التي تهدف إلى الحريّة الدينيّة والخلاص من صكوك الغفران والكثير من المطالب التي تنبذ كلّ القيود الدينيّة التي وضعتها الكنيسة على المجتمع الغربي والحريّة الاقتصاديّة لخدمة الطبقة الوسطى الجديدة في تلك الفترة(المقادمة،سابق،ص:٣٧).

وكما ان الديمقراطيّة هي انتصار الشعوب الأوربية على الملوك كذلك تزامنت العلمانية في انتصارها على الكنيسة التي كان عامل تراجع فكري وعقائدي وسياسي واجتماعي واقتصادي من خلال نظام الإقطاع في المجتمع الأوروبي(المقادمة،سابق،ص:٣٤).

إنَّ الدّولة العلمانية في هذه الحالة هي التي تجعل من العقلانية الأساس والقوانين الوضعيّة الركيزة الأساسيّة لتسيير أمورها وتحقيق المصالح الدنيوية مع عدم الاعتبارات لما بعد الموت، على العكس من العقلانية الإسلاميّة المرتبطة بالشرع لتحقيق المصالح في الدنيا والآخرة(عمار، سابق،ص:٣٩).

٣- الشورى والديمقراطية:

تعتبر الديمقراطيّة متشابهة بالنظام الإسلاميّ من خلال أساس الحكم القائم على الاختيار، ولكن هناك اختلاف ونقاط تفرق النظام الإسلاميّ عن النظام الديمقراطي وهذه النقاط، هي:

أ- ان المقاييس بين الفضائل والرذائل في النظام الإسلاميّ وضعها الله سبحانه وتعالى وعلى الناس من حاكم ومحكوم إتباعها، أمّا في النظام الديمقراطي فإنَّ الحكومات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي من تحدد هذه الفضائل والرذائل مثل فضيلة الاستعمار والتفرقة العنصرية ورذيلة العدالة مع الشعوب المستعمرة.

ب- ان التشريع في النظام الإسلاميّ مصدرة الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن لبشر ان يغير مما شرع الله، مثل الميراث وغيره من التشريعات التي ورد فيها نص، وأمّا ما لم يرد فيه نص فإنَّ الفكر الإسلاميّ يصدر من الفكر الإسلاميّ، أمّا النظام الديمقراطي فإنه يشرع لناس في جميع نواحي حياتهم من خلال ما تراه مناسبا لهم ولها على أساس المنفعة.

جـ- الحاكم في النظام الإسلاميّ له شروط ولا يكون إلا إذا اجتمعت فيه تلك الشروط، ولكن النظام الديمقراطي لا قيود على من يختاره الشعب، ونظام الحكم في الإسلام ليس وراثيا، أمّا في بعض الأنظمة الديمقراطيّة هناك توريث الحكم(شلبي،سابق،ص:١٤٢).

٤- الحضارة:

وهي نتاج الإنسان على مرّ العصور من فكر ومادة، والمقصود بالفكر هو الثقافة والعلم، أمّا المادة فهي الجانب المحسوس كالمدنيّة، وان كانت المدنيّة متأثرة بالجانب الثقافي فتسمى مدنية خاصة، وعكس ذلك تسمى مدنية عامّة وكلّ ما يخص مجتمع ما وينسجم مع قيمه ومبادئه يسمى ثقافة لذلك المجتمع.

تعتبر البيئة الجغرافية التي يعيش وينشا فيها مجموعة من الناس من أهم المؤثرات على إنشاء حضارة خاصة بهم، لأن الإنسان يتأثر فيما حوله من ظروف وظواهر طبيعية والتي تحفزه على الابتكار والحافز على العمل أو العكس بأن تكون هادمة ومثبطة ومانعة من التجديد(مؤنس،١٩٧٨م،ص:٢٧).

- **الحضارة الإسلاميّة:**

إن أول كلمة نزلت على الرسول هي **"اقرأ"** وهي مفتاح الحضارة الإسلاميّة، لأن القراءه والكتابة مفاتيح الحضارة على العموم وتطوّرها، والكتابة هي الموروث عبر الأجيال المتعاقبة، وهي بداية الطريق للعرب والمسلمين لقراءة ما لديهم وما وفد عليهم، وأصبحت القراءة صانعة لحضارة لم تكن تقرأ وتسمى بلاميه وبها تطوّرت العلوم وتناقلت عبر الأجيال(المبارك، أبو خليل،١٩٩٦م،ص:٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يـذكر الـدكتور عمـاد الـدّين خليـل فـي كتـاب مـدخل إلـى الحضـارة الإسـلاميّة خصائص الحضارة الإسلاميّة على النحو الآتي:

أ. **حضـارة إيمانيـة:** مصـدرها السـماء وتعمـل ضـمن ضـوابط العقيـدة وتعتمـد الـوحي والوجود والوحي هو من يحكم الحياة

ب. **حضـارة الأصـالة والانفتـاح:** تنفـتح الحضـارة الإسـلاميّة علـى الآخـر، ومـن خـلال الحوار توازن بين ما يتلاءم معها وتقبله و ما بين ما يتنافر مع قيمها وترفضه من خلال تلاؤم ما هو جديد مع الوحي والوجود

ج. **حضـارة تـوازن فريـد**: والوسـطية هـي المقيـاس لهـذا التـوازن وعـدم الميـل فـي اتجـاه مـن خـلال موقفهـا العقائـدي وعملهـا كاسـتراتيجيّة، واسـتطاعت ان تجمـع المتناسـقات مثـل" **الـوحي والوجـود، والإيمـان والعقـل، والظـاهر والبـاطن، والحضـور والغيـاب، والمـادة والـروح، والقـدر والاختيـار، والضـرورة والجمـال، والطبيعـة ومـا وراء الطبعـة، والتـراب والحركـة، والمنفعـة والقيمـة، والفرديّـة والجماعيـة، والعـدل والحريّـة، واليقـين والتجريـب، والوحـدة والتنـوع، والإشـباع والتزهـد، والمتعـة والانضـباط، والثبـات والتطـوّر، والـدنيا والآخـرة، والأرض والسماء، والفناء والخلود".**

د. **حضـارة شـمولية:** أي تشـمل كـلّ مـا مـن شـأنة ان يهـم الإنسـان، وتتـدخل فـي جميـع نـواحي الحيـاة والوجـود، وكونـت مـاده تعـالج الجسـد والـروح والوجـدان والحـد فـي وقت واحد دون تقديم أعذار أو هروب أمام أي موجهة

ه. **حضـارة ايجابيـة:** تقـوم الايجابيـة فـي الحضـارة الإسـلاميّة علـى أسـاس ان البنـاء فهـي حضـارة بنائـه تـرى الغـد بصـورة جميلـة مشـرقة ولا وجـود للسـوداوية والظلمـة مكان لديها

و. **حضـارة واقعيـة:** وكثيـر مـن الحضـارات الأخـرى واقعيـة، ولكـن تمتـاز هـذه الواقعيـة بتجاوزاتهـا مـن الأرض إلـى السـماء والخلـود لا الفنـاء، بعكـس المثاليـة التـي تسـعى إلى الخيال والأوهام.

ز. **حضـارة إنسـانيّة عالميـة**: فهـي لا تفـرق بـين إنسـان وإنسـان آخـر علـى حسـابات عرقيـة أو جغرافيـة أو إقليميـة أو لـون أو لغـة، بـل هـي حضـارة عالميـه تفـتح أبوابهـا للجميع دون تمييز أو تحيّز لجهة وهي حضارة منفتحة على الآخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الجانب الثقافي؛ فإنَّ الحضارة الإسلاميّة اعتمدت على أكثر من اتجاه، وهذه الاتجاهات، هي:

١- **اتجاه سياسي فلسفي**: وهو الاتجاه الذي يستخدم في قواعده العقل والبراهين (الاستقرائي والاستنباطي) لإيجاد نسق فكري سياسي أسلامي شامل يعكس القيم والمبادئ الإسلاميّة، حسب ما فهمه الفلاسفة (مجموعة باحثون،سابق،ص:١٦٤).

٢- **اتجاه سياسي فقهي**: وهو الذي يستخدم العقل للخروج بأحكام جزئية من المصادر الشرعيّة والخروج بنتائج تعكس القيم والمبادئ الإسلاميّة بحسب فهم الفقهاء(مجموعة،سابق،ص:١٧٣).

٣- **اتجاه سياسي كلامي**: وهو لمعالجة الشأن السياسيّ من خلال فهم علماء الكلام للقيم والمبادئ الإسلاميّة، من خلال المزج بين الفلسفة والفقه والمعتزلة مثال على هذا الاتجاه(مجموعة،سابق،ص:١٧٨).

٤- **اتجاه سياسي تاريخي ــ اجتماعي**: هو دراسة التاريخ الإنساني والاستدلال على صحة المعلومات من خلال النصوص الدينيّة واجتهاد الفقهاء.(مجموعة،سابق،ص:١٨٢).

٥- **اتجاه سياسي أدبي:** وهو لمعالجة الشأن السياسيّ من خلال الفنون الأدبية وأنواعها(مجموعة،سابق،ص:١٨٨).

وأمّا الجانب المادي، فهو نتاج ما قدمته الحضارة الإسلاميّة على مدى أربعة عشر قرنا من العمران والمدنيّة والزراعة ودور العبادة والتعليم والكثير من المنجزات وتطوّرها على مر هذه الفترة الزمنيّة.

- **الحضارة الغربية :**

يرى بعض المؤرخين ان الحضارة الغربية بدأت في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ولها ثلاث مكونات رئيسة في العالم الغربي، ومكوناتها هي أمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية وأروبا(هنتنجتون،١٩٩٩، ص:٧٦)

والحضارة الغربية هي عبارة عن مزيج من الحضارة اليونانية والرومانية والديانة اليهودية والمسيحية، ولكل من هذه الحضارات طبيعتها وخصائصها، التي تميزها عن غيرها من الحضارات، والحضارة الغربية الحديثة هي امتداد لتلك الحضارات التي ورثت عنهم تراثهم الثقافي والمادي(الندوي،١٩٩٤م،ص:١٤١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمتاز الحضارة الغربية بمجموعة من السمات والخصائص التي أوردها لنا **"صامويل هنتجتن"** في كتاب **"صراع الحضارات"**، وهي: التراث الكلاسيكي، والكاثوليكية والبروتستانتية، واللغات الأوربية، والعلمانية، وحكم القانون، والتعددية الاجتماعيّة والهيأة النيابية، والفرديّة،(هنتجتون، سابق، ص:١١٥-١١٨)

والحضارة الغربية ذات طابع مادي، وهذا الطابع يقوم على أساس ان العالم مادي بطبيعته، وان الموجودات وجدت بأسباب مادية، وقوانين المادة هي التي تطوّره، والمادة وجودها خارج الذهن، وهي ليست منفصلة عن الذهن، ولكن الذهن هو نتاج للمادة(كورنفورث،١٩٧٥م،ص:٣٠)

وجدت المادية في الثورة الصناعية مكانها من خلال البحث العلميّ في الطبيعة لإثبات وجودها على أساس ان كلّ ما في الوجود يقوم على المادة، وزاده من ان العالم هو عبارة عن جزيئات مادية منفصلة، ومن خلال قانون الميكانيكا تتبادل التأثير بينها(كورنفورث،سابق،ص:٤١)

العدالة هي القيمة الرئيسة في فكر الماوردي، لأنه لا يمكن أقامة دوله إسلامية دون ان يكون العدل هو أساس الحكم فيها، وعند وجود العدل يعيش الناس في رخاء ويأمن كلّ واحد منهم على نفسه وماله، والعدل في فكر الماوردي هو الهدف والغاية، بعكس جون رولز الذي يرى من العدالة وسيله لتحقيق قيمه اكبر، وهي الحريّة والمساواة.

المطلب الثاني: التلاقي والافتراق في نظريّة العدالة بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ(الماوردي وجون رولز)

هناك تقارب وافتراق في نظريّة العدالة عند كلٍ من (**الماوردي**) و(**جون رولز**) وتعود هذه الاقترابات والافتراقات إلى العديد من الأسباب الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغيرها، والتي ستتم دراستها من خلال:

أولا": التلاقي والاقتراب في نظريّة العدالة عند (الماوردي) و(جون رولز)

يلتقي ويقترب كلّ من المفكرين الماوردي وجون رولز في كثير من النقاط والمفاهيم التي تهم نظريّة العدالة عند كلّ منهم، وهذه النقاط ستحاول الدِّراسة تسليط الضوء عليها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ـ المدنيّة:

الكمال لله تعالى، ولا يوجد ما هو كامل سواه، أمّا الإنسان فإنه محتاج إلى غيرة من البشر ليستطيع ان يكمل حياته ودنياه، وهذا الطبع أوجده الله سبحانه وتعالى في خلقة، ليقوموا على التكافل فيما بينهم، وتكتمل حياتهم من خلال إتمام النقص، والرجل لا يستطيع العيش دون إمراه، وهذا أحد الأمثلة، ناهيك عن احتياجات البشر لبعضهم البعض، من علم وصناعات توجد عند احدهم ولا توجد عند الأخر، ولكن لا يستغنى عنها عند كلاهما.(الماوردي.سابق،ص:٢٠٩).

لقد خلق الله الإنسان عاجزاً عن إشباع حاجاته بمفردة، وهذه الدنيا هي للعمل، وعلى الإنسان ان يهتم بالدنيا لتكتمل حياته، كما أرادها الله وهي طريقه إلى الآخرة التي هي دار القرار، وعلى الإنسان الّا يتجاوز في طلب حاجاته منها، وقال الله تعالى في هذا للموضع: **(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وإلى رَبِّكَ فَارْغَبْ)** الشرح: ٧،٨) وقال رسول الله **(ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة لدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه)** (الماوردي،سابق،ص:٢١٢).

ويرى الماوردي ان هناك ثلاثة عناصر مهمة يستطيع الإنسان من خلالها ان يكون مدنيا ومتعايشا مع غيرة من البشر، وهي:

أـ **الفرد**: من خلال نفسه المطيعة،

ب- **الروابط الاجتماعيّة** بين الناس من خلال الدّين والنسب والمصاهرة والمودة والبر وهذه الروابط التي تجمع الناس، وان الله فطر الناس على الاجتماع والأنسة بغيره من البشر وليكمل كلّ منهم الأخر.

ج- عنصر **المادة** ووسائل العيش **"المادة الكافية"** أي الاقتصاد.(الماوردي،٢٠١٢م،ص ص:١٥،١٦)

يأتي مفهوم المجتمع **المدني** عند **جون رولز** من خلال البيئة السياسيّة والاجتماعيّة، في عصره، وان البشريّة قادرة على تغيير العالم من خلال العدالة، كإنصاف، والتي تعتبر أنها تركيبة المجتمع الأساسيّة من خلال شمولها لمؤسساتها الاجتماعيّة من دستور، واقتصاد، وتنظيماته الاجتماعيّة وموضوع نظريته، هو العدالة الاجتماعيّة، التي هي التركيبة الأساسيّة للمجتمع(جونسون، سابق، ص:٢٤١،٢٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقـول رولـز" **دعونـا نفتـرض بشـكل أو بـآخر رابطـة قائمـة بـذاتها تتـألف مـن أشـخاص...يتفقـون فيمـا بيـنهم علـى قـوانين معينـة تحكـم ممارسـاتهم وتعمـل علـى تقييـدها.... ولنفتـرض أيضـاً ان تلـك القـوانين تحـدد نظامـا للتعـاون يهـدف إلـى تعزيـز منفعـة مـن يشـتركون فيـه. إذن... فـالمجتمع..يشـهد فـي الأحـوال الاعتياديـة صـراعا، عـلاوة علـى سـعي إلـى ترسـيخ هويـة تتحـدد مـن خلالهـا الاهتمامـات. هنـاك سـعي إلـى تحديـد طبيعـة الاهتمامـات، لأن التعـاون الاجتمـاعي يتـيح للجميـع ان يعيشـوا حيـاة أفضـل، ممـا لـو عـاش كـلّ إنسـان بمعـزل عـن الآخـرين اعتمـادا علـى جهـوده الذاتيـة وهنـاك صـراع اهتمامـات لأن.... كـلّ إنسـان يريـد الحصـول علـى حصـة اكبـر بـدل ان يحصـل علـى القليـل. يصـبح مـن الضـروري ان توجـد مجموعـة مبـادئ للاختيـار بـين مختلـف الـنظم الاجتماعيّـة التـي تفـرض شـكل توزيـع هـذه المكاسـب.... وهـي مبـادئ العدالـة الاجتماعيّـة بالـذات**" ان رولـز يقـرّ بـأن المجتمـع بينـه صـراع وهـذا مـن الطبيعـة البشـريّة، ولكـن مـن خـلال التعـاون فيمـا بيـنهم يجعـل مـن حيـاتهم اسـتقرارا وحيـاة أفضـل ممـا لـو عـاش كـلّ إنسـان لوحـدة أو بعزلة عن غيره من الناس(جونسون.سابق،ص:٢٤٦).

٢- العقد الاجتماعي:

ان مفهـوم الإمامـة عنـد المـاوردي يقـوم علـى عامـل دينـي ودنيـوي، فالإمامـة تحمـي الـدّين وتسـوس الـدنيا، ولا تكـون الإمامـة إلا مـن خـلال عقـد يبـرم بـين المجتمـع الإسـلاميّ مـن جهـة مـن خـلال أهـل الحـل والعقـد، أو مـن ينـوب عـن الأمـة، وبـين مـن يـتمّ اختيـاره للإمامـة علـى ان تكـون ضـمن حـدود الشـريعة الإسـلاميّة، وبمـا جـاء بـه القـرآن الكـريم والسـنّة النبويّـة أو مـا اجمـع عليـه علمـاء المسـلمين، وتكـون الطاعـة للإمـام مـن النـاس علـى ان يسـمعوا ويطيعـوا إلا فيمـا حـرم الله، وعلـى الإمـام إقامـة الحـدود والفـرائض والعـدل بـين الناس(رسلان،سابق،ص:١٨٤).

يـتمّ اختيـار الإمـام وفقـا لضـرورات والظـروف السـائدة فـي تلـك الفتـرة الزمنيّـة، فـإنَّ كانـت فتـرة جهـاد وخطـر يهـدد الدّولـة الإسـلاميّة، فـالأولى ان يختـاروا الإمـام مـن هـو أهـل للحـرب والجهـاد، وان كانـت فتـرة مفاسـد وتشـويه للعقـل والعلـم فـالأولى اختيـار الإمـام مـن أهل العلم(الماوردي،سابق،ص:١٣).

أهـل الحـل والعقـد هـم مـن يبـرم هـذا العقـد بـين الأمـة والأمـام وعلـى هـذا يجـب ان تتوافر في النواب الشروط الآتية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- **العدالـة**: وتكـون جامعـة فـي كـلّ مـا يتعلّـق بحيـاتهم مـن صـدق وأمانـة وغيرهـا مـن عدالتهم مع أنفسهم قبل عدالتهم مع من أولوهم هذه الأمانة

ب- **العلـم**: لكـي يـتمّ اختيـار الإمـام علـى أهـل الحـل والعقـد ان يكونـوا مـن العلمـاء وأصـحاب معرفة ليختاروا الأنسب والأصلح للإمامة.

جـ- **الرأي والحكمة**: ليختاروا الأصلح من بين المتقدمين للإمامة.

ان هـذه الشـروط تخـتص فـي أهـل الحـل والعقـد مـن الأمـة ليـتم اختيـار الأصـلح لإدارة الـبلاد والعبـاد ويكونـوا هـم أهـل المشـورة، وهـم الـرابط بـين الأمـام والأمـة لنقـل احتياجـات الناس للأمام.(الماوردي،سابق،ص:١٤).

ويكـون هـذا العقـد إمّـا مـن خـلال أهـل الحـل والعقـد، وقـد اختلـف العلمـاء فـي عـددهم أو بعهـد مـن الإمـام إلـى مـن يليـه فـي الحكـم ويكـون هـذا فـي حياتـه قبـل مماتـه، وعليـه ان يسـميه ويبايعه الناس على هذا(الماوردي، سابق،ص:١٥).

وهـذا العقـد الاجتمـاعي يحتـاج إلـى أمـن عـام وهـو عنـد المـاوردي، لأنـه مـن الضـرورات، ولأنـه مـن الـنعم المهمـة التـي انعـم الله بهـا علـى الإنسـان، وهـو مـن الحاجـات الضـرورية للجـنس البشـري علـى الإطـلاق، ومـن خلالـه تحـدث الطمأنينـة للـنفس ويصـبح هـدفها التقـدم والنجـاح والإبـداع لتتقـدم ويقـول المـاوردي عـن الأمـن: **فلـيس لخـائف راحـة ولا لحـاذر طمأنينـة، فـالأمن أهنـأ عـيش والعـدل أقـوى جـيش، لأن الخـوف يقـبض النـاس عـن مصـالحهم ويحجـزهم عـن تصـرفهم ويكفهـم عـن أسـباب المـواد التـي بهـا قـوام أودهـم والخـوف قـد ينـوع بـان يكـون تـارة علـى الـنفس وتـارة علـى الأهـل، مـن عمـه الأمـن كمـن استولت عليـه العافيـة، فهـو لا يعـرف قـدر النعمـة بأمنـه حتـى يخـاف كمـا لا يعـرف المعـافى قدر النعمة حتى يصاب"**(بني عيسى،٢٠١٤).

أمّـا نظريّـة **العقـد الاجتمـاعي** عنـد رولـز مختلفـة عمـن سـبقوه فـي هـذه النظريّـة، وهـم تومـاس هـوبز وجـان جـاك روسـو ولـوك وهابرمـاس، واتفـق أنـه عقـد اجتمـاعي افتراضـي بينمـا عنـد الآخـرين فهـو عقـد اجتمـاعي تـاريخي، أي هـو نظريّـة فلسـفية اجتماعيّـة أخلاقيـة وهي الأنصاف بحسب مسماها عند رولز(رولز،سابق،ص:٣٥).

وان الفكرة الرئيسة لمبدأ الإنصاف ودورها في العقد الاجتماعي ان المشاريع التعاونية التبادلية بين مجموعة من الأشخاص وفقا للقانون الذي يقيد حريتهم من أجل المكاسب للجميع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليهم الخضوع للقانون، لأن الانتفاع حق للجميع ولكن مقابل الطاعة التي فرضوها على أنفسهم من خلال العقد الاجتماعي المبرم بينهم(رولز،سابق،ص:٣٧).

يقول رولز" ان واجب العدالة الطبيعيّة هو الأساس الأول لروابطنا السياسيّة بنظام دستوري" أي ان الطاعة ليست هي المشكلة، لأنها طاعة طبيعية تبادلية منصفة مقابل النافع المجانية التي تقوم المؤسسة بتقديمها(رولز،سابق،ص:٤٠).

يعتبر رولز ان شروط التعاون الاجتماعي هي نتيجة للاتفاق بين أطرافة، وأن المواطنين لا يمكن ان يتفقوا على السلطة سواء كانت سلطة دينيه أو غيرها من السلطات الأخلاقية ولا أي قيم مفروضة من القانون الطبيعي، والحل هو الاتفاق فيما بينهم على وضع شروط منصفة للجميع دون السماح لامتيازات لبعضهم على حساب الآخرين من المواطنين، الذين يؤثر عليهم هذا الاتفاق أو العقد(رولز،سابق،ص:١٠٦).

لكن العقد الاجتماعي الذي سيجعلهم تحت ستار الجهالة عند رولز ولا يعرفوا مصيرهم وينصهر فيه الجنس والدين ومكانتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والجسدية والنفسية، فإنَّ هذا العقد سيوصلهم إلى **"الإجماع المتراكب"** والذي من خلاله سيقومون بطلب اكبر قدر من الحريّة ان كان جميع أفراد المجتمع ولدوا أغنياء أو طلب اكبر قدر من المساواة ان ولدوا جميعهم فقراء(دولاكامباني،٢٠٠٣م،ص:١٩٥،١٩٦).

٣- السلطة:

يرى الماوردي ان الطبيعة البشريّة تميل إلى العنف بسبب الحاجات والغرائز التي وضعها الله في نفوس البشر، فلا بد من وجود حكومة تعدل بين الناس أفقيا فتأخذ الحق من القوي وتعطيه إلى الضعيف بالعدل والتوازن بين الأفراد فيما بينهم وبين المجتمع والسلطة الحاكمة من جهة عامودية(رسلان،سابق،ص:١٨٢).

ولكون ان البشر متفاوتون فيما بينهم، وجبت السلطة عليهم وباختيارهم ينصاعون إلى الأوامر والنواهي من صاحبها، الذي انتهى الأمر إلية من خلال اختيار أهل الحل والعقد له، ويقول الماوردي في هذا: **"فوجب التفويض إلى أمر سلطان مسترعى، ينقاد الناس لطاعته، ويتدبرون بسياسته، ليكون بالطاعة قاهرا، وبالسياسة مدبرا، وكان أولى الناس بالعناية ما سيست به الممالك، ودبرت به الرعايا والمصالح، لأنه زمام يقود إلى الحق، ويستقيم به أود الخلق"**(الماوردي،٢٠١٢م،ص:١٢٦،١٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الماوردي ان من يكون أمام للمسلمين يجب ان تتوافر فيه الشروط الآتية:

أ- **العدالة:** وتكون هذه العدالة جامعة لشروطها دون نقصان. وألّا يضر أحدا.

ب- **العلم:** على الأمام ان يكون عالما في أمر دينه، لكي يستطيع ان يجتهد في إحكامه بطريقة شرعية دينيّة.

جـ- سلامة الحواس: على ان يكون سليم البصر والسمع واللسان، لكي يستطيع أدراك ما يدور حوله.

د- سلامة الأعضاء: وان يكون سليم الأعضاء لكي يستطيع الحركة والنهوض.

هـ- الرأي: وهذا الرأي يكون لسياسة الرّعيّة وتدبر أمورهم ومصالحهم بالحكمة وان يحاول جاهدا ان يجعل كلّ من هم حوله من عوام الناس أو الخاصة المقربين إليه ان يطيعوه طاعة محبة وليست طاعة إكراه.

و- الشجاعة: على الأمام ان يكون شجاعا، ليتمكن من حماية المسلمين ويتقدمهم للجهاد دون خوف.

ز- النسب: وهو ان يكون من قريش نسبته إلى حديث الرسول "الأئمة من قريش"وهذا الأمر مختلف فيه بين المذاهب الإسلاميّة، فمنهم من يقول: إنّه من آل البيت، ومنهم من يقول: يحق لأي مسلم ان يكون إماما أو خليفة.(الماوردي،سابق،ص:١٤).

أمّا السلطة عند جون رولز هي المؤسسة الاجتماعيّة التي تقوم بتوزيع الخيرات والوظائف على أفراد المجتمع بشكل عادل ومنصف، وهذه العدالة التي تقوم به المؤسسة عدالة توزيعية وليست عدالة إصلاحية(غريب،سابق،ص:٤٣).

العدالة كمبدأ بحاجة إلى سلطه تثبت وتقوي مبادئها التي هي أساس شرعية الأخلاق وتكوين المجتمع وأنظمته وتامين العدالة من الانحراف إلى مسار آخر، لأنها هي من يحرس الحريّات الأساسيّة وتسعى إلى استقرارها(غريب،سابق،ص:٤٤).

وكما ان السلطة هي سلطة إكراه تطبق على المواطنين من قبل أجهزة الدّولة ولكنها عند رولز وبحسب النظام الدستوري هي سلطة المواطنين المتساويين والأحرار على أنفسهم بسبب أنهم كيان جماعي، لذلك فإنَّ السلطة السياسيّة -وبحسب رأي رولز- هي السلطة التي يفرضها المواطنون بأنفسهم وإرادتهم الحرة ويفرضونها على بعضهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البعض بصفتهم أنهم متساوون وأحرار، وعند ممارسة السلطة السياسيّة وفقا للدستور سواء أكان مكتوباً أم غير مكتوب ومصادق عليه من قبل جميع المواطنين تكون هذه السلطة قد حصلت على الشرعيّة.(رولز،سابق،ص:١٤٥،١٤٦)

وترى الدِّراسة ان هناك تقارب واتفاق إلى حد كبير بين الماوردي وجون رولز فيما سبق، وذلك يعود إلى الطبيعة البشريّة، التي تحتاج إلى هذه الأمور من مدنيه وعقد اجتماعي' وسلطه فيما بينها، وان لكل من هذه المفاهيم دورة لديمومة الكيان الاجتماعي، والسياسيّ، والاقتصادي. بين الناس.

ان اتفاقهم على ان الإنسان مدني بطبعه، يعود إلى ان الإنسان لا يمكن ان يعيش بمعزل عن الآخرين. ولا تكتمل له الحياة إلا من خلال تواجده في مجتمع، ليكمل كلّ منهم الآخر، ولسد النقص عند أيٍّ منهم، من خلال الآخر وهذا يعود إلى الطبيعة البشريّة التي فطر الله الناس عليها.

أمّا اتفاقهما على ضرورة العقد الاجتماعي فتاتي من منطلق ان العقد شريطة المتعاقدين، والذي من خلاله يقف كلّ فرد عند حدوده، التي فرضها على نفسه، من خلال هذا العقد، ويقدم ما عليه من واجبات ويحصل على ما له من حقوق، فالعقد الاجتماعي هو في النهاية الضامن للأفراد، والنظام السياسيّ بعدم التجاوزات وصون الحقوق والواجبات.

وفيما يخص السلطة، فإنَّ تقاربهما واتفاقهما على وجودها إنما جاء لتسيير أمور الدّولة والمجتمع، وفقا لما يرضي الجميع، وتكون بيد سلطة حاكمة صاحبة الأمر والنهي، وإيقاف الكلّ عند حدة، وتمنع أي تجاوزات من الأفراد على بعضهم البعض، وكذلك تجاوزات النظام على الأفراد' فالسلطة هي الملاذ الأول والأخير لأي كيان اجتماعي.

يعود الاختلاف لمصادر السلطة بين كلّ من الماوردي وجون رولز، بحيث ان الأمة هي مصدر السلطات عند الماوردي، وهذا بحسب الشريعة الإسلاميّة، أمّا رولز فإنَّ الشعب هو مصدر السلطات وفقا لنظريّة الليبراليّة مع اتفاقهما على وجودها كاداه ومحرك لنظام السياسيّ، والاجتماعي والاقتصادي، والفكري.

ثانيا": التنافر والابتعاد في نظريّة العدالة عند الماوردي وجون رولز:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك اختلافات بين أفكار الماوردي ورولز، وهذه الاختلافات هي:

١- البيئة والمصادر الفكريّة:

تعتبر المصادر الفكريّة للماوردي مأخوذة في الأساس من القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وكان لدراسته في بداية حياته كبير الأثر على فكره، لكونه درس الحديث والفقه على يد اكبر علماء عصره، كما تعلم الفلسفة والأدب والشعر والنحو وعلم الاجتماع والسياسة وهذا العلم الذي حصل عليه. الماوردي جعل له مكانه عند الحكام والأمراء فيما بعد حتى تقلد منصب قاضٍ وسفير(رسلان،سابق،ص:١١).

لقد فهم الماوردي طبائع الناس من خلال تجربته العلميّة والعمليّة، وخصوصا في القضاء والسياسة التي جعلت منه عالما بأحوال الناس جميعا، سواء أكان حاكما أم محكوماً، وهذا الكم من المعرفة جعله دائما محل ثقة ومعالجا للكثير من القضايا سواء كانت سياسيّة أو اجتماعيّة(رسلان،سابق،ص:١٤).

تميّزت الفترة الزمنيّة التي عاشها الماوردي بالاضطرابات والفوضى والحروب الداخلية والخارجية والفتن مثل فتن السنّه والشيعة، والمسلمين والمسيحيين، والاشاعرة والحنابلة، والديلم والأتراك، والكثير من المصاعب التي كان لها الأثر على عقل الماوردي وإنتاجه الفكري(رسلان،سابق،ص:٢٤).

إذن؛ فإنَّ المصادر الفكريّة عند الماوردي هي مصادر عقائدية أساسها الشريعة الإسلاميّة التي نشأ وترعرع عليها، من خلال ما تعلمه من قرآن كريم وسنّة نبويّة وفقهيّة وغيرها من الأخلاق والقيم الإسلاميّة

تعتبر الظروف البيئية والاجتماعيّة التي عاشها رولز صاحبة الدور الأكبر في إنتاجه الفكري، ولكون والده كان محاميا وأمه من المدافعين عن حقوق المرأة وتعرفه على مفاهيم لازمته طيلة حياته ،مثل نبذ العنصرية والمساواة بين أفراد المجتمع من بيض وسود وغيرهم، ومشاركته في الحرب العالمية الثانية، وتنقله بين قارات العالم كمحارب، ومشاهدته لسفك الدماء عند جميع الإطراف المتحاربة، جعلته من منتقدي المذهب النفعي الذي شاهد بعينه الطريقة لتحصيل المكاسب من خلال الحرب(غريب،سابق،ص:١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيدلوجيا الليبراليّة هي من عزز مصادره الفكريّة من خلال أفكار متأصلة عند الليبراليّين كالعقد الاجتماعي والطبيعة البشريّة الموجودة في أفكار هوبز وجون لوك وروسو وغيرهم من مفكري الليبراليّة، الذين كان لفكرهم دور كبير فيما قدمه رولز للعالم، وخصوصا في نظريته عن العدالة(غريب،سابق،ص:٢٠).

٢- الاقتصاد الإسلاميّ والاقتصاد الليبراليّ

تكمن أهميّة الاقتصاد في الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ لكون الاقتصاد هو المحرك الأساس لأي نظام سياسي، ومن خلاله نستطيع تحديد مكانة الدّولة وقوّتها والوضع الاجتماعي في داخلها.

يرى الماوردي ان الإنسان بحاجة دائما إلى المال، ولا يمكن له ان يعيش دون مال وفقدانها يؤدّي عدم الاستقرار والفساد الذي هو عند الظلم، وبوفرة المال يكون الإصلاح وهو العدل، وكذلك فإنَّ مصادر الكسب والمال متعددة، وعلى الناس ان يتوسعوا في طلب المال(الماوردي،سابق،ص:٣٣٣،٣٣٤)

لقد جعل الله العقل البشري هو الذي يقود صاحبة إلى مصادر الكسب من مال وغيره، وكذلك لكيلا ينفرد كلّ شخص بما لدية ويحتكره لنفسه جعل الدّين وتشريعاته هي القاضي الذي يحكم بهذا المال وطرق التصرف به لتكتمل السعادة عند الإنسان وجعل الوصول إلى منافعهم وأرزاقهم من خلال.

المادة: وتكون هذه المادة إمّا من خلال الحيوانات المتناسلة أو الزراعة.

الكسب: وهو من خلال الأفعال التي يقوم بها الإنسان ليصل من خلالها إلى المادة، وتكون إمّا من صناعة أو تجاره.

فأصبحت أسباب المادة عند الماوردي لا تتجاوز الأربعة أوجه الآتية، تجارة، زراعة، صناعة، أمارة. (الماوردي،سابق،ص:٣٣٥،٣٣٦).

أمّا **الزراعة** فهي المادة لأهل المدن والقرى، وهي من أكثر المصادر نفعا للإنسان ويستشهد الماوردي على هذا النوع من مصادر الكسب بالآية القرآنية التي يقول الله تعالى فيها: **(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كلّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** وعن الرسول أنّه قال**(خير المال عين ساهرة، لعين نائمة)** أمّا الإنتاج الحيواني فهو لأهل الصحراء ومن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسكنوها ومن لا مقرّ له أو مسكن دائم، ولأن الحيوانات تنتقل بنفسها وتأكل مما تنبت الأرض(الماوردي،سابق،ص:٣٣٦،٣٣٧).

أمّا التجاره فهي التي من خلالها تتقلب الأموال من مكان إلى مكان، من خلال السفر والتبادل التجاري بين البلدان ولكن الخطر يدور دائما حوله، وما يتعلّق في الصناعة عند الماوردي فهي صناعة فكر، وصناعة عمل، وثالثة مشترطة بين الفكر والعمل، ويقول: ان صناعة الفكر هي أعلى وأشرف الصناعات واقلها صناعة العمل لأن العمل لا يمكن ان يكون إلا بعد ما ينتجه الفكر(الماوردي،سابق،ص:٣٣٩،٣٤٠).

هذه هي الملكية الخاصة عند الماوردي التي من خلالها يستطيع الناس الكسب والعيش بها، والتي أحلها الله لهم، أمّا فيما يتعلّق في الملكية العامّة؛ فإنَّ الدّولة هي من تقوم بتقسيم الخيرات على أفراد المجتمع وفقا لشريعة الإسلاميّة ومصادرها، كما ذكرناه من صدقات وزكاه وخراج وفيء وغنائم وجزية.

وعند جون رولز؛ فإنَّ النظام الاقتصادي ليس وسيلة مؤسساتيّة فقط، ولكنه لإرضاء الرغبات والحاجات الحالية، ولأنه أحد الوسائل التي تتطلع إلى المستقبل وتنظر إلى الغد وكيفيّة التعامل معه، ويحدد نوعية الأشخاص في المستقبل، من خلال حاجاتهم ورغباتهم.(ص:٣٢٦).

يقول جون رولز: إن العدالة كإنصاف ليست لخدمة الرغبات والحاجات والمصالح وغيرها من المتطلبات الإنسانيّة، ولكنها نقطة بداية "ارخميديسية" لتصحح وتقوم النظام الاجتماعي من غير أي اعتبارات أخرى غير العدالة، التي تجعل المجتمع مستقراً بعد مدة من الزمن.(ص:٣٢٩).

القطاع العام هو محل اهتمام الاقتصاد السياسيّ والمؤسسات التي تنظم النشاط الاقتصادي من ضرائب وأسواق وملكية، أمّا النظام الاقتصادي فهو الذي ينظم الإنتاج ووسائله، وهو الذي يقدر الموارد التي تخص السلع العامّة من أجل تأمينها وادخارها، وفقا لمبدأ العدالة، وهناك جانبان للقطاع العام عند رولز وهما ولكية وسائل الإنتاج والحصة من إجمالي الموارد الاجتماعيّة المخصصة للسلع العامّة(ص:٣٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يـرى رولـز ان هنـاك خمـس أنظمـة رئيسـة مكتملـة بمؤسسـاتها ولكـن (٣،٢،١) لا يحملـن فـي طيـاتهن مـا يبشـر بتحقيـق نظريتـه فـي أروقـتهن، ويعـود ذلـك إلـى مـا بـداخل كـلّ نظام، مما يخالف نظريّة العدالة عند رولز، وهذه الأنظمة هي:

١- **الرأسـمالية:** نظـام الحريّـة الطبيعيّـة **"دعـه يعمـل"** وهـذا النظـام عنـده المسـاواة نظريـه فقـط، ولكنـه -علـى أرض الواقـع- يـرفض المسـاواة فـي الفـرص والقيمـة المنصـفة للحريـات وهدفها الكفاءة الاقتصاديّة التي لا يوقفها إلى حد ادنى اجتماعياً.

٢- **رأسـمالية دولـة الرعايـة**: وهـي التـي تهـتم فـي الفـرص مـع رفضـها للقيمـة المنصـفة للحريـات، ولا تعتـرف فـي مبـدأ المشـاركة فـي حـالات اللامسـاواة الاجتماعيّـة والاقتصاديّة.

٣- **اشـتراكية الدّولـة مـع اقتصـاد المركـز**: التـي يـتحكم بهـا ويشـرف عليهـا نظـام الحـزب الواحد، وهي تخالف الحريّات والحقوق المتساوية.

٤- **ديمقراطيّة ملكية الملكية:**

٥- **الاشتراكية الليبراليّة(الديمقراطيّة):**

يـرى رولـز ان المبـدأين (٤،٥) يحمـلان مواصـفات يسـتطيع مـن خلالهمـا تطبيـق مبـدأ العدالة لما يحتويانه من نظام يتلاءم ونظريته(رولز، سابق، ص ص:٢٩٦،٢٩٧).

يقـول رولـز ان حـق الملكيـة تعـد مـن الحقـوق الأساسـيّة، وهنـاك نوعـان مـن الملكيـة بحسـب رأيه :

١-حـق الملكيـة الخاصـة للمصـادر الطبيعيّـة ووسـائل الإنتـاج، وهـذا الحـق يشـمل الاكتسـاب ويورث أي تملك خاص لما هو عام.

٢- حـق الملكيـة العامّـة لوسـائل الإنتـاج والمصـادر الطبيعيّـة وتكـون ملكيتهـا عامّـة ومتساوية.(رولز،سابق،ص:٢٥٩)

تـرى الدِّراسـة وبنـاءً علـى مـا سـبق ان هنـاك اختلافـات بـين فكـر كـلّ مـن المـاوردي ورولـز، وتبـدأ هـذه الاختلافـات مـن البيئـة التـي عاشـها كـلّ منهم ودورهـا فـي إنتاجـه الفكـري لكون ان الإنسان ابن بيئته وأفكاره مبنية على واقعه المعاش

تعتبـر المصـادر الفكريّـة لأي مفكـر هـي نتـاج مـا تـأثر بـه مـن خـلال ظروفـه المعاشـية أو تعليمـة أو وظيفتـه كإنسـان وهـذه المـؤثرات لهـا مـن المخرجـات الفكريّـة مـا يـراه المفكـر ان فيهـا صـلاحاً لـه ولمـن حولـه، فلقـد تـأثر كـلّ مـن المـاوردي ورولـز بمصـادر فكريـة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مختلفة عن الأخر، حيث ان مصادر العقيدة الإسلاميّة من قرآن كريم وسنّة نبويّة ودور الفقهاء والمستجدات الفكريّة في عصر الماوردي كان لها الدور الأكبر في نتاجه الفكري.

أمّا رولز؛ فإنَّ الآيدلوجيا الليبراليّة وأفكار من سبقوه لترسيخ هذه الآيدلوجيا ومشاركته في الحرب العالمية الثانية وما شاهدة من قتل ودمار، هي التي أنتجت أفكاره لينقلها إلى العالم من خلال مؤلفاته.

ويختلف المفكران في النظام الاقتصادي؛ لأن كلاهما يرى النظام الاقتصادي وفقا لمرجعيته العقائدية أو الآيدولوجيّة، وهذا لا يتفق عليه الماوردي ورولز، لأنهما نقيضان، وكلّ نظام اقتصادي يحاول ان يثبت وجودة على الساحة الدّولية من خلال البحث عن خلل عند الآخر.

العدالة هي القيمة الرئيسة في فكر الماوردي، لأنه لا يمكن أقامة دوله إسلامية دون ان يكون العدل هو أساس الحكم فيها، وعند وجود العدل يعيش الناس في رخاء ويأمن كلّ واحد منهم على نفسه، وماله، والعدل في فكر الماوردي هو الهدف، والغاية، بعكس جون رولز الذي يرى من العدالة وسيله لتحقيق قيمه أكبر، وهي الحريّة، والمساواة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

بما ان مفهوم العدالة ذو قيمه عند جميع البشر، ويهتم به كلّ المفكرين، بغض النظر عن مرجعتيهم العقائدية أو الآيدولوجية؛ فإنه شغل بالهم، فحاول كلّ مفكر تفسير هذا المفهوم وفقا لمرجعتيه الفكريّة، فمنهم من جعلها عدالة إصلاحية ومنهم من دعا إلى المساواة.

تعتبر العدالة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ متشعبة ومتنوعة، فمنهم من رأى العدالة اللاإهية هي الأساس وخاضوا في هذا ومنهم من تعمق في عدالة الشخص مع نفسه، وكيف يكون الانسان عادلا في نفسه قبل ان يكون عادلا مع الآخرين، وهناك من خاض في مفهوم العدالة على انها عدالة الأفراد بين بعضهم البعض لكون المجتمع الإسلاميّ مجتمع متكامل لا يمكن فصله عن بعضة لبعض، وهناك من جعل العدالة هي عمليّة تبادلية بين السلطة والمجتمع، ولكل منهم حقوق وواجبات عليه التقيد بتنفيذها ضمن ضوابط عادلة ترضي الجميع، وكلّ يحصل على حاجته. والعدالة في الاسلام مصدرها الله من خلال المصادر الأصيلة من قرآن وسنّة لتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة.

أمّا الفكر السياسيّ الليبراليّ يرى ان مفهوم العدالة يكون بين السلطة والافراد، لأن الفرد هو الغاية، وعلاقة الأفراد فيما بينها يحكمها القانون العادل الوضعي، ومفهوم العدالة هو وسيلة لتحقيق قيمه اكبر، وهي الحريّة والمساواة، لأن الحريّة هي أعلا القيم في الفكر السياسيّ الليبراليّ.

ويعتبر الماوردي العدالة هي النظام الشامل لنظام السياسيّ الإسلاميّ من حاكم ومحكوم والسلطات، وعليهم جميعا ان يطبقوا مفهوم العدالة مع أنفسهم فيما بينهم أفقياً كأفراد، وعاموديا كسلطة ومحكوم، وكذلك العدالة مع غير المسلمين والأعداء في الحرب والسلم.

ويعتبر رولز العدالة هي المساواة، وعلى النظام السياسيّ ان يوفر اكبر قدر من السعادة إلى اقل الناس حظا، وذلك من خلال توزيع الثروات بطريقه عادلة ليتقارب فيها الأفراد فيما بينهم، من خلال التوزيع العادل ليتساوى اكبر قدر من الناس فيما بينهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتائج الدِّراسة

إن أبرز ما توصلت إليه الدِّراسة من نتائج، هو:

١. توصلت الدِّراسة إلى نتيجة ان العلاقة بين المفكرين في كلّ من الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ وتحقيق مؤشرات مفهوم العدالة علاقة ارتباط وثيقة، هم من لهم الإسهام الأكبر في إيجاد هذه المؤشرات من خلال تأثير أفكارهم على النظام السياسيّ.
٢. أسهم الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ في تبلور ووضوح مفهوم العدالة بصورتها المجردة والتطبيقيّة.
٣. إن مفهوم العدالة كقيمة؛ قد ركز عليها المفكرون السياسيون من خلال تطبيقه إجرائيا، وساهم المفكرون في هذا من خلال ما أوردوه عن أهميّة العدالة للبشريّة.
٤. إن الجمود الفكري في الفكر السياسيّ الليبراليّ يقلل من أثر مفهوم العدالة ويقلل من فوائده.
٥. تبيّن من خلال الدِّراسة ان الجمود العقائدي في الفكر السياسيّ الليبراليّ، لا يؤثر في مفهوم العدالة لا إيجابا ولا سلبا، بسبب العلمانية التي تفصل الدّين عن الدّولة من جميع النواحي، وأهمها الفكريّة، وأي فكرة مصدرها عقائدي تجعل من الحريّة الإرادية أساساً في الفكر السياسيّ الليبراليّ غير مقبولة.
٦. يسهم النجاح في دفع هذا المفهوم للتطبيق العملي في إكساب الأنظمة الحاكمة الشرعيّة والرضا من مواطنيها.
٧. تبيّن من خلال الدِّراسة ان الفكر السياسيّ الإسلاميّ لا يمكن له ان يفصل بين العقيدة والأفكار البشريّة، بل على العكس يسعى الجميع إلى أسلمة الأفكار وأخذ ما يتوافق مع العقيدة، وترك ما يتنافى معها، ليكون الفكر الإسلاميّ هو الأساس باعتمادهم على مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ غير الأصيلة.
٨. ان القيمة الرئيسة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ بعد التوحيد هي العدالة، التي تنبثق من بعدها أيّة قيمة للفكر السياسيّ الإسلاميّ؛ لأن المفكر وبحسب القيم الإسلاميّة عليه ان يكون عادلا مع نفسه قبل ان يكون عادلا مع الآخرين.
٩. والعدالة في الفكر السياسيّ الليبراليّ هي وسيله لتحقيق قيمه اكبر، وهي الحريّة والمساواة التي تعتبر من أهم ما يسعى إليه الفكر السياسيّ الليبراليّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠. هناك تقارب بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ من خلال بعض المفاهيم التي اتفق عليها كعرف بشري، وليس خاص بثقافة أو حضارة مجتمع بعينة.

١١. نتجت الدِّراسة إلى ان الافتراق بين الفكر السياسيّ الإسلاميّ والفكر السياسيّ الليبراليّ تعود إلى خصوصية البيئة ومصادر الفكر، وان كلّ منهم أي "المفكرين" ملتزم في مصادرة الفكريّة، وذلك خوفا من الاتهام، إذا اخذ من فكر يتناقض ومبادئ بيئته.

١٢. كما ان التقارب بين الماوردي ورولز ما هو إلى اقتراب في بعض المفاهيم العامّة والموجودة عند الجميع.

١٣. أمّا الافتراق بينهم فيعود لأسباب عقائدية وبيئية وزمنية ومكانية، فكل من هذه الأسباب له الدور في عدم الاقتراب أو الاتفاق بين كلّ من الماوردي وجون رولز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

آبادي، مجد الدّين الفيروز(٢٠٠٨م)**."القاموس المحيط"** ت: انس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة.

الابشيهي، شهاب الدّين **"المستطرف في كلّ فن مستظرف"** ط جديدة، دار مكتبة الحياة، بيروت، المجلد الأول.

ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم(١٩٨٧م) **"الكامل في التاريخ"** راجعة: محمد يوسف الدقاق، المجلد الرابع، دار الكتب العلميّة، بيروت ط١.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(٢٠٠٧م) **" مقدمة ابن خلدون** "مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، اعتنى به هيثم جمعة هلال.

ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل(٢٠١٠م) **"البداية والنهاية"**ط٢،ج٦،ت: مجموعة من العلماء، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق.

ابو الفتوح، محمد جلال و عبد المعطي، علي **"الفكر السياسيّ في الإسلام "**

أبو زهره، الأمام محمد(١٩٨٧م) **"تاريخ المذاهب الإسلاميّة** "دار الحديث،ج١، لندن، قبرص.

أبو سيد احمد، فتحي السيد احمد(٢٠٠٦م) **"الإسلام والعدالة الاجتماعيّة "** مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

احمد، يوسف(٢٠١٢) **"الإسلام في الحبشة** "مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

ارسلان، الأمير شكيب(٢٠٠١م) **"تاريخ الدّولة العثمانية"** دار ابن كثير،ط١،، دمشق.

ارسلان، شكيب (١٩٨٣م) **"خلاصة تاريخ الأندلس** "دار مكتبة الحياة، بيروت.

الاصبحي، احمد محمد(٢٠٠٠م) **" تطوّر الفكر السياسيّ**"ج٣،ط١، دار البشير، عمان.

ألحجي، عبد الرحمن علي(١٩٧٦م) **"التاريخ الأندلسي"** دار القلم، دمشق، بيروت، الرياض، الكويت،ط١،.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمـام، أمـام عبـدالفتاح،(١٩٨٥م) " **تومـاس هـوبز فيلسـوف العقلانيـة** " دار الثقافـة لنشـر والتوزيع

اوزتونـا، يلمـاز(١٩٨٨م) ،"**تـاريخ الدّولـة العثمانيـة**" م١،ترجمـة: عـدنان محمـود سليمان، تدقيق: محمود الأنصاري مؤسسة فيصل لتمويل تركيا، استنبول.

بـاول،جون (١٩٨٥) "**الفكـر السياسـيّ الغربـي** " ت: محمـد رشـاد خمـيس، الهيئـة المصرية العامّة للكتاب.

بروتـون،جيري(٢٠١٤م) "**عصـر النهضـة**" ت: ابـراهيم البيلـي محـروس، ط١،مؤسسـة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،

بروكلمان،كـارل(١٩٧٧) "**تـاريخ الشـعوب الإسـلاميّة**" متـرجم، دار العلـم للملايين،ط٧،بيروت.

بـوز، ديفيـد(٢٠٠٨م) "**الفرديّـة والمجتمـع المـدني**" ت:صـلاح عبـدالحق، ط١، ريـاض الريس للكتب والنشر،.

بـولان، ريمـون(١٩٩٣م) "**الحريّـة فـي عصـرنا**" ت: عـادل العـوا، دار طلاـس للدراسات والنشر،دمشق،.

جبـرون، امجـد وآخـرون(٢٠١٤) "**مـا العدالـة** "المركـز العربـي للأبحـاث ودراسـة السياسات، بيروت، ط ١.

جونسـتون، ديفيـد(٢٠١٢م) " **مختصـر تـاريخ العدالـة**" ت: مصـطفى ناصـر، عـالم المعرفة، الكويت.

حسـن، إبـراهيم حسـن(١٩٩٦م) "**تـاريخ الإسـلام السياسـيّ والـديني والثقـافي والاجتمـاعي**" ج٢،ط١٤، دار الجليـل، بيـروت، مكتبـة النهضـة المصـرية، القاهرة.

حسـن،إبراهيم حسـن(١٩٨٠م) "**تـاريخ الإسـلام السياسـيّ والـديني والثقـافي والاجتماعي**" مكتبة النهضة المصرية، ج٢،ط٩،، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحميدي، خالد(١٩٩٤م) " **نشوء الفكر السياسيّ الإسلاميّ**" دار الفكر اللبناني، بيروت.

الحميدي، عبدالعزيز بن عبدالله، (٢٠٠٥م)."**الخلفاء الراشدون مواقف وعبر**" دار الدعوة، الإسكندرية

حنفي، د.حسن(١٩٨٢م) "**في الفكر الغربي المعاصر**" ط١،دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.

خضر، خضر(٢٠٠٨م) "**مفاهيم أساسيّة في علم السياسة** "المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان،ط٢.

الخضري بك، محمد(٢٠٠٣م) "**الدّولة العباسية**" مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١،القاهرة.

الخضري، محمد(١٩٨٦م) ،"**الدّولة الأموية**" دار القلم،ط١، بيروت.

خليل، عماد الدّين(٢٠٠٥م) "**مدخل إلى الحضارة الإسلاميّة**"ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربيّة للعلوم، بيروت.

د:الفهداوي،خالد(٢٠٠٣م) "**الفقه السياسيّ الإسلاميّ**" الأوائل لنشر والتوزيع وخدمات الطباعة، دمشق،ط١.

الدريني، محمد فتحي(١٩٨٢م) "**خصائص التشريع الإسلاميّ في السياسة والحكم**" مؤسسة الرسالة، بيروت،

دغيم، سميح(١٩٩٢م) "**فلسفة القدر في فكر المعتزلة**" دار الفكر اللبنانية، بيروت، ط١.

الدوري، عبدالعزيز(١٩٨٦م) "**التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهويّة والوعي**" مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط٣، بيروت.

دولاكامباني، كريستيان(٢٠٠٣م) "**الفلسفة السياسيّة اليوم**" ت:نبيل سعد، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديورانت، ولوايريل(١٩٨٨م) "**قصة الحضارة** "ترجمة: فؤاد اندراوس،ج٤،م١٠،دار الجيل، بيروت.

ديوى، جون(١٩٦٣م) "**الطبيعة البشريّة والسلوك الإنساني** "ت: محمد لبيب النجيحى، مؤسسة الخانجي، القاهرة،

ديوى، جون(٢٠١٣م) "**الفرديّة قديما وحديثا**" الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ت: خيري حماد، القاهره.

راضي، عادل صابر "**مجلة الفلسفة**" العدد ١٠،

ربيع، حامد(٢٠٠٧م) "**مدخل في دراسة التراث السياسيّ الإسلاميّ**" مكتبة الشروق الدّولية،القاهرة،ط١،

ربيع، محمد محمود وآخرون(١٩٩٤م) "**موسوعة العلوم السياسيّة**: جامعة الكويت، الكويت.

الرشدان، محمود(١٩٩٧م) ،"**حول النظام المعرفي في القرآن الكريم**" اسلامية المعرفة، العدد العاشر،

روسو، جان جاك(١٩٩٥م) "**العقد الاجتماعي** "ت:عادل زعيتر،ط٢،مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت.

رولز، جون(٢٠٠٧م) "**قانون الشعوب وعودة إلى فكرة العقل العام**" ت: محمد خليل، ط١، المجلس الأعلى لثقافة- المشروع القومي لترجمة، القاهرة.

رولز،جون(٢٠٠٩م) "**العدالة كإنصاف** :أعادة صياغة "ت: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربيّة للترجمة،ط١،بيروت.

رولز، جون(٢٠١١م) "**نظريّة في العدالة**" ت:د.ليلى الطويل، الهيئة العامّة السورية للكتاب، دمشق.

الريسوني، احمد، (٢٠٠٣) (٢٠٠٢) "**الحريّة في الإسلام أصالتها وأصولها**" إسلامية المعرفة، العددان ٣١-٣١-م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زيدان،عبد الكريم(٢٠٠٥م) **"المدخل لدراسة الشريعة الإسلاميّة"** ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت.

الزيدي، مفيد(٢٠٠٣) **"موسوعة التاريخ الإسلاميّ العصر المملوكي"** دار أسامة لنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

الزيدي، مفيد(٢٠٠٣م) **"موسوعة التاريخ الإسلاميّ عصر العثماني"** دار أسامة لنشر والتوزيع، عمان.

سابق، السيد(د. ت) **"العقائد الإسلاميّة"** دار الكتاب العربي، بيروت.

ساندل، مايكل(٢٠٠٩م) **"الليبراليّة وحدود العدالة**: محمد هناد،ط ١، المنظمة العربيّة للترجمة،بيروت،

السبحاني، العلامة جعفر(٢٠١٠م) **" مفاهيم القرآن"** مؤسسة التاريخ العربي،ج١٠، ط١،بيروت،

سترومبرج، رونالد(١٩٩٤م) **"تاريخ الفكر الأوروبي الحديث** ١٦٠١-١٩٧٧"ت: احمد الشيباني،، ط٣،، دار القارئ العربي، القاهرة، جدة.

سكنر،كوينتن(٢٠١٢م) **"أسس الفكر السياسيّ الحديث عصر الإصلاح الديني"**ت:د. حيدر حاج اسماعيل، ج٢،المنظمة العربيّة لترجمة، بيروت،

سميران، محمد، وآخرون(٢٠١٠م) **"النظم الإسلاميّة** "جامعة آل البيت،ط٣.

شلبي، احمد(١٩٩٢م) **"موسوعة الحضارة الإسلاميّة"** مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ج٣،القاهرة.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد(١٩٩٣م) **"الملل والنحل"** تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور،ج١،ط٣، دار المعارف، بيروت.

الشوكاني، **محمد بن علي"** ارشاد الفحول"ط١،دار الفكر، بيروت.

الصلابي،عوض محمد(٢٠٠١م) **"الدّولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط"** دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، ط١،، بورسعيد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضامن، منذر (٢٠٠٧م) **"اساسيات البحث العلميّ"**ط١، دار المسيطر، عمان.

الطعان،عبد الرضا حسين وآخرون(٢٠١٥م) **"موسوعة الفكر السياسيّ عبر العصور"** ط١، ابن النديم لنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافيّة، بيروت،

طقوش، محمد سهيل(٢٠٠٩م) **"تاريخ الدّولة العباسية"** ط٧، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت،

ظاهر،احمد جمال(١٩٨٧م) **"دراسات في الفلسفة السياسيّة"** دار ومكتبة الكندي لنشر والتوزيع.

عارف، نصر محمد(٢٠٠٢) **" ابمستولوجيا السياسة المقارنة"**مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

عبد الرازق، علي **"الإجماع في الشريعة الإسلاميّة"** دار الفكر العربي.

العرب، محمد ممدوح(١٩٩٢م) **"الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلاميّ والليبراليّ والماركسي"** الهيئة المصرية لصناعة الكتب.

العروي، عبدالله(١٩٩٨م) **" مفهوم الحريّة"** ط٧، المركز الثقافي العربي، بيروت.

العقاد، عباس محمود(١٩٩٨م) **"عبقرية عمر"** دار نهضة مصر لطباعة والنشر، القاهرة،

العقاد، عباس محمود(د. ت) **"عبقرية الصديق"** المكتبة العصرية، بيروت

العكش، محمداحمد(٢٠١٤م) **"الدّولة المدنيّة في الفكر السياسيّ المعاصر"** أطروحة دكتوراه في جامعة العلوم الإسلاميّة، غير منشور.

عناية، غازي(٢٠٠٨) **"منهجيّة إعداد البحث العلميّ بكالوريوس ماجستير دكتوراه** "دار المناهج، الاردن

العوا،محمد سليم(٢٠٠٦م) **"في النظام السياسيّ للدولة الإسلاميّة"** دار الشروق، ط٢، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغرايبة، ارحيل(٢٠٠٢م) "**مسألة الحريّة في النظام الإسلاميّ السياسيّ**" اسلامية المعرفة، العدد٣١،

غريب،تحسين حمه(٢٠٠٩م) "**فيلسوف العدالة جون راولز نظريته في العدالة** "د.ن

فتاح، عرفإن عبدالحميد(٢٠٠٣م) (٢٠٠٢م) " **الحريّة في العقل الكلامي والفلسفي الإسلاميّ**" إسلامية المعرفة، العددان ٣١-٣١.

فضل الله، مهدي(١٩٩٦م)."**فلسفة ديكارت ومنهجه**"ط:٣، دار الطليعة، بيروت.

فهمي، مصطفى أبو زيد(١٩٩٧م) "**النظريّة العامّة لدولة**" دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ط٥،

فؤاد، عبد الفتاح احمد(٢٠٠٣م) "**الفرق الإسلاميّة وأصولها الإيمانية**" دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط١.ج٢،، الإسكندرية.

القاضي، احمد عرفات(١٩٩٣م) "**الفكر السياسيّ عند الباطنية**" الهيئة المصرية العامّة للكتب، القاهرة،

قطب،سيد(١٩٩٣م) "**العدالة الاجتماعيّة في الإسلام**" دار الشروق، القاهرة.

كاشف، سيدة إسماعيل، وآخرون(١٩٩٣م) "**تاريخ مصر الإسلاميّ**" الهيئة المصرية العامّة للكتب، القاهرة.

كامل، عبد العزيز بن مصطفى(د.ت) " **معركة الثوابت بين الإسلام والليبراليّة** "د.ن.

كامل، مجدي(٢٠١٥م) "**العقلانية**" دار الكتاب العربي،ط١، دمشق، القاهرة.

كانط، عمانوئيل "**نقد العقل المحض** "موسى وهبه، مركز الإنماء القومي، بيروت.

الكتاني، محمد(٢٠٠٣م) "**الأكاديميّة**" العدد ٢٠،،

كنت، أمانويل(٢٠٠٥م) "**نقد ملكة الحكم** "ت: غانم هنا،ط :١، المنظمة العربيّة لترجمة، بيروت،

كنت، أمانويل(٢٠٠٨م) "**نقد العقل العملي**" ت:غانم هنا،ط٣،المنظمة العربيّة لترجمة، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الماوردي، أبي الحسن(١٩٨٨م) " **نصيحة الملوك**" مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،

الماوردي، أبي الحسن(١٩٩١م) " **قوانين الوزارة**" ط٣، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،

الماوردي، أبي الحسن(٢٠٠٥م) " **أدب الدنيا والدين**" ط٤، دار ابن كثير، دمشق،

الماوردي، أبي الحسن(٢٠١٤م) **الأحكام السلطانية والولايات الدينيّة**" وزارة الثقافة، عمان، ت: سمير مصطفى رباب،

مجاهد، حورية توفيق(١٩٩٢م) "**الفكر السياسيّ من افلاطون إلى محمد عبده**" ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

مجموعة باحثين "**تطوّر الفكر السياسيّ**" (١٩٩٠م) ط٢،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا.

محفوظ، مهدي(١٩٩٤م) "**اتجاهات الفكر السياسيّ في العصر الحديث**" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢.

مكتبي، محمد نذير(١٩٩٨م) "**صفحات رائدة في مسيرة العدالة**" البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط١.

مكي، أبو زيد بن محمد(٢٠٠٨م) "**ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفرديّة والجماعية**" مركز التأصيل لدراسات والبحوث، جده.

مل، جونستيوارت(١٩٩٦م) "**أسس الليبراليّة السياسيّة**" ت:أمام عبد الفتاح أمام، مشيل متياس، مكتبة مدبولي، القاهرة.

منصور، اشرف(٢٠٠٨م) "**الليبراليّة الجديدة جذورها الفكريّة وأبعادها الاقتصاديّة**" الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة.

مهنا، محمد نصر(١٩٩٩م) "**في تاريخ الأفكار السياسيّة وتنظير السلطة**" المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المـــودودي، أبـــو الأعلـــى(١٩٨٧م) **"مفـــاهيم إســـلامية حـــول الـــدّين والدّولـــة"** الـــدار السعودية، جدة.

النـاطور، شـحاذه وآخـرون(١٩٩٠م) **"الخلافـة الإسـلاميّة حتـى القـرن الرابـع الهجـري"** دار الثقافة، دار الأمل،، ط١،الأردن.

النجـار، عبدالمجيـد(٢٠٠٢م) (٢٠٠٣م) **"حريّـة التفكيـر والاعتقـاد فـي المجتمـع المسـلم: الأبعاد والحدود "**إسلامية المعرفة، العددان ٣١-٣١.

نصـــر، محمـــد عبـــد المعـــز(١٩٨١م) **"فـــي النظريّـــأت والـــنظم السياســـيّة"** دار النهضـــة العربيّة، بيروت.

الهزايمة، محمد(٢٠٠٥م) **"الفكر السياسيّ العربي الإسلاميّ"** د.ن، عمان،ط١.

هـوبز، تومـاس(٢٠١١م) **"اللفياثـان"** ت: ديانـا حبيـب حـرب، بشـرى صـعب، ط١، هيئـة أبوظبي لثقافة والتراث(كلمة) ودار الفارابي.

هيغـــل، غيـــورغ فلهلـــم فـــردريش(٢٠٠٦م) **"فنومينولوجيـــا الـــروح"**ت: نـــاجي العونلي،مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت.

الويشـــي، عطيـــة"(٢٠٠٧م) **الصـــراع فـــي الفكـــر الغربـــي"** ط١، نهضـــة مصـــر لطباعـــة والنشر والتوزيع، القاهرة.

يـاغي، إسـماعيل احمـد(١٩٩٨م) **"الدّولـة العثمانيـة فـي التـاريخ الإسـلاميّ الحـديث"** مكتبـة العبيكان، ط٢، الرياض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com